جامعة النجاح الوطنية

كلية الدراسات العليا

الطقوس والموروثات الشعبية في الأدب الشعبي الفلسطيني بريف مدينة نابلس

إعداد

نداء نمر سعيد ظاهر

إشراف

د. نادر قاسم

قدمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية بكلية الدراسات العليا في جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين.

2017م

الطقوس والموروثات الشعبية في الأدب الشعبي الفلسطيني بريف مدينة نابلس.

إعداد

نداء نمر سعيد ظاهر

نوقشت هذه الرسالة بتاريخ: 25 / 5 / 2017م، وأجيزت

أعضاء لجنة المناقشة	**التوقيع**
- د. نادر قاسم /مشرفاً ورئيساً	....
- د. معاذ اشتيه /ممتحنا خارجيا	....
- أ. د. إحسان الديك / ممتحنا داخليا	....

الإهداء

إلى من علمتني الصبر...أمي.

إلى من افتقدته في مواجهة الصعاب ولم تمهله الدنيا لأرتوي من حنانه...أبي.

إلى الروح التي سكنت روحي ... زوجي الغالي.

إلى والديه اللذين غمراني بعطفهم وحنانهما

إلى القلوب الصافية النقية الحنونة ... إخوتي وأخواتي.

أهدي هذا البحث

الشكر والتقدير

أتوجه بالشكر لله عز وجل الذي أنار لي الدرب ومدني بالصبر والإرادة وفتح لي أبواب العلم، ثم الشكر لعائلتي وزوجي لصبره وتحمله معي عناء البحث، و لإمداده لي بالقوة والتحفيز، ثم أتقدم بجزيل الشكر إلى الدكتور نادر قاسم الذي أشرف على هذه الرسالة منذ كانت فكرة إلى أن رأت النور، وأشكره على توجيهاته ونصحه السديد، ولا يفوتني أن أشكر الدكتور فادي عصيدة على مساعدته لي، كما أتقدم بجزيل الشكر والتقدير للأساتذة أعضاء لجنة المناقشة الذين شرفوني بمناقشة هذه الرسالة وأنا على يقين أنني سأفيد من ملحوظاتهم وتوجيهاتهم العلمية، وأخيرا أتوجه بالشكر والامتنان لكل من قدم لي يد المساعدة من قريب أو بعيد.

جزاهم الله كل خير.

الباحثة: نداء ظاهر

إقرار

أنا الموقعة أدناه مقدمة الرسالة التي تحمل عنوان:

"الطقوس والموروثات الشعبية في الأدب الشعبي الفلسطيني بريف مدينة نابلس".

أقر بأن ما اشتملت عليه الرسالة هو نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما تمت الإشارة إليه حيثما ورد، و إن هذه الرسالة ككل أو أية جزء منها لم يقدم من قبل لنيل أية درجة أو لقب بحثي أو علمي لدى أية مؤسسة بحثية أو تعليمية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researchers own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification.

Student's Name:	**اسم الطالب:**
Signature:	**التوقيع:**
Date:	**التاريخ:**

فهرس المحتويات

الطقوس والموروثات الشعبية في الأدب الشعبي الفلسطيني

بريف مدينة نابلس

إعداد

نداء نمر سعيد ظاهر

إشراف

د. نادر قاسم

الملخص

جاءت أهمية هذه الدراسة للحفاظ على الموروثات الشعبية التي بدأت تختفي من تراثنا بفعل التطور المدني وموت الأجداد إضافة إلى اتجاه أبناء الشعب الفلسطيني نحو التطور التكنولوجي الذي حاول طمس تلك الموروثات التي بدأت تظهر عند محتلي أرضنا بوصفها إرثا شعبيا لهم، مما يستدعي العودة إليها على شكل دراسة تؤرخ لها وتكشف عن تفاصيلها وتحاول الكشف عن بداياتها.

وهدفت هذه الدراسة إلى توضيح معنى التراث والتراث الشعبي، وتأصيل الممارسات الشعبية في عادات ريف نابلس وتقاليده، بالإضافة إلى توضيح أصول تلك الموروثات، والإسهام في نقل التراث القولي المتعلق بتلك العادات والتقاليد إلى الأجيال الحاضرة واللاحقة، و هدفت أيضا إلى تسليط الضوء على التغيرات الثقافية وتطور اللغة المحكية باختلاف الأجيال، والإسهام في خلق حركة ثقافية واجتماعية وتنشيطها، تُعنى بالتراث الشعبي في فلسطين، وقد نهضت هذه الدراسة على الوصف والتحليل لبعض المظاهر والطقوس الريفية والمأثور اللفظي المصاحب لها، فكان المنهج المتبع فيها؛ المنهج التحليلي الوصفي.

وقد تناولت هذه الدراسة تفسير كثير من العادات والتقاليد التي نسمعها في الوقت الحاضر دون معرفة أصولها وارتباطاتها، كالطقوس المتبعة لعلاج العقم فكان منها: التمليس والكي وقفل الظهر والتهبيلة، وبينت كيفية كل منها، ثم وضحت طقوس الولادة كقص الحبل السري وفراش الولادة و الطقوس المتعلقة بالمشيمة، و تحدثت الباحثة عن كيفية التعامل مع الطفل و رأت أن تمليح الطفل جاء من قدسية الملح في الكثير من الحضارات، وكمان أن تزييته جاء من قدسية

الزيت، ورأت أن حمام الطفل منذ قدومه للحياة شبيه بحمام الميت عند مفارقته لها؛ فالماء طقس من طقوس التطهير وهو ضروري في الانتقال من عالم لآخر.

كما تناولتُ طقوس الزواج، ورأيت أنه طقس عبور مثله مثل الولادة، فيه حمام عــريس، كيف لا وهو ينتقل من حياة العزوبية إلى الحياة الزوجية؟ وتحدثت فيه عن الحناء وقداسته عنــد الشعوب؛ وكيف يحمي من الحسد والعين، ويستخدم في الموت وفي الزواج، وتحدثتُ عن طقس الزفة و خرم بدلة العريس بالإبرة لحمايته من العين.

ثم تحدثتُ عن طقس الموت، و وضحتُ فيه عملية حمام الميت، وتحدثتُ عن الونيــسة، ورأيتُ أن تقديم القرابين للميت طقس لا بد من استخدامه في كل مراحل عبور الإنــسان، فــلا يختلف عن عقيقة الطفل ولا عن الذبائح التي تولم في الأعراس، وفصلتُ فــي طقــس الحــداد والندب، ووجدتُ أن الندب طقس قديم عند كل الحضارات، ولم يقتــصر علــى ريــف نــابلس فحسب.

وقد خلصت الدراسة إلى أن العادات والتقاليد كافة التي كانت تمارس في ريــف نــابلس مستمدة من طقوس دينية قديمة لها جذور عميقة في الحضارات العريقة فبعــضها جــاءت مــن الحضارة السومرية، والبعض الآخر من الحضارات الفرعونية و البابلية والكنعانية، ورأيــتُ أن آثار تلك الطقوس بدأت تختفي في وقتنا الحاضر، على الرغم أنها خلاصة خبــرات وتجــارب الأجداد، فقد فشلت الأجيال الجديدة في الحفاظ عليها.

المقدمة

الطقوس والمعتقدات الاجتماعية بوصفها جزءاً رئيساً من تراثنا الشعبي الفلسطيني، هـــي إرث متدفق بحيوية، استوعبَ الماضي الكنعاني بجذوره، وَوَصَلَهُ بماضينا العربـــي الإســـلامي، وامتدّ إلى حاضرنا العربي الفلسطيني، ويمكنه أن ينتقل بالحاضر إلى المستقبل، ذلـــك أن هـــذه الطقوس ما زالت موجودة في صدور أبناء الشعب الفلسطيني، أو محفوظة في وجدانهم، ومنهـــا ما هو معمول به في المحافل الشعبية في مناسبات شتى، كالميلاد والزواج والموت، وغيرهـــا. وبوصفها دعامة رئيسة للحفاظ على كينونة الإنسان الفلسطيني من خطر الضياع أو التهويد، فإن الأمر يفرض علينا حتمية المحافظة على هذا الفلكلور الشعبي، ولعل أبرز طرق المحافظة عليه هي تدوينه في السِّجلّات والكتب، التي يمكنها أن تدوم، عبر تعاقب الأجيال، فلا يموت هذا الأدب الشعبي بموت من يتمثلون به، ولا يتلاشى مع مرور الأزمنة؛ فمن الأهمية بمكان استجلاب ذاك الإرث المدفون في صدور كبار السن واستخراجه منها ثم تدوينه أو توثيقه عبر أدوات التسجيل المتنوعة.

ويشتمل هذا التراث على الفنون القولية والمعتقدات الشعبية كلها، ويتصف بالتوارث مـــن جيل إلى جيل، سواء أكان في المأكل والملبس والمعتقدات، أم في الأدوات المتوارثة كالمحراث، والمذراة، والغربال، والبيادر، أم في الحكايات الشعبية التي تمتد من جيل الى جيل، من الجـــدات إلى الأمهات، ثم إلى الأطفال[1].

وعلى الرغم من أن هذه الدراسة هي دراسة أكاديمية أدبية، إلا أن أهمّيّتها تتـــأتى عبـــر المجال الوطني، كونها منصبّة على شعب يرزح تحت احتلال يُهدّد ثقافته، فيسعى إلـــى طمـــس التراث، أو تمييعه وتهويده، لقطع الصلة بين حاضر الشعب الفلسطيني وماضيه، ثم إحلال ثقافة شعبية هجينة ممسوخة، ومبتورة الأصل، عبر استغلال التطور التكنولوجي والعلمي، لإحـــداث

[1] - انظر: الجبور مصطفى: "***المخاطر التي تهدد التراث الشعبي وسبل المحافظة عليه***"، من أعمال مـــؤتمر: "**التـــراث الشعبي الفلسطيني في محافظة الخليل**"، جامعة القدس المفتوحة، فلسطين، رام الله، 2013، ص159.

فجوة ثقافية بين شرائح المجتمع الفلسطيني، بالإضافة إلى أن المجتمع الفلسطيني بدأ ينحو منحى تكنولوجيا ومن ذلك ما نراه من حضور لافت للآلة الموسيقية الحديثة على حساب الآلات القديمة، وتشجيع الغناء العصري على حساب الأغاني التراثية، وتسهيل استجلاب الأثاث والألبسة العصرية، ما طغى بدوره على الأزياء التراثية، حتى كاد الإرث الشعبي يختفي شيئا فشيئا. إن هذه الدراسة تحاول أن تسهم في تضييق تلك الفجوة الحاصلة بين التراث القديم الأصيل و النشاط الحياتي للإنسان الفلسطيني المعاصر.

وعلى الرغم من محاولات الاحتلال تزييفَ الحقائق على الأرض، وطمسَ التراث، أو استبداله بالتراث العبري، إلا أن ذلك لم يؤثر على الإرث الشعبي بشكل عام، وعلى الإرث الغنائي بشكل خاص، ما زلنا نسمع الأغاني التراثية ضد السماسرة واليهود والاستيطان[1].

لذا بات من الضروري أن تتنامى الدراسات والأبحاث الهادفة إلى الحفاظ على تراث الشعب الفلسطيني، وبالرغم من قلة الدراسات التي لم تنتبه لهذا الخطر المميت للتراث الفلسطيني، إلا أنني وجدتُ عددا منها أعِدّتْ لتسليط الضوء على الإرث الفلسطيني، فكانت هذه الدراسات من المراجع الأساسية التي اعتمدت عليها ولا أقصد هنا الدراسات السابقة.

ولعل بداياتها كانت منذ العام(1973)، إذ صدرت دراسة عن لجنه الأبحاث الاجتماعية والتراث الشعبي الفلسطيني، أعدّها وليد ربيع، وعمر حمدان، وتمحورت موضوعاتها حول تراث قرية ترمسعيا وتشكلت تلك الدراسة من مئتين و أربع وخمسين صفحة وتحتوي على عشرين بابا يضم كل باب عدة مواضيع مثل: الولادة، والزواج ،والطلاق، والوفاة، والزي الشعبي في ترمسعيا، والعلاج بالسحر، والشعوذة، والحديث عن البيت الفلسطيني القديم وغيرها [2]، كما اهتمّ عبد اللطيف البرغوثي، أستاذ الأدب الشعبي في جامعة بيرزيت، بإعداد مجموعة

---

[1] -أبو هدبا، عبد العزيز: **"التراث الشعبي الفلسطيني، جذور وتحديات"**، مركز إحياء التراث العربي، الطيبة، ط1، 1999، ص75.

[2] - وليد، ربيع، وعمر حمدان : "دراسة في التراث والتراث الشعبي الفلسطيني، **مجلة "التراث والمجتمع"**، جمعية إ نعاش الأسرة، البيرة، العدد2، 1974.

من الدراسات والأبحاث في التراث الشعبي الفلسطيني، والأغاني الشعبية في فلسطين والأردن وفيها وضح المؤلف الأغاني التي تردد في مختلف المناسبات ومنها: أغاني الحناء والزفة وحمام العريس و أغاني الأطفال وأغاني الحج وغيرها[1]، وحكايات جان من بني زيد وفيها تحدث عن حكايات الجن والسحر والمشعوذين[2]، ثم ديوان العتابا الفلسطيني[3]، والقاموس للشعب الفلسطيني. كما اهتمّ الشاعر الفلسطيني توفيق زيّاد بالدراسات الشعبية وهو كتاب جمع بين القصة والأغنية الشعبية، والتراث الشعبي الفلسطيني، فألّف كتابا كاملا عن الأدب الشعبي الفلسطيني، هذا إضافة إلى المؤسسات التي اعتنت بالتراث الشعبي الفلسطيني، كمعهد قلنديا، ومركز شباب الدهيشة، وجامعة بيرزيت[4].

وتمتاز دراستي هذه بأنها حاولت الكشف عن أصول بعض الطقوس والعادات والمأثورات القولية، ومصادرها، وصلتها بالدين، فثمة ممارسات كثيرة نجهل منشأها، ومسبباتها، كلجوء المرأة العاقر إلى الشعوذة والسحر لاستجلاب الولد مع تناسي القدرة الإلهية في وَهْبِ الذكور والإناث أو جعل أحد الزوجين عقيما، ومن ذلك تقبيل الطفل قطعةَ الخبز الملقاة على الأرض، دون علمه بسبب هذه الممارسة، ومن ذلك ما يعرف بـ(الهمهمة) أو الغناء عند تحميم المولود، أو عند مرض الطفل، دون الرجوع إلى الآيات القرآنية، أو الطب.

على الرغم من صعوبة العمل الميداني والبحثي بما يخص هذه الدراسة، فقد حاولتُ جمع ما يمكن جمعه من الطقوس الاجتماعية في قرى محافظة نابلس، سواء أكان ذلك بالمقابلات الشفوية مع كبار السن وذوي الشأن، أم بجمع المعلومات من الكتب والدراسات السابقة.

---

[1] - البرغوثي، عبداللطيف: **"الأغاني العربيّة الفلسطينية في فلسطين والأردن**،مكتبة الوثائق والأبحاث، جامعة بيرزيت، 1979

[2] - البرغوثي، عبداللطيف: **"حكايات جان من بني زيد"**، جامعة بيرزيت ، رام الله، 1979.

[3] - البرغوثي، عبداللطيف: **"ديوان العتابا الفلسطيني – دراسات في التراث الشعبي الفلسطيني"**، البيرة : وزارة الثقافة الفلسطينية، 2013

[4] - زيّاد، توفيق: **" صورمن الأدب الشعبي الفلسطيني"**، ط1، المؤسسة العربية للنشر،حيفا، 1974.

إن حصر هذه الطقوس والمعتقدات الاجتماعية كانت مهمة صعبة؛ لاتساع المحافظة جغرافيا، واختلاف كل منطقة سكنية عن غيرها، إذ لكل منها خصوصية ما، من حيث المعتقدات والطقوس، وكذلك فإن تجاوب العديد من الأشخاص المستهدفين لم يكن بالأمر السهل.

وعليه لجأتُ في دراستي هذه إلى العديد من الدراسات والمقالات التي تناولت الأساطير القديمة، والطقوس والمعتقدات، فوجدتُ أنّ ما ورد في الوثائق مطابقا لما ورد عن أفواه الناس، ولذلك استخدمتُ المنهج التحليلي لإظهار هذا التطابق ما بين المُدَوّن والشفوي.

وفي ضوء ذلك تشكلت هذه الدراسة من مقدمة وثلاثة فصول، أما الفصل الأول، فتناول مرحلة الحمل، والحالات التي تمرّ بها المرأة قبل الحمل، ولجوء المرأة التي لم تحمل إلى الشعوذة والسحر، ثم الطقوس التي تمارسها القابلة (الداية) لعلاج العقم، وطرائق كشف جنس الجنين، والقرينة التي تلاحق الحامل، لإجهاضها، والأساليب المختلفة للتخلص من القرينة، ثم الكشف عن طقوس الولادة، وهي أولى مراحل العبور في حياة الإنسان، كطقوس عملية الولادة، وفراش الولادة، وحمّام المولود، وتزيينه وتمليحه وتزبيته وتكحيله، ومرحلة التّسنين والمشي، وغيرها. ثم البحث في مسألة الطقوس التي تتصل بالمعتقدات التي آمن بها الناس كطقوس إبعاد القرينة و عسر الولادة، وطرائق الولادة، والتّكهّن بجنس المولود، والتخلص من الحبل السري ومخلفات الولادة، ثم تفضيل الذكر على الأنثى، ووضع الطفل على صينية، مع التعاويذ، ووضع الخرز على كفّه، ثم قص الشعر والتسنين (ظهور الأسنان)، ثم الختان والعقيقة.

أما الفصل الثاني، فيتناول مسألة الزواج، كسنّ الزواج، ومواصفات العروسين، وطرق التخلص من العنوسة، ومراسم الزواج، والطلبة والنقد وقراءة الفاتحة، والاتفاق على المهر أو ربط الفتاة بالذبلة، والكسوة، ومراسم الخطبة، ثم حَمّام العريس، والزفة، وطلعة العروس وإطعام المعازيم، وزينة العروس وكحلتها وحِنّاها، وزفة العريس على الخيل، وطقس العجينة التي تلصقها العروس أمام منزل العريس.

أما الفصل الثالث، فيتناول مرحلة الموت، وهي آخر مراحل العبور في حياة الإنسان، ومن ذلك طقس الاحتضار والوفاة، والوصية، والنواح والبكاء والحِداد، ثم طقوس الدفن وتوجيه المدفون، والتلقين على القبر، وطقس كسر الفخار خلف الميت، ثم طقس الأربعين.

وفي خاتمة الدراسة رصدتُ النتائج التي توصلت إليها، وأبرزت الأهمية الشعبية والوطنية لهذه الطقوس، ومدى قدرتها على الإسهام بتمييز الهوية الفلسطينية وتثبيتها.

مشكلة الدراسة وأهدافها:

وهدفت الدراسة إلى الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما الطقوس التي تتعلق بحمل المرأة في ريف نابلس، وما المأثور المتعلق بذلك؟
- ما القرينة التي تحاول قتل الجنين وما الطرق والشعوذات والتمائم المكتوبة والملفوظة التي تلجأ إليها المرأة للتخلص من تلك القرينة؟ وهل لذلك أي امتداد أسطوري؟
- ما الطرق والطقوس التي تلجأ إليها المرأة من أجل أن تحمل في الريف الفلسطيني بعامة والريف النابلسي بخاصة؟ وهل ثمة طقوس لفظية تستخدم في ذلك؟ ما الطقوس المتعلقة بمرحلة الولادة في ريف نابلس؟ وما الأقوال والأدعية المأثورة في ذلك؟ما مواصفات القابلة التي كانت تولد النساء؟ وما مأثورها اللفظي خلال ممارستها لعملية التوليد؟ وما أسباب تمليح الجدة المولود الجديد في ريف نابلس؟ وهل ثمة أدعية وأقوال للجدة عند ممارستها لعمليات رعاية الوليد؟
- ما الطقوس والعادات المتعلقة بمرحلة الزواج في ريف نابلس؟ وما الأغاني والأهازيج المرافقة لتلك الطقوس؟ وما عبارات التهنئة المعروفة هناك؟ ماذا كانت تردد الجدات والنسوة عند تقديم العجينة للعروس لتلصقها على مدخل البيت قبل دخوله؟ وهل هناك طقوس أخرى غير العجينة؟ وما جذور ذلك في الموروث الإنساني البدئي وما دلالته؟

- ما الطقوس والأقوال وأغاني الندب والنواح والنعي المتعلقة بالموت في ريف نابلس؟ وهل ثمة ترسبات أسطورية في تلك الطقوس القولية؟ ماذا تفعل النساء عند موت قريب لهن في الريف الفلسطيني وفي ريف نابلس بالتحديد؟ ما الطقوس المتعلقة بتغسيل الميت(حمام الميت) ؟ وما المأثور القولي المصاحب لحالات الوفاة والدفن وبيوت العزاء؟

- من أين أتت هذه الطقوس والمعتقدات وما هي الجذور البدئية لها؟

- هل امتازت محافظة نابلس بخصوصية في الطقوس والمعتقدات الشعبية؟

أهداف الدراسة:

لأن الكثير من الممارسات والموروثات والطقوس الشعبية بدأت تختفي من تراثنا، بفعل التطور المدني، وموت الأجداد، وبدأت تظهر عند محتلي أرضنا بوصفها إرثا شعبيا لهم، فإن هذا يستدعي العودة إليها ولو على شكل دراسات تؤرخ لها، وتكشف عن تفاصيلها، وتحاول الكشف عن بداياتها، وتجلياتها، لتجيب عن العديد من الأسئلة التي تدور في أذهان الجيل الحديث، ولتكشف عن الأسباب التي كانت تقف خلف تلك الممارسات والطقوس، ومن الأهداف الأخرى للدراسة:

- الإسهام في المحافظة على عاداتنا وتقاليدنا الريفية النابلسية؛ من خلال تأصيل الممارسات القولية المصاحبة لها، في مواجهة استهدافها من احتلال خطير، يسعى إلى طمسها أو تهويدها.

- توضيح أصول تلك الموروثات الشعبية التي تمكننا من إثبات أحقيتها في هذه الأرض، من خلال محاولة استكشاف امتداداتها التراثية والأسطورية البدئية ودلالتها.

- الإسهام في نقل التراث اللفظي في ريف نابلس، والمتعلق بالعادات والطقوس المدروسة للأجيال الحاضرة واللاحقة؛ توثيقا للماضي، وربطا تكامليا للأجيال وللاستعانة به في تطوير الحاضر واستخلاص العبر منه، استشرافا لمستقبل واعد.

- تسليط الضوء على التغييرات الثقافية وتطور اللغة المحكية باختلاف الأجيال.

- الإسهام في خلق أو تنشيط حركة ثقافية واجتماعية تعنى بالتراث الشعبي في فلسطين بعامة وفي ريف نابلس بخاصة.

منهجية الدراسة:

اعتمدتُ على جمع العادات والطقوس من أفواه الناس في محافظة نابلس، ومن ثم تبويبها وتقسيمها و ثم تحليلها ومحاولة الكشف عن جذورها البدئية ما أمكن.

الدراسات السابقة:

بعد البحث والاستقصاء وجدتُ أن دراستي هذه هي الدراسة الأولى التي تناولت بالبحث المعتقدات الشعبية في ريف نابلس في سياق بحثي في الطقوس والموروثات،على الرغم من وجود بعض دراسات تناولت المأثور الشعبي في مناطق فلسطينية أخرى وبلدان عربية منها:

- دراسة الباحثة نضال طه(2009) : بعنوان " الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في محافظة رام الله" وهي رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير من جامعة النجاح الوطنية 2009. استعرضت فيها الباحثة الطقوس التي بدأت تختفي من تراثنا بفعل موت الأجداد، وحاولت الباحثة جمع ما يمكن جمعه من الطقوس الاجتماعية والأدب الشعبي في المحافظة، ووثقت كل ما سمعته من أفواه الناس بما يتعلق بهذه الطقوس واختارت عينة الدراسة من الرجال والنساء.

وأشارت النتائج إلى نمط الزواج الذي كان وما زال سائدا عند أهالي القرى التابعة لمحافظة رام الله، وإلى الأغاني التي كانت تردد في حمام العريس وطلعة العروس والصمدة وغيرها، وأشارت إلى الطقوس المتعلقة بمراحل العبور في حياة الإنسان وهما مرحلتي الموت والحياة.

- دراسة أحمد جرادات(1996): بعنوان" مؤشرات التغيير الاجتماعي في قرية أردنية " وهي رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير، وكانت الدراسة ميدانية في قرية كفر السمارات، حاول الدارس تتبع وتحليل التغيرات والتحولات الطارئة على الزواج والأسرة والتنظيم الاقتصادي في القرية، والمنهج المتبع هو المنهج الأنثروبولوجي، ومجتمع الدراسة مكون من سكان قرية كفر السمارات في لواء بني كنانة بالأردن. وقد توصل الباحث إلى نتائج عديدة متعلقة بنمط الخطوبة والزواج إلا في حدود ضيقة جدا، فقد تم عقد قران معظم ربات الأسر اللواتي شملتهن الدراسة، دون معرفتهن المسبقة بأزواجهن، وتم التعارف بينهم بعد الزواج.

- دراسة عمر ماهر عودة(2008) : بعنوان: " البكائيات في الأدب الشعبي الفلسطيني"، وهي رسالة مقدمة للحصول على درجة الماجستير من جامعة النجاح الوطنية، استعرض فيها الباحث طقوس الموت في الأدب الشعبي الفلسطيني، وتحدث عن النواح والردح والرقص الجنائزي ونفل الشعر وقصه، وتحدث عن بكاء الغربة والقضية الفلسطينية والحظ، إضافة إلى حديثه عن فلسفة الموت في الثقافة الشعبية.

وقد خلصت دراسته إلى أن فلسفة الموت في الذهن الشعبي تعتمد على محاكاة الطبيعة المحيطة به، فكما قلده بموته، قلدها في الممارسات التي تضمن عودته بعد الموت، و توصل أيضا إلى أن الإنسان الشعبي آمن بحتمية الموت وأنه لا مفر منه، وفي الوقت ذاته آمن بالخلود، كما أن طقوس الموت في يوم من الأيام مجرد ممارسات اعتاد عليها الإنسان الشعبي، وإنما هي طقوس لا بد منها في كنف الموت لأنها تحمي الأحياء من أرواح الموتى.

- مهاد تأسيسي

يشكل التراث أهمية كبيرة لدى المجتمعات البشرية كافة، إذْ يوثّق ماضي الأمة، ويرسخ وجودها في الحاضر، ويدعم استمرارها في المستقبل، فالإنسان من غير تراث سيكون مقتلع الجذور والهوية، والانسلاخ عنه رفض للواقع، لأن التراث في حقيقته جزء فاعل من انعكاسات الماضي على الواقع، وتأثيراته على توجيه السلوك في مجمل النواحي الحياتية للناس.

التراث لغة واصطلاحا:

ويمكن تحديد الدلالة اللغوية لكلمة (التراث) بالعودة إلى المعاجم اللغوية، ورد في معجم مقاييس اللغة أن لفظة تراث من "(وَرَث) الواو والراء والثاء: كلمة واحدة هي الوِرث. والميراث أصله الواو[1]. وهو أن يكون الشيء لقوم ثم يصير إلى آخرين بنَسب أو بسبب يقال: ورِثناهُن من آباء صدق ونُورِثُها إذا مُتنا بنينا"[2]، فقد ورد في (لسان العرب): "ورّثه ماله ومجده، وأورثه الشيء أبوه أو ورِثه بعضا عن بعض قدما[3]. وورد في (المعجم الوجيز): "ورَّثَ فلانٌ فلانا، أي جعل ميراثه له"، وتوارث الشيء: ورِثه بعضهم من بعض، ويقال: أورثه المرض ضعفا والحزن همّا. والإرث: ما وُرِث، والتراث: الإرث والقيم الإنسانية المتوارثة [4].ورِث: اسم المصدر ورْث (فوك)[5] ويصاغ في القول ورث أباه مالاً (معجم البلاذري)؛ وذلك حين يكون الوريث الوحيد لأبيه؛ وحين لا يرث إلا جزءاً من أمواله يقال ورث من مال أبيه أو من أبيه. ففي (محيط المحيط): (ورث أباه انتقل إليه ماله بعد وفاته. ويقال ورث مال أبيه.، وأصله ورِث أباه مالاً. فإن ورث البعض عدّى فقيل ورث من مال أبيه أو من أبيه. وأصل التراث وراث. أبدلت الواو تاء).وَقَالَ الله جلّ وعزّ: { وَتَأْكُلُونَ التُّرَاثَ أَكْلاً لَّمّاً} [6] أَي أكلا شَديداً.[7]وَقَالَ الزّجّاج: أَي تَأْكُلُونَ تراث اليتَامَى لمّاً، أَي تُلمّون بِجَمِيعِه.

---

[1] - ابن فارس، أبي الحسين أحمد: **مجمل اللغة**، تح: زهير عبدالمحسن سلطان، مؤسسة الرسالة–بيروت، ط2 ، 1986 م، ص148.

[2] - ابن فارس، أبي الحسين أحمد: **معجم مقاييس اللغة**، ت: عبد السلام هارون، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، م.د، 395 ه، ص105.

[3] -انظر: ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم:**"لسان العرب"**، مادة ورث.

[4] - انظر: مجمع اللغة العربية،**"المعجم الوجيز"**، مادة ورث، ط1، مصر، 1980، ص664.

[5] - رينهارت، بيتر آن: **تكملة المعاجم العربية**، تع: محمَد سليم النعيمي وآخرون، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط1، 2000 م ،ج 11، ص52.

[6] - القرآن الكريم، سورة الفجر، الآية19.

[7] - الهروي، محمد بن أحمد بن الأزهري ، أبو منصور : **تهذيب اللغة**، تح: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 2001م ص247.

وأنشد ابْن الْأعرابي[1]:

كَسانِي ثَوْبَي طُعْمَةَ الموتُ إنَّما   التُّراثُ وَإنعَزَّ الحَبيب الغَنائمُ

والمعنى السابق يقارب معنى التركة التي يتركها الرجل لغيره أي مَا يتْركه من التراث[2] ، وفـــي التأكيد على هذا المعنى ما قاله يزيد بن الصَّعِق[3]:

وما كانَ مَالِي عَن تُرَاث وَرِثْتُهُ   ولا صَدَقَاتٍ من نِسَاء أَوَائِمِ

وينطبق المعنى اللغوي في مفهوم التراث على ما يترك من عادات وتقاليد وأخلاق وسيرة وموروث شعبي كالقصص والحكايات والأغاني وغيرها، كما فِي حَدِيثِ الدُّعَاءِ «وإِليك مآ بِـــي ولك تراثي»[4] فقد روي عن النبي، صلى الله عليه وسلم ،أنه قال: بعث ابن مربـــع الأنـــصاري إلى أهل عرفة، فقال: (اثبتواعلى مشاعركم هذه، فإنكم على إرث من إرث إبراهيم)[5].

أما عن المعنى الاصطلاحي للتراث، فلم يتوقف الدارسون على معنى واحد له، بل تعددت تعريفاته، فقد رأى (ستيث نومسون) أنه على الرغم من أن كلمة تراث(فلكلور) عمرها أكثر من قرن، إلا أنه لا يوجد حتى الآن اتفاق كامل حول معناها،[6]وبالعموم فهو يطلق على جانـــبٍ مـــن الثقافة الإنسانية، ويقابله في اللاتينية مصطلح (فولكلور)، الذي صاغَه الإنجليزي (ولـــيم جـــون تومز) عام 1846، ليدلّ على دراسة العادات المأثورة والمعتقدات، وهو ما كان معروفا في تلك الفترة بالآثار الشعبية القديمة، ويتكون هذا المصطلح من مقطعين: (فولـــك)، بمعنـــى النـــاس،

[1] - انظر: ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل: **المحكم والمحيط الأعظم**، تح: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 2000 م،ج1، ص560.

[2] - انظر: اليمني، نشوان بن سعيد: **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تح: حسين بن عبد الله العمري الإريـــاني وآخرون، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنان)، ط1، 1999 م ج6، ص 766.

[3] - انظر: نفسه، ج2، ص738

[4] - ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك: **النهاية في غريب الحديث والأثر**، المكتبة العلمية - بيروت، 1979م، تح: طاهر أحمد الزاوى و محمود محمد الطناحي، ج1،ص186 .

[5] - انظر: الحاكم، الحافظ أبي عبد الله: **المستدرك على الصحيحين**، تح: مقبل الوداعي، دار الحرمين، ط1، ص 462.

[6] -انظر: مرسي، أحمد علي: "**مقدمة في الفولكلور**"، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، الهرم، مصر، 1995،ص49.

و(لور)، بمعنى: المعرفة أو حكمة الشعب.[1] وجاءت كلمة فُلْكُلور بمعنى (فن) الفُلْكلور وهو مرآة عادات الشعوب[2] وما ورد من مأثورات شعبية أو تراث شعبي.[3]

وعليه لكي تكون للغة العربية كلمة مرادفة لـ(الفلكلور) " قررت الأمانة العامة لمجمع اللغة العربية وضع (كلمة تراث) بدل كلمة (فولكلور) الإنجليزي، على اعتبار أن كلمة (تراث) تشمل ما تركه الأوائل من مؤلفات لغوية وفروعها، والعلوم منها الطبية والفلكية والصناعية وغيرها، وأبنية وقلاع وفنون من رسم وموسيقا وغناء ورقص وغيرها، وكلها تشملها كلمة (تراث) وكان لابد هنا من تحديد كلمة خاصة مرادفة لـ(الفلكلور) وفرزها عن التراث الحضاري أو التراث القومي ووضعت تحديداً كلمة (التراث الشعبي) فأينما تجد (فولكلور) فهو إذاً (التراث الشعبي) والعكس صحيح"[4].

يرى الألماني (هيردر) مؤسس الحركة الرومانسية أن التراث هو اللغة الأم للجنس البشري[5]، ويعرفه جون تومز بأنه: المعتقدات والأساطير والعادات والخرافات والأغاني والأمثال، التي ترجع إلى العصور السابقة[6].

ومن التعريف السابق نرى أن التراث يشتمل على مفردة الطقوس، وهي مفردة أعجمية دخيله على اللغة العربية، ويبدو أن هذه الكلمة من أصل يوناني[7] فهي (تكسيس) وليست من أصل آخر[8]، وتعني عند النصارى شعائر الديانة واحتفالاتها، ومنها طقوس الكنيسة أو نظام الخدمة الدينية في الكنيسة واحتفالاتها وشعائرها، وهي معرب كلمة تَكْس الفرنجية بمعنى ضريبة

---

[1] -انظر: العنتيل، فوزي: **بين الفولكلور والثقافة الشعبية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978م،ص18.

[2] - انظر: عبدالحميد، أحمد: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب،ط1، 2008 م ج3، ص 1743.

[3] - انظر: مصطفى، إبراهيم و آخرون: **"مجمع اللغة العربية بالقاهرة"**، ا لمعجم الوسيط، دار الدعوة، ج2، ص 701.

[4] - صادق، ميرفت، مقال بعنوان : **التراث تعريفه وأنواعه وأشكاله**، نشر في الموقع الإلكترونيhttp://tourath.halamuntada.com/t36- topic، 2011.

[5] -علقم، نبيل: **مدخل لدراسة الفلكلور**، منشورات جمعية إنعاش الأسرة، البيرة،1977،ص 44.

[6] - انظر: نفسه،ص7.

[7] - انظر: رينهارت: **تكملة المعاجم العربية**، ج 7، ص 51.

[8] - انظر: نفسه ، ج7،ص 60.

، أو نظام وترتيب، وأكثر ما يستعمل لنظام الخدمـــة الدينيَّـــة أو شـــعائرها واحتفالاتهـــا عنـــد النصارى، إذ لهذه الطائفة طريقة دينية في الصلاة وإقامة الشعائر "ممارسات طقسيَّة".[1]وأيـــضا مما ورد من تعريف التراث، بأنه ما يشتهر عليه من أساطير، ومفردها أُســـطورة وإســـطارة،[2] والتي جاءت بمعنى الأباطيل[3]، أو بمعنى أحاديثُ لا نظام لهاً[4]

كما اشتمل التعريف على كلمة الخرافة فيقال "حديث خرافة"[5]وهي الحكاية التي ليس لهَـــا أصل[6]وخُرافَة، هو رجل من عذرة، استهوته الجن،[7] وقد أصبح "حديث خرافة "مثلا يضرْب عند سماع مالا يعرف صحته، والخرافات عند النَّاس كلمـــات لا صـــحة لَهـــا[8] وتعـــرف الخرافـــة اصطلاحا على انها الاعتقاد أو الفكرة القائمة على مجرد تخيلات دون وجود ســـبب عقلـــي أو منطقي مبني على العلم والمعرفة وتطلق على كل عجِيب كَذِبٍ[9]. أو الحَـــدِيث المـــستلمح مـــن الْكَذِب.[10]. وترتبط الخرافات بفلكلور الشعوب، حيث إن الخرافة عادة ما تمثـــل إرثـــا تاريخيـــا تتناقله الأجيال[11].

---

[1] - انظر: مختار ، أحمد: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج2 ، ص1406.

[2] - انظر: الأزدي، أبوبكر محمد :**"جمهرة اللغة"**، ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين–بيـــروت، ط1، 1987م ، ج2، ص713.

[3] - انظر: الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تح: أحمد عبد الغفور عطـــار، دار العلم للملايين–بيروت، ط4،1987 م، ج2، ص684.

[4] - انظر: ابن سيدة، علي بن إسماعيل، **المحكم والمحيط الأعظم**، ص432.

[5] -انظر: رينهارت: **تكملة المعاجم العربية**،، ج6، ص44.

[6] **- انظر:** مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق، ج1، ط1، 2004، ص17 .

[7] - انظر: الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين: **معجم ديوان الأدب:** تح: أحمد مختار عمر وإبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ، 2003 م، ج1، ص450

[8] - انظر: النسفي ،عمربن محمد بن أحمد : **طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية**، المطبعة العامرة، بغداد، ص96.

[9] - انظر: بن الازهري، **تهذيب اللغة**، ج7، ص151.

[10] - انظر: ابن سيدة: **المحكم والمحيط الأعظم**، ، ج5، ص 171.

[11] - انظر: حسين ،الحاج حسن: **الأسطورة عند العرب في الجاهلية**، المؤسسة الجامعية للدراســـات والنـــشر والتوزيـــع، عمان، الاردن، ص16.

وتعرف العادات والتقاليد الاجتماعية اصطلاحا أيضا، على أنها مجموعة أنماط سـلوكية تخص جماعة ما، حيث تتعلمها شفهياً من الجماعة السابقة مثل تقليد أو احتفال بعيد معين. وقـد تصبح بعض العادات في مجتمع معين جزءاً من القانون الرسـمي، تخـضع لقـوانين مكتوبـة ومعروفة. والفرق بين العادات والتقاليد أن التقاليد تنشأ من تقليد جيل لجيل سبقه فـي مجـالات شتى ، أما العادات فلا يشترط فيها الانتقال. وتؤدي العادات والتقاليد وظيفة اجتماعيـة إذ إنهـا تقوّي الروابط الاجتماعية والوحدة وتتصل بالمناسبات والأعياد أو الفولكلور[1].

ومما سبق نرى أن التراث هو ما خلفه لنا السلف من آثار علمية وفنية وأدبيـة، أي: مـا خلّفه لنا مجتمع الأجداد فوق الأرض وتحتها، من الأشياء، كالبيوت وآلات الحـصاد والمقـابر، وما تركوه لنا أيضا من فكر ومعتقدات، وآداب وعلوم، وأمثال وقصص، وما عرفناه عنهم مـن العادات والتقاليد والطقوس والخرافات والأساطير، والقيم، والحـرف والمهـارات، المعـارف الشعبية شتى ، التي صاغها المجتمع خلال تجاربه الطويلة، وعاشها أفراده وتعلموهـا بطريقـة عفوية، والتزموا بها في سلوكهم وتعاملهم، وكانت تمثل أنماطا ثقافيـة مميـزة، تـربط الفـرد بالجماعة، كما كانت تَصِل حاضرهم بالماضي. ومن هنا واضحا أنّ التراث يشكل هوية المجتمع وشخصيته الحضارية.

و برهن الباحثون من خلال دراساتهم، أن التراث الشعبي (الفولكلور) علم منهجي؛ لأن له برامج تحدد السبل للوصول إلى الحقيقة[2]، ومنهم من رأى التراث علما، لأنه يحـاول الوصـول لأغراضه، لا عن طريق التأملات والاستنتاجات المبنية على أفكار مجردة، يسلم بها سلفا، بـل باستخدام طرائق القياس التي تحكم عند التحليل الأخير سائر الأبحـاث العلميـة أو الطبيعيـة[3]؛ وهكذا فإن بحثنا في التراث ينطلق من رؤية عده علما، يسهم في تصحيح النظرة إلى التـراث، ويجعلنا أكثر تجنبا لمواطن الزلل أو التعثر، خلال عمليات جمع الفولكلور وتصنيفه ودراسته.

---

[1] - انظر : الجرجاني، عبدالقادر: **كتاب التعريفات**،دارالكتب العلمية، بيروت، ط 3،1988 ، ص 146.

[2] -انظر: بدوي، عبدالرحمن: **مناهج البحث العلمي**، دار النهضة العربية، 1963،ص 6

[3] -انظر: كراب، الكزندر: **علم الفولكلور**، ترجمة: أحمد رشدي صالح، دار الكتاب العربي،1998، ص 18.

أنواع التراث وفروعه

تعددت أنواع التراث وأشكاله، فيقسم (ريتشارد فايس) التراث إلى معتقدات ومعارف ، وعادات ذات ارتباطات شعبية، أما المعتقدات والمعارف الشعبية، تتصل فيما يتعلق أو يشاع عن الأولياء ، والكائنات الخارقة (فوق الطبيعية)، والسحر، والأحلام، والطب الـشعبي، و الجـسم الإنساني، و الحيوان، و النباتات، والأحجار والمعادن، والأمـاكن غيـر المأهولـة، والـزمن وعلاقته بالظروف السائدة . أما فيما يتعلق بالعادات والتقاليد الشعبية، فهـي ظـاهرة تاريخيـة ومعاصرة في آن واحد وحقيقة من حقائق الوجود الاجتماعي التي تتعرض لتغير وتجدد دائمـين تبعا لتجدد الحياة الاجتماعية واستمرارها، ومن أبرز موضوعات التراث وأكثرها شـيوعا مـا يطلق عليه الأدب الشفاهي، الفن اللفظي، الأدب التعبيري أو الأدب الشعبي والذي يأخذ أشـكالا متعددة مثل المثل، واللغز، والنادرة، والحكاية الشعبية، والأغنية كأغـاني المـيلاد والطهـور والزواج والبكائيات، والأهازيج والحداء أثناء السفر أو الحصاد أو الرعي[1].

أنواع التراث:

أولا: التراث الحضاري: وهو يشمل على كل ما تركه لنا أسلافنا من تراث مادي، مثل الآثـار البابلية والسومرية القديمة، من جرار وأواني ورسوم ونقوش.[2]وهو جزء من الهوية الدالة علـى الأمم.

ثانيا: التراث القومي: وهو يشمل الفترة الذي ظهرت فيها القوميات وأشكالها، والتـي ظهـرت على أثرها الأمم التي اعتنت بتراثها وعلمائها ومفكريهـا، كالقوميـات الرومانيـة والفارسـية والإغريقية.[3]

[1] - الجوهري ، محمد: "**دراسات في علم الفولكلور": العين الدراسات الإنسانية والاجتماعية** ، ط2، 1998، ص 39

[2] -الكفافي، عبدالحميد: مقال بعنوان "**التراث تعريفه وأشكاله وأنواعه"، المدرسة الوطنية للحفاظ علـى الآثـار والتـراث المصري**،www.facebook.com/egyptian.school.preservetioan/posts/

[3] - الكفافي، عبدالحميد: مقال بعنوان "**التراث تعريفه وأشكاله وأنواعه"**، ص39.

ثالثا: التراث الشعبي: وهو العادات والتقاليد والصناعات التي ورثناها عن الآباء والأجداد، وتعد الفنون القولية على رأس هذا النوع من التراث، وتشمل السحر والرقى والتعاويـــذ والحكايـــات الخرافية والشعبية والألغاز والنوادر والنكات ونداءات الباعة وغيرها.[1]

فروعه:

ويمكننا أن نقف على التراث عبر تحديد أبرز فروعه، فالتراث الشعبي ناتج عن تفاعل الإنسان مع الطبيعة، ومن تفاعله مع أخيه الإنسان، و بناء على ذلك فإن التراث يمثـــل حيـــاة الإنـــسان الاجتماعية، والروحية والمعاشية لكن الفنون القولية تأتي على رأس قائمة فروع الفلكلـــور، ثـــم تتعدد فروع التراث كما يأتي:

- الأمثال الشعبية: وهي أقوال حكيمة بليغة، قصيرة موجزة، مـــصيبة المعنـــى، شـــائعة الاستعمال.
- الأغنية الشعبية: وهي الأغنية النابعة من الشعب تعبر عن أحاسيسه وتـــصور حياتـــه، ويتفاعل معها بصورة عفوية، منظومة باللهجة الدارجة، وتردد مشافهة تنتقل من جيـــل لجيل.
- النكتة: تعبير شفاهي أو مكتوب قصير ساخر، يعكس مزاجية الشعب.
- نداءات الباعة: التي تعد من التراث ويشترط بها أن تكون بليغة، وذات لحن غنائي تسر السامعين وتلفت انتباههم.

[1] - نفسه 39.

وظائف الفولكلور:

لكل نوع من أنواع الفلكلور وظيفته، فالتراث الحضاري له عدة وظائف في الحياة العامة لدى الشعوب، وقد يساعد في الكشف عن جوانب كثيرة هامة في حياتها. ومن بعض الوظـــائف التي يؤدّيها الفولكلور ما يأتي:

الوظيفة الأولى وتركز على المحتوى الاجتماعي للتراث، وموقعه في الحياة اليوميـــة للنـــاس، ويتضح ذلك عندما نحدد العلاقة بين الفولكلور والثقافة، أو الدور الذي يقوم بـــه الـــراوي فـــي الحكايات الشعبية، والتي تثير بعض الأسئلة عن زمكانية العناصر الخاصة بـــالتراث الـــشعبي. فالقصص الشعبي زاخر بالقيم التي يعمل المجتمع على ترسيخها أو محاربتها، كالكرم والشجاعة والوفاء وغيرها، وهذه قيم سادت أو تسود المجتمع العربي في كل فئاته أو بعضها[1]، والوظيفـــة الثانية تتلخص بأن يقوم التراث الشعبي في الحفاظ على شعائر الجماعات الإنسانية وثقافتها، أما الوظيفة الثالثة وهي أن يقوم التراث الشعبي بدور تعليمي في المجتمعات غير المتعلمـــة والتـــي تعاني من مشكلة الأمية، فالمعلومات التي تحويها عناصر التراث الشعبي المختلفة ينظـــر إليهـــا بعين الاحترام، كما ينظر إليها البعض باعتبارها حقيقة تاريخية[2].

---

[1] -انظر: مصطفى، فاروق أحمد ومرفت العشماوي "**دراسات في التراث الشعبي**"، دار المعرفة الجامعيـــة، الإســـكندرية، ط1، 2008، ص27.

[2] -انظر: نفسه ،ص27.

الفصل الأول

العادات والطقوس الشعبية المرتبطة بمرحلة الحمل

العادات والتقاليد الني تمثل دورة حياة الإنسان:

تمثل دورة الحياة اليومية (الميلاد- الزواج- الوفاة) دورة كاملة للعادات والتقاليد الشعبية الفلسطينية؛ ونحن ندهش من عراقة هذه العادات والتراث الشعبي وقدمها التي تتعزز في نفوس أبناء المجتمع مع تكرار هذه المناسبات، فقد غدت أنماطاً تمثل قوة وقانونًا اجتماعيًا مترسخاً في النفوس يصعب الخروج عليها والانفكاك منها[1].

ويمكن تقسيم تلك العادات إلى ثلاثة أقسام وهي:

1 -العادات الخاصة بالإنسان منذ الحمل والولادة حتى بلوغ سن الرشد.

2 - العادات المتعلقة بالزواج وإجراءاته وبيت الزوجية.

3 - العادات المتعلقة بظاهرة الموت، وبجميع الإجراءات المترتبة على الوفاة حتى دفن الميت.

وإذا ما تتبعنا العادات التي تمتد جذورها في حقب موغلة في التاريخ، فإننا ندرك أهمية دراستها من أجل توطيد العلاقة بين ماضي الشعب الفلسطيني وحاضره، وربط هذا الحاضر بتطلعات الشعب المستقبلية[2].

أما عن عادات الميلاد والتنشئة الإجتماعية فهي تختلف من مكان إلى آخر، استجابة إلى خصوصية البيئة، فهي في الريف مغايرة نسبيا لما هي عليه في البادية، وهي في المدينة مغايرة نسبيا كما هي عليه في الريف وفي البادية، لكن الجوهر يظل واحدا لأننا عرب، ولأن العملية

---

[1] - الجوهرى، محمد: **مقدمة فى دراسة التراث الشعبى المصرى**، جامعة القاهرة، ط1، 2006، ص41

[2] -جبر، يحيى، وحمد، عبير: **أبحاث ودراسات في الأدب الشعبي**، جامعة النجاح الوطنية، 2015، - http://blogs.najah.edu/staff/yahya- jaber/article/article

واحدة فهي تبدأ بالحمل ثم بالوضع ثم العناية بالوالدة والمولود حتى يبلغ سن الرشد، وعليه سيتم توضيح العادات والطقوس المتعلقة بالحمل.

عادات الحمل وتقاليده

على الرغم من أثر البداوة في النظم الاجتماعية العربية، إلا أن المرأة كانت ومازالت مبجلة بينهم، لا سيما إذا كانت أماً، فقد جاء في الوصايا العشر[1]" أكرم أباك وأمك" دون تمييز بين الوالدين[2]، لكن على الرغم أيضا من تطور دور المرأة في المجتمع، إلا أن النظرة اليها لم تتغير في كونها وعاء للحمل والإنجاب، لذا يحرص الفلسطينيون بشكل خاص وأفراد المجتمعات العربية بشكل عام على اختيار المرأة الولود التي عرف عن والدتها أو جدتها كثرة الإنجاب، أو تلك التي تزوجت وأنجبت من قبل، ولهذا بعد ديني فقد أكد الرسول عليه السلام على ذلك في حديثه الشريف، فقد ورد عن معقل بن يسار، جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله إني أصبت امرأة ذات حسب وجمال لكنها لا تلد، أفأتزوجها؟ فنهاه، ثم أتاه الثانية، فقال مثل ذلك فنهاه، ثم أتاه الثالثة فقال مثل ذلك، فقال صلى الله عليه وسلم: تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم ولا تكونوا كرهبانية النصارى"[3].

فحب الإنجاب كان ومازال فكرا اجتماعيا قابعا في العقليات العربية والعالمية على حد سواء، لذا فإن النظرة إلى المرأة ترتبط بالإنجاب والتكاثر، فدونها لا يتم التوالد واستمرار الكيان الاجتماعي، وهذا ما لمحته في الأقوال الشعبية الموروثة فقيل:

"المرة جيابة لولاد"

و **" النسوان وديعة الأجاويد"**

---

[1] - هي وصايا أعطاها الله لشعب إسرائيل بعد الخروج من مصر، وتعتبر هذه الوصايا ملخصاً لعدد كبير من الوصـــايا(حوالي 600 وصية) موجودة في الشريعة أو العهد القديم.

[2] - انظر: موسكاتي: **الحضارات السامية القديمة**، ت: يعقوب بكر، دار الرقي -بيروت، 1986، ص169.

[3] - البيهقي، أبو بكر: السنن الكبرى، ت: محمد عبد القادر،ج7، دار الكتب العلمية، بيـــروت، لبنـــان،1994،ص 125. وانظر الألباني، محمد ناصر الدين: **آداب الزفاف في السنة المطهرة**، ط1، المكتبة الإســـلامية، الأردن، 1409ه، ص 132.

كما أوكل إلى المرأة تربية الأطفال والعناية بشؤون البيت، وفضلت بذلك عن الرجل فقيل

"الزلمة جنى والمرة بنى"

و **"ريحة الأم بتلم وريحة الأبو بتخم"**

لذا فإن صلاح المجتمعات لا يمكن أن يتم دون صلاح المرأة وحسن تربيتها لأبنائها، فنرى الزوج يبحث عن المرأة الصالحة للارتباط بها فقيل:

"بنت الأجاويد ولو بارت"

و" أدب المرة مذهبها مش ذهبها"

و" فلانة لقمتها هنية وقعدتها رضية"

فوجود المرأة بالبيت أمر ضروري لا غنى عنه فقيل:

" لو بتسخم الحيط بإيدها بالبيت بتضل مرة"[1].

كما دفع حب المجتمعات العربية للإنجاب والنسل الرجل إلى تعدد الزوجات، فطبيعة الحياة الفلاحية تحتاج إلى أيادٍ عاملة للقيام في أمور الأرض والعناية بها، فلم يجد الرجل أحق من أبنائه في تلك المهمة، فتجد في القرية عدة أشخاص قد تزوجوا بأكثر من امرأة من أجل هذا الهدف، ففي قرية ياصيد[2] نجد ما يزيد عن عشرة أشخاص لجأوا إلى تعدد الزوجات، و وضح المثل الشعبي مساوئ ذلك في أكثر من مقام فقيل:

" أول مرة سكرة وثاني مرة مرمرة وثالث مرة تودي ع المقبرة" .

---

[1] - مقابلة شخصية: نجيبة مشاقي، قرية ياصيد، عمرها 68 سنة، 26\2\2016م

[2] - قرية فلسطينية تقع في الشمال من مدينة نابلس على مسافة 15 كم

" أول بختك كرسي تحتك، وثاني بختك داري وقتك، وثالث بختك لا فوقك ولا تحتك" ، أي أن الزواج بأكثر من امرأة سيؤدي الرجل إلى الإفلاس.

وهذه الأمثال تضرب لبيان أن الزواج الأول أثبت زواج والثاني يقتضي من الزوج الكثير من المداراة والمسايرة والثالث سيهلك كل ما يملكه من مال لكثرة إنفاقه على الزوجة الجديدة وتدللها عليه[1]، وهذا ما جعل الزوج يندب حظه مرددا المثل" بين حانا ومانا ضاعت الحانا"[2].

ولهذا أبعاد أسطورية؛ إذ يتشابه مع تصنيفات النساء التي ذكرتها لنا أسطورة الطوفان، عندما نجت ابنة سيدنا نوح معه في السفينة، حتى جاء ذات يوم رجل يخطب ابنته، فطلب منه سيدنا نوح أن يهيئ لها مسكنا مناسبا، فقبل الخاطب فذهب ووعده بالعودة لكنه لم يعد، وفي تلك الفترة جاءها خاطب آخر فاشترط عليه نوح ما اشترط على الأول واتفقا على موعد يعود به لكنه أيضا لم يعد، فجاء خاطب ثالث لديه مسكن جاهز فزوجه إياها وذهب الزوجان ليعيشا معا، لكن بعد فترة قصيرة عاد الخاطب الأول فاحتار نوح في أمره، فدعا الله عز وجل أن يبدل حمارته بصبية تشبه ابنته، فاستجاب الله لدعوته، فتحولت الحمارة إلى صبية وزوجها للرجل، ثم فيما بعد عاد الخاطب الثاني فاحتار نوح من جديد فدعا الله عز وجل أن يحول كلبته إلى صبية تشبه ابنته فاستجاب الله له مجددا وزوج تلك الفتاة للخاطب الثاني ورحل الزوجان، فهكذا أصبح في العالم ثلاثة أصناف من النساء: التي تخاف الله وتعين زوجها على متاعب الحياة، وتلك الغبية التي يسيرها الرجل بالعصا كما يسير الحمارة، وتلك السليطة التي تطوف البيوت وتبحث عن الأــخبار وتنقل الكلام بين الناس[3].

وقد تميز الإرث الأسطوري الفلسطيني بتضمنه مرويات حول حب المرأة الأزلي للأمومة، فحدثتنا تلك المرويات عن سيدنا آدم الذي كان يعمل في الحقل، بينما كانت حواء في البيت وسمعت صوت طفل يصرخ، فخرجت حواء ووجدت طفلا جميلا يبكي فأخذته واعتنت

---

[1] -انظر: عطا الله، عيسى: **قالوا في المثل**، جمعية الدراسات العربية، القدس، ص114

[2] - انظر: نفسه، ص111.

[3] - انظر: سرحان، نمر: **الحكاية الشعبية الفلسطينية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974، ص112.

به، وعندما رجع سيدنا آدم للبيت غضب لمرأى الطفل وأخذه وأغرقه بالنهر وفي اليوم التالي جاء إبليس وأخرج الطفل من النهر وأعاده إلى حواء التي اعتنت به مرة أخرى، وعاد آدم وأحرق الطفل بالنار، وفي اليوم الثالث عاد إبليس وأخرج الطفل من النار وأعاده إلى حواء فاعتنت به مرة أخرى، وعندما جاء آدم وجد أن لا سبيل للتخلص من الطفل إلا بطبخه وأكله، فعاد إبليس وأخذ ينادي الطفل فرد من داخل أحشاء آدم وحواء صوتان يقولان معا: " أنا هنا بخير" [1].

وبناءً على ذلك، فإن المرحلة المباشرة التي تأتي بعد الزواج في تراثنا الشعبي الفلسطيني؛ مرحلة الانتظار للحمل وهي مرحلة قلق وضغط كبير على الزوجين؛ بل هي أثقل وزنا على الزوجة من غيرها، لأنه غالبا ما يكون سبب تأخير الحمل هو الزوجة بحسب المعتقدات الشعبية، وإذا ثبت أنها غير قابلة للحمل تتهم بالعقم[2]؛ لذا نجد أن غالبية النساء تلجأ إلى طرق عدة من أجل الحمل والإنجاب.

الطقوس التي لجأت إليها المرأة في ريف نابلس من أجل الإنجاب:

الطقس كلمة لاتينية تعني عادات وتقاليد مجتمع ما، وتشمل الإحتفالات والمراسيم التي تستدعي معتقدات تكون خارج الإطار التجريبي، وهو خلق لماض غامض غالبا، لكنه يأخذ معناه عند الذين يستخدمونه على أنه فعل ديني[3]، لذلك لجأت المرأة في ريف نابلس إلى طقوس عدة لتعالج نفسها من العقم.

فقد عانت المرأة العاقر أشد معاناة من نظرة المجتمع المتوجهة نحوها، فقد نظر إليها على أنها أرض جدباء، فلم تسلم من ألسنة الناس ولا حتى من نظرات الشفقة التي كانت تسدد لها، وقالوا في حقها أمثال كقولهم:

---

[1] - انظر: سرحان، نمر: **الحكاية الشعبية الفلسطينية** ، ص108.

[2] - انظر: قمحاوي، وليد: **ترمسعيا دراسة في التراث**، جمعية إنعاش الأسرة، البيرة، ص46

[3] - زكية، خليفة: **الأشعار والطقوس الجنائزية في منطقة وآقثون مقاربة انثروبولوجية وظيفية**، الجزائر، جامعة مولود معمري، كلية الآداب قسم اللغة العربية، ص11.

"الشجرة اللي ما بتثمر حلال قطعها"، أي المرأة التي لا تنجب يفضل تركها.

فالويل للمرأة العاقر والتي قد يكون مصيرها أن تذهب إلى بيت أهلها وعدم العودة، أو أن يتزوج زوجها إمرأة أخرى بدلا منها[1]، لذلك نرى والدة المرأة التي لا تنجب مهمومة ويعتلي الحزن ملامحها فنجدها تردد:

يا حين الصبايا واردات الوادِ

ياحين فلانة تمشي بلا ولادِ

يا حين الصبايا واردت االعينِ

يا حين فلانة تمشي بلا بنين

يا حين الصبايا واردات المية

يا حين فلانة تمشي بلا ذرية[2]

وهذا يدفعها الى فعل المستحيلات لإبنتها من أجل أن تنجب، وهذا الأمر لا يقتصر على المرأة في ريف نابلس بشكل خاص، بل يمتد إلى النساء كافة في المجتمعات العربية، فالعقم عند المصريين داء يهتم كثيرا بأمره، فالمرأة العقيم لا يحبها زوجها وينظر إليها نظرة تختلف عن نظراته للمرأة الولود، لذلك يشغل العقم بال الرجال والنساء على السواء ويلجأون إلى أنواع مختلفة من العلاج، فقد تذهب النساء إلى بعض المقابر المهجورة، وقد تلد المرأة بسبب ذلك ولكن ليس بسبب سر المكان وإنما بسبب سر السكان[3]، أي بسبب من لا أخلاق لهم، وبعض

---

[1] -كنعان، توفيق، مقال بعنوان" **الطفل في الخرافات العربية والفلسطينية**، منتديات الشاعر عمر القاضي، شبكة بوابة فلسطين الإعلامية، الخميس، 4فبراير 2010 الساعة 2.36 مساءا

[2] - كناعنة، شريف: **الإنجاب والطفولة**، ص36.

[3] - انظر: أمين، أحمد: **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م، ص 278.

النساء تعالج العقم بالحجب واللجوء إلى الفتاحين والشيوخ وقد تمر المرأة فوق القتيل من أجل أن تنجب، لذلك تذهب النساء إلى المشافي إذا علمن وجود قتيل فيها لتخطيه.[1]

لقد حرصت القبائل القديمة على تكاثر النسل دون أن يعوا تحليل عملية التكاثر نفسها، فسكان جزائر تروبرياند، لا يعزون حمل المرأة إلى الاتصال بين الذكر والأنثى؛ بل يعللونه بدخول شبح في جوف المرأة، وإن هذا الشبح يدخل جوفها وهي تستحم[2]، وقديما ربط الإنسان بين المرأة والأرض المخصبة، وشاكل بين خروج الوليد من بطن أمة وإنبات العشب من باطن الأرض، وما رضاعة الطفل من ثدي أمه إلا صورة مشابهة لتغذية الإنسان من نباتات تلك الأرض[3].

وقد لجأت المرأة في ريف نابلس إلى التداوي بالطب الشعبي من العقم، حيث أصبح الطب الشعبي شأنا من أكثر الشؤون التصاقا بالفلكلور بسبب قلة المنافسة من العلوم الاجتماعية على هذا الباب، وقد بدأت العلوم الحديثة بالأخذ من الأدب الشعبي أكثر مما تعطيه، وبالطبع فإن للطب الشعبي أشكاله ومدارسه الواسعة والكثيرة، من طب فسيولوجي (كالكي أو التجبير أو التدليك...الخ) إلى الطب النفسي أو الروحاني الذي يعتمد على القرآن والتعاويذ و الرقى والطلاسم التي لا يفهم معناها، بالإضافة إلى الطب النباتي.[4]

العقم في الموروث الشعبي الفلسطيني ابتلاء يصل الى درجة المرض، فالمرأة العاقر ، تفقد أول وظائفها الأساسية في الحياة، وبالرغم من أن العقم قد يكون من أحد الزوجين، الذكر والأنثى، إلا أن المرأة هي من يتهم به أولا وأخيرا، فهذا زكريا صلى الله عليه وسلم يقولُ:

---

[1] - انظر: أمين، أحمد: **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، ص278.

[2] -انظر: ديورانت، ول وايريل: **قصة الحضارة**، تق: محيي الدين صابر، تر: زكي نجيب محمود، ج1، بيروت، ص 57.

[3] - انظر: صالح، عبد العزيز: **الشرق الأدنى القديم**، ط4، القاهرة، مكتبة الأنجلو الأمريكية، 1987، ص 309.

[4] - انظر: المطور، عزام أبو الحمام: **الفلكلور التراث الشعبي" الموضوعات، الأساليب، المناهج"**، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1، 2007، ص73

{وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ}[1] {وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا}. [2]، وقد شاع عند المصريين العلاج بالطلاسم والرقى والأحجبة والتعاويذ[3].

ويمكننا تحديد أبرز طقوس الإنجاب التي ظهرت في الموروث الشعبي في الآتية:

ويمكننا تحديد أبرز طقوس الإنجاب التي ظهرت في الموروث الشعبي في الآتية:

اللجوء الى الآلهة:

تلجأ المرأة في ريف نابلس إلى مقامات الأولياء الصالحين المتواجدة في العديد من القرى لعلاج العقم والتشفع والتبرك بهم، وقد رأيتُ أن هذا الطقس هو امتداد للجوء الإنسان للآلهة من صور لجوء المرأة إلى الآلهة في الزمن القديم . فزيارة المقامات تعود الى اعتقاد شائع في الموروث الشعبي الفلسطيني أن من مات فيها تبقى روحه قلقه مضطربة تنوح في المكان نفسه الذي مات فيه، بالرغم أن هناك عددًا لا بأس به من القبور التي قُتِلَ أصحابها أيام الإنجليز ولم تُعرف أسماؤهم، فقد كانوا غرباء، تصادَف وجودهم في المنطقة في أثناء دفاعهم عن فلسطين في ذلك الوقت[4].

وتروي الحاجة فاطمة عن طقوس زيارة المقامات والدعاء والطلب من الأولياء لتسهيل الإنجاب والحمل، مثل مقام النبي داوود، ومقام النبي رباع، في منطقة روجيب[5]، "... بقينا نروح أنا وأمي نولع سراجات فيه ليلة الخميس، وبقين ينذرن إذا فلانة حبلت لروح أظويه... واللي بقى بدو إشي من ربنا يجيب هالقماش ويربطه ع المقام وبقوا يسموا هاي القماشة خلعة".[6]

---

[1] - القرآن الكريم، آل عمران، آية 40

[2] - القرآن الكريم، مريم، آية5

[3] - المعلوف، عيسى إسكندر: **تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة**، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص14.

[4] - ينظر: طه، نضال فخري: **الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2011.، ص35.

[5] - روجيب قرية تقع إلى الشرق من مدينة نابلس على بعد 15 كم.

[6] - مقابلة شخصية: فاطمة مصطفى عبد الحفيظ أبو عيشة، 70 سنة، روجيب ، 2015-1-23 .

ولم يخل الأدب الشعبي الفلسطيني من ذكر دور الأولياء والصالحين في حياة الناس، فتردد النساء أثناء تواجدهن بالمقام:

طيحي ارقصي يا بنية بيظه يَم اعيون السود

مِن عَوّظ لله عليكي اذبيحه للنَبي داوود

طيحي ارقصي يا بنَية بيظَه يّم اعيون ملاح

مِن عوّظ لله عليكي اذبيحَه للنَبي جَرّاح[1] .

وهنا تنذر المرأة في حالٍ أنجبت، أن تذبح الذبائح على مقام النبي جراح، لأن الذبائح قربان تتقرب بها النساء لأصحاب تلك المقامات.

وتقول أخرى:

جايين نزورك يا خضر   جايين نزورك ياهي

تقبل نزورك يا خضر   تقبل نزورك يا هي

وافتح بوابك يا خضر   واستقبلنا شو عليه[2].

وتشير هذه المقطوعة إلى عادة زيارة مقام الخضر والتبرك به، فالمرأة التي تغنيها تأمل منه أن لا يردها خائبة، و أن يفتح أبواب مقامه ويستقبل زواره ليباركهم.

فهذه الطقوس في الموروث الشعبي الفلسطيني هي نوع من الإيمان بدور الآلهة في حياة الإنسان، وقوتها وتأثيرها عليه، فهي تعد قوة غاضبة، توقع البلاء بالإنسان، ودوره يكمن في إرضائها، فكل ما يحرم منه الإنسان يمكن للآلهة بأن تعوضه إياه، تقول الحاجة فاطمة عن قوة روح الأولياء الصالحين..."ومرة واحد من بلدنا ولع نار عند باب النبي داهوود وأجت النار ع

---

[1] - انظر :عراف، د. شكري، **المقدسة طبقات الأنبياء والأولياء والصالحين في الأرض** ، مطبعة إخوان مخول، ج2، ط1، 1993 ،ص564.

[2] - مقابلة شخصية: باسمة مشاقي، ياصيد، 55 سنة، 28-5-2017.

قلب المقام وقامت ما مرقت جمعة إلا بنته ولعت مثل البنزين وبقى عمرها ثمنطاشر سنة وشقرا بتجنن بقولولها مريم الشحتوت، أخذوها ع المستشفى مش مبين منها إشي وكل هاذ عشان أحرق في النبي داهوود، ومرة واحد من بلدنا بقى يبني قام احتاج لثلاث أربع حجار وراح جابهن من بابه وبناهن في داره، بقالو ولد عمره15 سنة اسمه أنور ما وعييوه إلا مصفرن وميت، سألوه أهل البلد شو سويت قالهم أخذت حجار من النبي رباع، بس بعد ما مات ابنه هد السور ورجع الحجار اللي أخذهن منه وقله خذ ربع يا شيخ رباع" وبقوا يجيبوا قماش أخظر ومكتوب عليها الله، واللي بقى بدو إشي من ربنا يجيب هالقماش ويربطه ع المقام وبقوا يسموا هاي القماشة خلعة".[1]

وهذا يشير بوضوح إلى أن ارتكاب الخطيئة بحق الآلهة له عقاب شديد منها وذلك الخطأ يكون مدعاة لغضبها منه، ففي أسطورة (نركال وأرشيمال) نجد معاقبة الإله (نركال) جاءت لعدم التزامه بالتقاليد المتعارف عليها بين الآلهة، فعندما جاء ممثل العالم الأسفل الى العالم العلوي، استقبلته الآلهة بحفاوة وانحنوا له، لكن (نركال) بقي في مكانه غير مكترث على الرغم من أن الإله (إيا) غمزه بعينه مرات عديدة ليشعره بوجوب الوقوف، لكنه تصنع بعدم فهمه للإشارة، فالخطيئة التي أرتكبها (نركال) تعد خطيئة متعمدة تستحق العقاب فنفي إلى العالم الأسفل[2] كما أن المساس بكل ما يتعلق بالآلهة يعرض الآخرين للعقاب، فالنسر في اسطورة الملك (ايتانا) لم يستمع لنصيحة أحد فراخه بأن لا يأكل فراخ الثعبان، قال الفرخ:

إياك يا أبت أن تأكلهم
فالشر لك التي عندها
أدي قسم شمش
سوف تقلبك رأسا على عقب وتمسك بك
أن من يتعدى على الحدود التي وضعها شمش
فإن شمش سيسلمه إلى الجلاد ليعذبه

---

[1] - مقابلة شخصية: فاطمة عبد الحميد، روجيب.

[2] - سمار، سعد عبود و علي فاضل نهير: **مبررات العقاب الإلهي في العراق**، مجلة كلية التربية، العدد 12، ص132.

إلا أن النسر لم يلتزم بالعهد الذي بينه وبين الإله شمش(ألا يتعدى إحداهما على الآخر) فقام بأكل الصغار لينال عقابه فيما بعد من الإله شمش الذي استخدم الثعبان لتنفيذ ذلك العقاب[1].

ويربط الموروث الشعبي الفلسطيني بين العقم وغضب الآلهة أو عدم رضاها، فهناك الإله (آنو) والإله(انليل) هما من يأمران بإحداث الأمراض، ويستخدمان في ذلك آلهة النار(كيرا، ونسكو) وآلهة العالم السفلي المختصة بالأمراض، لكن الغريب في الأمر أن الأساس الفكري الذي يقوم عليه الشفاء من العقم مشابه للأساس الذي يقوم عليه السحر، حيث يقوم الكاهن بالتوسط بين العبد والآلهة، وتطلب من الآلهة أن تشفيه، ويتعهد هو بالنيابة عن العبد بالقيام بواجباته نحو الآلهة كما يجب، فتأمر الآلهة الشياطين لتكف أذاها عن المريض، فيحتاج المريض إلى بعض الأمور الطقسية من بخور وغيره.[2]

ومما يجدر به الذكر، أن معظم مقامات الأولياء الصالحين كانت تبنى في القرب من الأشجار، لذلك كان التقديس يصل به الحد إلى تقديس تلك الشجرة، فالشجرة قديما كانت رمزا للكون، فهي تنمو عمودية وتجدد أوراقها كل سنة وتمتلك قوى مقدسة، تموت ثم تعود للحياة؛ أي تلعب لعبة القيامة، وكان الكنعانيون يقدمون القرابين تحت الأشجار الخضراء، وفي بابل كانت الشجرة مقر آلهة الخصب، أما لدى المصريين فقد كانت الشجرة حاملة الأذرع الإلهية والمسؤولة عن الخصب والعطاء، وفي بعض القبائل الإفريقية رمزت الشجرة الى الآلهة الأم فقدستها النساء، كما أن الشجرة تمثل عشبة الخلود وعشبة تجدد الحياة، وروي عن شجرة بالهند تعالج العقم لدى النساء، وفي أسطورة يابانية روي عن أخ وأخت نجا من الطوفان وتزوجا وأنجبا عشبة نبتت منها كل الأصناف البشرية[3]

---

[1] - سمار، سعد عبود و علي فاضل نهير: **مبررات العقاب الإلهي في العراق**، ص 141.

[2] - انظر: الماجدي، خزعل: **بخور الآلهة" دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين"**، الأهليــة للنــشر والتوزيــع، عمان - الأردن، ط1، 1998، ص145 .

[3] - نعمة ، حسن: **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم المعبودات القديمـــة**، دار الفكــر اللبنـــاني، بيروت، 1994، ص29.

بدأ العالم القديم من وجهة نظر السومري والبابلي "مكون من عالمين أساسيين: الأعلى (عالم الآلهة) الذي يحتوي على آلهة قاسية تأمر بالمرض وآلهة شافية تأمر بالشفاء، والأسفل (عالم الشياطين) الذي يحتوي على شياطين تحْدِث المرض، والإنسان بين هذين العالمين عالم ثالث يسير وفق ضوابط وموازين وشرائع وسنن، فإذا أخل بها شعرت الطبيعة أن نواميسها اخُترقت، عندئذ تقوم الآلهة بعقاب الإنسان وتقوم آلهة العالم الأسفل باستلام أمر العقاب فُتسَخِر الشياطين لتنفذه[1]. كما أن خوف الناس من الآلهة، ومحاولة هروبهم من غضبها المتمثل بالكوارث الطبيعية؛ دفعهم إلى إقامة الطقوس والمعتقدات والشعائر لنيل رضاها[2].

فاللجوء إلى الآلهة هو ما يشفي من مرض العقم عند المرأة ويرجع إليها وظيفتها في الإنجاب والولادة. فتلجأ المرأة في كثير من الأحيان إلى رجال الدين الذي يعالجون بالقرآن على شكل أحجبة وغيرها، وقد تلجأ إلى السحرة والمشعوذين وإلى طقوس سحرية عديدة، ويبدو لنا أن الطب مندمجٌ بالسحر، ويدل على ذلك ظهور شخصية الشامان(الطبيب الساحر) الذي يعد أحد سمات الشعوب البدائية[3] .

العلاج بالقرآن والسحر والذهاب إلى الفتاحين:

ترى النساء أن العقم لعنة سماوية[4]، لذا كن يبحثن جاهدات عن من يعالجهن، فيذهبن إلى الكهنة والسحرة لاعتقادهن بالقوى الخارقة لهؤلاء الأشخاص المتصلين بالآلهة، تماما كما كـــان يحدث عند اليونانيين، فقد كان (لأبولو) -إله النور والكهانة- معبد على ســـفح جبـــل البرنــــاس ينبعث منه بخار يحدث لمستنشقه سكرا موقوتا، فكانت تقعد النساء فوقه ولا تقل ســـن الواحـــدة منهن عن الخمسين بعد أن يتطهرن بأن يشربن من ماء ينبوع كاسوتيس ويعلكن أوراق الغــــار، وكانت تلك النساء هواتف (أبولو) يقصدهن الناس ليجبن على أسألتهم المبهمة مقابل مبلـــغ مـــن

---

[1]. انظر: الماجدي، خزعل: **بخور الآلهة"دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين"** ، ص144.

[2] - انظر: إمام، إمام عبد الفتاح: **معجم ديانات وأساطير العالم،** مجلد 1، مكتبة مدبولي، القاهرة، ص12.

[3] - الماجدي، خزعل: **بخور الآلهة" دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين"**، ص118.

[4] - انظر: كنعان، توفيق: **الكتابات الفلكلورية**، ترجمة موسى علوش، دار علوش للنشر، بيرزيت، ط 1،1998، ص170

المال[1] وكان لهؤلاء السحرة والكهان طقوس خاصة بالكهانة لاسترضاء الآلهة، فكانوا يستخدمون البخور والتعاويذ والتمائم لطرد الأرواح الشريرة[2]، ويكون الكهان بمثابة وساطة بين المريـضة والآلهة والتعهد بالقربان والعبادة نيابة عنهـا[3]وكانت النساء تنذر بذبح خاروف وتذهب به إلى مقامات الأولياء الصالحين، إذا أنجبت؛ وهذا شكل من أشكال القرابين التي كان يقدمها سكان البادية قديما للآلهة، وكانت المرأة تقدم باكورة أغنامها قربانا للآلهة[4].

وربط الناس قديما بين العقم و الشياطين والقرائن التي تمنع الحمل وتهاجم النـساء الحوامـل وتتسبب في إجهاضهن وتقتل الأجنة والأطفال الرضـع، وهـي تـستطيع أن تـتقمص عـدة شخصيات، وتأتي في الأحلام على شكل بقرة مثلا [5] ويُطلق عليها سـكان فلـسطين التابعـة أو القرينة، ويعتقد الناس أن كل إنسان يولد له قرينة إما ذكرا أو أنثى ؛ لذلك يقولون لمن تزحلـق على الأرض "اسم الله عليك" ولهذا بعد ديني إسلامي؛ ورد بالقرآن الكريم قوله تعالى" قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ"[6] فيدل قوله تعالى على وجود قرين لكل إنـسان يمنـع عنه الخير. وكثيرا من النساء يعتقدن أن أولادهن أحيانا يبدلن بولد آخر من أولاد الجن، وتروي الحاجة نجيبة" في جارتنا اسمها السمرة دارهم بقت مسكونة ونسمع فيها أغاني كل ليلة خمـيس يبقوا بسم الله الجن عندهم عرس، ويوم جابت ابنها ناجي المعتوه هاد جابته أبيض أبيض بجنن، ما ضربت أسبوعين زمان قام الولد اتغير شكله وطلع مجنون قامت إمه قالت ابني اتبدل مع ابن الجن لأنها بقت تشوف الجن بدارها"[7] فكان اعتقاد الكثير من النساء بأن ابنها تم استبداله بالجن سببا لنفورهن منه، واحيانا يزداد نفورهن إلى حد الفرار وأحيانا يشتد نفورهن فيذهبن بالولد إلى مقبرة من المقابر فيضعنه فيها وهو حي ثم يذهبن في الصباح للكشف عليه وقد يجدنه أكله الذئب

---

[1] - انظر: البستاني، كرم: **أساطير شرقية**، دار مارون عبود، لا يوجد بلد نشر، 1981، ص137

[2] - انظر: الماجدي: **بخور الآلهة**، ص 145 - 146.

[3] - أنظر: نفسه: ص 144

[4] - كناعنة، شريف: **الانجاب والطفولة**، ط1، جمعية إنعاش الأسرة، البيرة، ،1984 ص 58 .

[5] - انظر: بدران، سلوى إبراهيم خماش: **دراسات في العقلية العربية** ، دار الحقيقة، بيروت، 1979 ، ص 31 .

[6] - القرآن الكريم: سورة ق، آية 27.

[7] - مقابلة شخصية: نجيبة محمد، ياصيد.

أو نحوه؛ فيعتقدن أن الجن اختطفه[1]. وتروي الحاجة ندى عن هذا الأمر وتقول: "وفي نسوان بقو يقولوا إنها متبوعة يعني بسم الله إلها قرينة، في وحدة من سيريس[2] يطيح الولد من بطنها مثل الخاروف وما توعى إلا شهق شهق ومات قدام أهله، ماتلها الأول والثاني والثالث والرابع، أربع ولاد راحولها وقالولهم الشيوخ إنها متبوعة(يلاحقها جان) ولازم تتعالج بالقرآن لأنه بعد القرآن مفش وخلو المرة نفسها تقرا قرآن وتصلي وبإذن الله عاشلها ولدين"[3] فاللمعتقدات المتعلقة بالسحر والتعاويذ جذور كنعانية اختلطت بها الأسطورة بالدين وشكلت أحد أهم ملامح الحياة الاجتماعية قبل آلاف السنين[4]، فقد تعددت القصص أمام الباحثة حول لجوء الكثير من النساء إلى الشعوذة وفك السحر -حسب اعتقادهن - فقالت الحاجة ندى: "وبقت المرة اللي يموتلها ولاد تروح تعمل تحويطة عند الشيوخ ويعملولها حجابات، في ببلدنا أم شحادة بقى يعيشلها بنات والولاد يموتوا قالولها جيبي من سبع فاطمات يعني سبع نسوان اسمهن فاطمة فاطمة، قالولها جيبي من كل وحدة منهن ابرة وخيط وشقفة قماش وخيطي للولد فستان منهن"[5]

وأخذت الحاجة نجيبه محمد من قرية ياصيد تروي حكاية زوجة ابنها البكر فقالت: " بقت تيجي وهي حامل تقلي ياعمتي بضل أحلم أنه في بقرة بدها تنطحني في بطني، قلتلها هاي قرينتك بتغار من اللي بطنك، ظلي اقري قرآن قبل تنامي[6]'

وإذا كانت المرأة متبوعة يعمل لها بالإضافة إلى الحجاب، الحوطة أو التحويطة؛ وهي عبارة عن ورقة مستديرة مفرغة من الوسط وتملأ بالكتابة وتوصى المرأة أن تطوي الحوطة وتجلدها وتعلق في رقبة الطفل، " ... وبقت تضل التحويطة في رقبة الولد تا يقيمها هو لحاله

---

[1] - أمين، أحمد: **قاموس العادات والتقاليد والتعابيير المصرية**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 310.

[2] - قرية فلسطينية تقع إلى الجنوب من مدينة طوباس وتتبع لها وتبعد حوالي 22 كم عن المدينة.

[3] - الحاجة ندى محمد، 68 سنة.

[4] - الباش، حسن، : **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، ط1، دار الجليل،بيروت، ص161.

[5] -مقابلة شخصية: **الحاجة ندى أحمد محمد**، 68 سنة، 9 -12 -2015م.

* يموتون أطفالها بعد الولادة.

[6] - مقابلة شخصية: الحاجة نجيبة محمد ذياب، ياصيد، 68 سنة،2015/2/22م.

ويرميها[1]" وقالت السيدة فايزة اقطيط أنها كانت (متبوعة) وأنها تحلم بأن هناك أفعى تريد خنق أو قتل جنينها" ... بقيت بس أحمل بولد أعرف لحاي من القرينة لأنها بقت تيجيني حية بالليل وأشوفها بدها تقتل اللي ببطني وما تضرب يومين ثلاث إلا أنا منزلة ولد ، أما في البنات لـع بقيتش أشوفها وأخذتني حماتي ع شيخ من سيريس قرا عليي آيات قرآن وأعطاني مسبحة أسماء الله الحسنى وأعطاني حوطة من مخدة صغيرة وفي بقلبها موس ملفوف بخيطان... ولحد هسا عندي الحوطة ما بخلي حدا يصيبها لأنه إذا حدا خربها أو صرلها إشي بتفشل التحويطة تبعتها"[2]

وقد كان لهذه المعتقدات أصول في الحضارات القديمة، ففي معتقدات بلاد الرافدين نجد شياطين الأمراض المنحدرين من العالم الأسفل، ويمكننا أن نعثر على أشخاص أو فئات منهم مثل: الأوتكو (الأشرار المعروفون بالسبعة) والذين يعيشون في المقابر والصحاري والجبال(سبعة، إنهم سبعة، في الأعماق إنهم سبعة في السماء إنهم سبعة، موضوعون في الأعماق لا يعرفون رحمة ولا شفقة، ولا يسمعون التماسا ولا دعاء، إنهم خيول ربيت في الجبال.. معادون لأيا، إنهم حاملو عرش الأرباب... ولعرقلة الطريق يرمون أنفسهم بالطريق. إنهم أشرار أشرار، إنهم سبعة عددهم سبعة، مرتين سبعة) وهؤلاء السبعة يختلفون عن السبعة حراس أبواب الجحيم وهم(يندو، كشار، أنداشرما، أنرلا، أندكا، أندشبا، أنكيكي) ، وكذلك يختلفون عن الآلهة السبعة العظام (سبيتو) الذين هم من أصل إلهي، ولكنهم يمنعون الأطفال من الولادة ويقتلون الطفل الحديث الولادة[3]، وهناك (آخزو ولاباشو وليبارتو) الذين يهاجمون الأطفال ويسببون لهم الأمراض، وهناك (بازوزو) الذي يهاجم النساء أثناء الولادة ، و(ومشتو) يهاجمهن أثناء الرضاعة والحمل، وكان هؤلاء الشياطين يلاحقون الناس لإلحاق الأذى والضرر بهم وكان الناس يلوذون إلى معبد بيت رمكي للتخلص من ملاحقتهم، فكان في المعبد كاهن يقوم بمراسيم لطرد الشياطين والأرواح الشريرة وساعده كائن مختص بطقوس التطهير[4]، وهذا يتشابه إلى حد كبير بالقرينة التي تؤمن بها النساء في تراثنا الشعبي، فهناك قرينة تمنع إدرار الحليب مما يدفع

---

[1] - مقابلة شخصية: مقابلة شخصية: الحاجة نجيبة محمد ذياب، ياصيد.

[2] - مقابلة شخصية: السيدة فايزة اقطيط، سيريس، 55 سنة، 8-8-2016.

[3] - الماجدي، خزعل: **بخور الآلهة**، ص 215.

[4] - الماجدي، خزعل: **بخور الآلهة** ، ص 216 - 217.

المرأة للذهاب إلى الفتاحين لممارسة بعض الطقوس الخاصة في إدرار الحليب، وقد روت الحاجة فاطمة راغب من وادي الفارعة عن كنتها التي كانت ترضع أبناءها من جهة واحدة من ثديها، والذي تبين لهم فيما بعد أن سبب ذلك هو قرينتها التي تغار من إبنها، فما كان أمامهم إلا الذهاب لشيخ يقرأ عليها بعض الآيات القرآنية، وعلى حد قولها إن " ... الحليب در فيها ولا كأنه فيها إشي وصارت بنتها ترضع وتشبع"[1].

كما أن العقيم كانت تستعمل الصابونة التي تكون قد غسلت بها جنازة ما، وهي عادة ما تسرق لها دون علم أهل الميت، وذلك لأنه يعتقد في فاعليتها بالتأثير على الأرواح الشريرة المسببة للعقم، وإذا تسببت تلك الأرواح في عقم المرأة تذهب تلك العقيم إلى "الفقير" حيث يكتب لها آيات قرآنية إما على طبق أبيض أو أوراق، وتقوم العقيم بغسلها بالماء وشرب مائها[2]..

التمليس:

وهو تدليك بطن المرأة باليدين المدهونتين بالزيت من أعلى البطن إلى أسفله، وتقوم به القابلة أو مرأة ذات خبرة بهذا الأمر، فتصحح مكان" المولدة" المرتفعة وإنزالها إلى مكانها الطبيعي[3].

و عادة التمليس في الموروث الشعبي الفلسطيني من العادات الشائعة ومن التقاليد المتعارفة، الأمراض جميعها بحسب النظرية الشعبية للعلاج تتعلق اتصالا بين العضو المصاب وبقية الجسم، وهذه النظرية هي التي أوحت بهذه الوصفات كما ظهر في طقوس العلاج في الحضارة المصرية[4]، إذ تحدثت كتب الطب القديمة عن مرض سقوط الرحم، وحرص القدماء المصريين على إعادة الرحم إلى مكانه[5].

---

[1] - مقابلة شخصية: فاطمة راغب ظاهر، 69 سنة، وادي الفارعة، 25 -1 - 2015.

[2] - الجوهري، محمد، وآخرون: **الدراسة العلمية للعادات والتقاليد الشعبية**، ج3، دار المعرفة الجامعية، 1988، ص311.

[3] - انظر: قمحاوي، وليد: **ترمسعيا دراسة في التراث**، ص 46.

[4] . انظر: غليوجي: **الطب عند قدماء المصريين**، مؤسسة المعارف للنشر، بيروت، ط،2 ص 64

[5] - انظر: غليونجي، بول، **الطب عند قدماء المصريين**، ص 154.

تروي الحاجة ندى محمد : "بقت المرة تروح عند الداية وتملسها، انا أمي بقـت دايـة وبقيت أشوفها شو تعمل، بقت الوحدة تيجي وهي عليها الدورة ثاني أو ثالث يوم وبتيجي بـدون فطور وبتنام ع ظهرها وبتبدى إمي تملس فيها بزيت الزيتون عشان تعدللها الرحم لأنـه ببقـى مايل ولما تملسها بخفاش عليها إذا الرحم مايل والا لع، مهو الرحم يبقى في قاع الـبطن مثـل الطابة وإذا لقيته مايل ع اليمين بترده ع النص وإذا مايل ع الشمال برضو بتردو لوسط البطن، بترده ع ثلاث أيام أول يوم وثاني يوم وثالث يوم، وفي منهن ما شاالله ما تيجيهن الدورة أخرى مرة ويظلين حوامل وفي منهن ع مرتين وثلاث"[1].

وقالت الداية عايشة سليم الأزهري من قرية سبسطية[2]: كانت تيجي عندي الوحدة وأحط ع بطنها قربة (وعاء مطاطي أو مصنوع من الجلد) فيها ميه سخنه، وبعدها أملس بطنها في كل الاتجاهات ع اليمين وع الشمال، بس لازم الوحدة لما تيجي عندي تكون ضمنانه(متأكدة) أنه فش عندها حمل عشان هيك بنحب أنه تكون عليها الدورة أما أنا بقيت ألاحظ ع إمي بكل إشي وأنتبه شو بتعمل وكيف بتشتغل وأنا أدق إبر إن غابت إمي بس بالخفية عن جوزي لانه بقـاش يحـب إني أتعلم هاي الشغلة لأنه إحنا صحاب عيال وهاي الشغلة مسؤولية، بس بقيت أحـب أنتبـه ع إمي كيف تملس "[3]

ويبرز في عملية التمليس الدور العلاجي لزيـت الزيتـون فـي المـوروث الـشعبي الفلسطيني، فهو "يرتبط بمتوارث ديني قديم يربط بين شجرة الزيتون والحياة، وبين الموت ثـم القيامة، أو توالي الولادة والاستمرار"[4] حيث أقسم الله عز وجل بهما في قوله تعـالى : "والتـين والزيتون وطور سنين"[5]. وقوله: وشجرة تخرج من طور سيناء ، وهي شجرة الزيتون[6]، وكان

---

[1] - مقابلة شخصية: الحاجة ندى محمد عبد الكريم، ياصيد، 67 سنة.

[2] - قرية فلسطينية تقع في محافظة نابلس على بعد 12كم غرب مدينة نابلس.

[3] - مقابلة شخصية: الداية عائشة سليم الأزهري، سبسطية، 60 سنة، 2-2-2015م .

[4] - انظر: عبد الحكيم، شوقي: **مدخل لدراسة الفلكلور والأساطير**، دار ابن خلدون، ط1، 1978، ص 59 .وانظـر: طه، نضال: الطقوس والموروثات الشعبية في محافظة رام الله،ص 45

[5] - القرآن الكريم: سورة التين، آية 1.

[6] - الفراء، أبو زكريا يحيى : **معاني القرآن**، تح : أحمد يوسف النجاتي وآخرون، دار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر ، ج 2، ص232.

من الطقوس عند البابليين، طقس التطهير بالزيت[1]، وفي العصر الآشوري كان يستعان بالإلــه (مردوخ) ويدهن جسم المريض بالزيت وتقرأ التعويذة الآتية: " زيت نقي، زيت لامــع، زيــت مشرق، زيت يجعل الألباب مشرقة، زيت قوي العضلات،... أصب عليك من زيت الحيــاة، ... سأطرد منك المرض المصاب أنت به"[2]، وكان أشهر العلاجات ومعظمها عند الكلدانيين الزيــت والملح والعسل والتمر[3].

كي الظهر:

ترجع أساليب الموروث الشعبي الفلسطيني إلى موروثات ثقافية وحضارية انتشرت فــي منطقة الشرق الأوسط في الحضارة المصرية والبابلية، فكان العلاج هو أشبه ما يكــون بعمليــة التطهير، و لقد كان التطهير عند السومريين و البابلين والأشوريين يتم بعدة طرق أهمها الكــي، وإحراق البخور، وسكب السوائل كالماء والزيت، والحرق، والدفن، والاغتسال[4].

وكان العلاج بالكي من العلاجات الشعبية المتوارثة القديمة التي تناقلهــا العــرب قبــل الإسلام، فعن الرواية أن رجلا من الأنصار اشتكى فاشتد وجعه فنعت له الكي، وأتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فسألوه ثلاثا فسكت فقال: إن شئتم فاكووه، وإن شئتم فارضفوه بالرضــف[5]. وقيل عند العرب، آخر الدواء الكي[6]، و وجد في الآثار الفرعونية القديمة صور لجراحيهم مــن الكهنة يكوون في نقرة القفا والصدر والصدغين استشفاء من بعض الأمراض[7].

---

[1] - انظر: الماجدي، خزعل: **بخور الآلهة**، ص199.

[2] - الأحمد، سامي سعيد: **المعتقدات القديمة في العراق**، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت - لبنان، 2013، ص69.

[3] - انظر: المعلوف، عيسى إسكندر: **تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة**، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص14.

[4] - خزعل، الماجدي: **بخور الآلهة**، ص 220.

[5] - انظر: البيهقي: **السنن الكبرى**، ص 576. والفارسي، علاء الدين علي بن لبان: **صحيح ابن حبان بترتيب ابن لبان**، تح: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، مجلد 13، ط2، 1993، ص464.

[6] - انظر: التَّمِيمي، سيف بن عمر: **الفتنة ووقعة الجمل** ، تح: أحمد راتــب عرمــوش، دار النفــائس، ط7، 1993م ، ص101.

[7] - انظر: المعلوف، عيسى إسكندر: **تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة**، ، ص9.

وقد اتضح لي طريقة استخدام الكي لعلاج العقم، وذلك بالكي على بيت الطلــق(أســفل الظهر) ويكون من الأمام والخلف مقابل بعضهما بعضاً، ويستعمل لإخراج الأوساخ الموجــودة في المرأة والتي يعتقد أنها تؤخر الحمل، تقول الحاجة كريمة طلال: "اللي بقت متحملش من مرة بقوا(كانوا) يملسوها، والا بقت تحمل وترمي بقوا يتشوها(يكوها) ثلاث متشاوي(مكاوي) أنا يــا خالتي انتشويت واحد، ولهسا(لغاية الآن) معلم مطرحه بقاع ظهري، ولولا خايفة يجي حدا كــان فرجيتك إياه، لأنه متشوى ولليوم كل وين و وين بصير يوكل فيي وبطلع مطرحه حب، لأنه تشتم(كتم) ع غش لأنه بقى كل الإلتهابات اللي في الوحدة يطلعن مع الحرق وبقيت أغيــر مرتين وثلاث باليوم من كثر ما ينزل وسخ"[1].

وأخبرتنا الداية جدعة من قرية بيتا عن طريقة كي الظهر فقالت: اه بقيت أكوي الوحــدة بصوفانه(قطعة من الصوف) نلقطها من الهيش(البر) واستنى لحتى تنشف وأعملها طابة وأحرقها وأحطها ع قاع ظهر الوحدة[2]" .

قفل الظهر:

يعد قفل الظهر واحدا من الطقوس والعلاجات التي لجأ إليها الطب الشعبي في الريــف حيث كان يستخدم مفتاح بيت كبير ويوضع في طرف خيط ويلف الخيط بالمفتاح فيشد على بطن المرأة بالمفتاح، وبعد عشر دقائق يفك الخيط، ويجب تكرار هذه الطريقة ثلاث مرات بشرط أن تكون المرأة على معدة فارغة.

وهناك طرق أخرى لقفل الظهر في قرية ياصيد إذ تروي الحاجة ندى وتقــول : "قفــل الظهر برظو(الضاد تلفظ ظاء في العامية) نفس الإشــي بتنــام الوحــدة ع بطنهــا وبــتحط ع قاع(أسفل) ظهرها قفل وبجيبو عجينة وبحطو ع العجينة بيظة بيظتين وبتشدو وبتلخو(تخلطــه) بعضة في بعض وبتحطه ع ظهرها وبقعدأسبوع ع ظهر الوحدة وبظل مقربط(متماسك) وبعدها

[1] - مقابلة شخصية: الحاجة كريمة طلال، قرية برقة، 60سنة، 21-12-2015.

*بقت: لفظ مستخدم لدى العامة للدلالة على الفعل الماضي الناقص (كان).

[2] - مقابلة شخصية: جدعة سليمان دويكات، قرية بيتا، 98 سنة، 2-12-2015.

بتقيمه الوحده وبتتحمم وبقفل ظهرها بإذن الله وتقول الحاجة جدعة، وبقت إمي تعمل كاسات الهوى تحط كاسات الشاي وتولع فيهن ورقة ع ظهر الوحدة وممنوع تحطه ع مطرح(مكان) فيه لحم لازم مطرح قاسي ع العظم وبتنفخ الجلدة بقلب الكاسة بتلاقي الكاسة مليانه لحم بس ما توجع ولا تتشوح(تكوح: تحرق قليلا) وبقت المرة المفتوح ظهرها يحطولها لزقة ظهر"[1]، إذ تستخدم تلك اللزقة والتي تشترى من الصيدليات لشد الظهر فتوضع على الظهر في القسم الأوسط منه. وتستعمل لشد الظهر فيساعد ذلك على الحمل[2].

التهبيلة:

أخبرتنا الداية جدعة عن التهبيلة وقالت: "إذا كان إلها أربع خمس سنين ما خلفتش، بقينا نعملها حملات (تحاميل) نحط فيهن حبة حلبة وحبة كمون ونقطة عسل ونلفهن بقطنة وتحطهن المرة من قدام(في الرحم)، وبقت تتهبل الوحدة ع ريحان أو ميرمية وهاي القطنة تنحظ(ض) الوسخ من بطنها أحسن من مليون دكتور، وبقت تكمر(تغطي نفسها جيدا) حالها وتدفى لثلاث أيام"[3]، بالإضافة إلى استخدام تحاميل الثوم والتي كانت تستخدم بنفس الطريقة السابقة[4].

كان العقم في الموروثات القديمة يتعلق بشكل كبير بتفسير الإنسان للطبيعة على أنها تسير وفق قوانين تضعها الآلهة، لذلك كان علاجها يتم بالصلاة والقرابين والأدعية في المعابد، وكانت التمائم والعزائم والأبخرة وسائل حماية أولى ضد الشياطين والأرواح الشريرة، فطرد الأرواح الشريرة كان يتم عن طريق الشموع والتبخير، وتلاوة التعاويذ وعمل التمائم، وقد كان التطهير يمارس بوساطة كهنة مختصين في دور العبادة[5].

---

[1] - مقابلة شخصية: ندى محمد، ياصيد.

[2] - مقابلة شخصية: الحاجة ام بسام الكشوع، الباذان، 65 سنة، 2015/1/18م.

[3] - مقابلة شخصية: الحاجة جدعة دويكات، 98 سنة.

*حرف الضاد ينطق بالعامية ظاء

[4] -كناعنة، شريف: **الإنجاب والطفولة**، ص 80

[5] الماجدي، خزعل: **بخور الآلهة**، ص 14

والتهبيلة شكل من أشكال استخدام الأبخرة، إذ تحرق جذور النباتات ويتم تعريض أعضاء المرأة التناسلية إلى بعض الأبخرة الناتجة من عملية الحرق، ومن تلك النباتات، الزعتر و الميرمية[1]، وهناك شكل آخر لعملية التهبيل تلك؛ وهي أن تأتي المرأة بعدة أنواع من الأعشاب مثل: الطيون والميرمية والزعتر الفارسي وتقوم بغليها في إناء كبير وتعرض أعضاءها التناسلية لتلك الأبخرة الناتجة من عملية الغلي. فقالت الحاجة ندى : " آه هاي للي عندها التهابات بقين يجبن دلو(إناء) ويحطين فيها أعشاب مثل الخبيزة والطيون والبابونج والبقدونس وتيجي الوحدة تفحج عليه عشان تدخل بخارهن ع جسمها وتشفى بإذن الله..."[2]، "وبقينا نحط في الدلو خبيزة و زهر ليمون و ميرمية وبقدونس، بس أكثر إشي بقتل الإلتهابات الخبيزة، وبقوا زمان في الجاهلية يعملوها، بقوا يعملوا جورة ويولعوا فيها بخور واعشاب ويخلوا المرة تشلح أواعيها وتمرق فوق الجرة عشان الدخنة تدخل ع أحشائها"[3].

وهذا ما وصفه المصريون أيضا لعلاج أمراض الرحم، فلجأوا إلى التبخيرات بالشمع، وصنع تحاميل مهبلية من عصير نباتات محددة كالبقدونس والخبيزة والثوم، كما عثر على أدوات تشبه القرون المجوفة كانوا يستخدمونها للحقن المهبلية[4].وفي قصة خلق العالم وظهور الشمن الأول، تروي القصة أن الشمن عاد إلى بيته يوما فوجد والديه ميتين، فعزم على الذهاب بحثا عن دواء يمنع الموت، وبعد مخاطر ومغامرات كثيرة وصل إلى موطن رئيس الأرواح وسرق الأدوية العجيبة التي يحتفظ بها، وبينما هو هارب من المطاردة وقع على الأرض وتناثرت الأدوية على التربة ونبتت منها أعشاب الشفاء[5]. وما طلب إيتانا من الأرض (آلهة الخصوبة المتمثلة في عشتار) أن تهبها غلاما من أجل ان يساعدها في التغلب على أعباء الحياة؛ إلا إيمانا منها أن علاج العقم لا يكون إلا بما تخرجه تلك الأرض من نباتات، تقول:

أنت عون الآلهة، مامي، أيتها الحكيمة

---

[1] - كناعنه، شريف وآخرين : **الإنجاب والطفولة**، جمعية إنعاش الأسرة، البيرة، ط1، ص 66 -82.

[2] -مقابلة شخصية: الحاجة ندى، 68 سنة

[3] - مقابلة شخصية: الداية عايشة الأزهري، 60 سنة.

[4] - انظر: غليونجي، بول، **الطب عند قدماء المصريين**، ص 157 -158

[5] - السواح، فراس : **الأسطورة والمعنى**، تر: شاكر عبد الحميد، دار الشؤون الثقافية، بيروت ، 1986، ص47.

أنت الرحم الأم

يا خالقة الجنس البشري

اخلقي الإنسان فيحمل العبء

ويأخذ عن الآلهة عناء العمل

وهكذا فقد دخل إنكي إلى رحم والدته وخرج منه في ولادة جديدة بسبب نباتات الشفاء[1] ولعل غياب الأطباء والمعالجين لدى أجدادنا في العصور القديمة القريبة؛ كان السبب الأول في لجوء المرأة الفلسطينية إلى مثل هذه الطقوس لمعالجة مشكلات الحمل، بالإضافة إلى ارتفاع كلفة الطب الرسمي مقارنة مع الطب الشعبي[2]، فتقول الحاجة نجمة عن واقع الحال في ذلك الزمن"....ولا حدا بقا يداوي حدا وبقى فش إلا دكتورين بكل نابلس لهذا الإشي واحد يقولوله أبو ملحس وأبو جعارة الثاني، ...... " بقوا زمان ما يعرفوا شو بدهم يعملوا ومثل ما بقول المثل الله مع الأرملة بتحبل بلا جوز وبتلد بلا داية [3].

بداية الحمل:

انقطاع الطمث:

للحمل ملامح ومؤشرات ظاهرة متعارف عليها بين النساء، وأهم تلك الملامح؛ انقطاع الطمث، وضحت لنا الداية أم غسان أن المرأة "بتعرف لحالها بأنها حامل من انقطاع العادة"[4] (الطمث، وكانت النساء تطلق عليه مصطلح العادة لأنها تأتي للمرأة بشكل معتاد في كل شهر) وتخبر والدتها أو زوجها أو حماتها؛ والتي بدورها تأخذها للداية للكشف عنها ومعرفة حملها بناءً على خبراتها السابقة؛" أنا بقت تيجيني الوحدة وأعرف الها من أول ما أحط الزيت عند صرتها، إذا الزيت نفر من مطرحه بتبقى حامل وإذا ضل قاعد مثل ما هو تبقاش حامل[5]"، وتقوم الداية

---

[1] - السواح، فراس : **الأسطورة والمعنى** ، ص 47 -48.

[2] - انظر: المطور، عزام أبو الحمام: **التراث الشعبي" الموضوعات، الأساليب، المناهج"** ، ص 73

[3] - مقابلة شخصية: الحاجة نجمة الموسى (ام نافز)، بيتا، 71 سنة ،2 -12 -2015

[4] - مقابلة شخصية : الداية ام غسان الكشوع، الباذان.

[5] - مقابلة شخصية: إم غسان الكشوع، الباذان.

بإسداء النصائح للحامل بالمحافظة على صحتها وصحة جنينها وتصف لها المأكلوت التي تحافظ على صحتها، تقول بشرى" أنا بقى جوزي يجبلي كبدة وطحال لأنه دمي كان يوصل ل6 و7، بقيت أوكل الطحال شرط انه ما أشوفة وهو ينعمل، بقى جوزي يعملي إياه وأنا مش في الدار[1]".

تعفى المرأة الحامل في ريف نابلس ولا سيما إذا كانت بكرية(أم لأول طفل) من أعمالها المنزلية، وتحاط بالاهتمام من أقاربها وأقارب زوجها؛ تقديرا لأهمية الحمل الأول وتبعاته، وكذلك يكون الحال مع المرأة التي تكون زوجة للابن الوحيد في العائلة، فيطلب منها ألا تفارق سريرها وألا تخرج من المنزل، تقول الحاجة نجيبة: " أنا مرت ابني أمجد بقى حبلها عزيز، تحبل وتنزل، نزلت أول بطن والبطن الثاني ظل بس بقينا ما نخليها تحمل قشة عن الأرض وتضل نايمة ع ظهرها، وأخلي بناتي يريحنها من كل الشغل"[2]. والمرأة التي تحمل بتوأم يخشون عليها من نظرات الحسد مما يدفع المعتقدين والمؤمنين به إلى اتباع سبل الوقاية منه، لأنهم يؤمنون أن العين الشريرة تلك تدمر المرأة الحامل، وتعبر عن الحقد والغيرة والحسد من الشخص صاحب العين تلك، لذا كانت المرأة تمتنع عن البوح بحملها بتوأم وقد تضع في رقبتها عينا زرقاء أو تضع أمام بيتها صورة كف تتوسطه خرزة زرقاء؛ درءا للحسد ويتم ترديد كلمات ذات شحنة سلبية -حسب اعتقادهن- مثل "خمسة وخميسة في عينك، عينك فيها عود"[3]. ولهذا السبب جرت العادة بأن الإعلان عن الحمل للآخرين – باستثناء محيط العائلة- لا يتم إلا بعد الشهر الرابع؛ أي بعد التأكد من حركة الجنين خوفا من أن يكون الحمل كاذبا[4].

---

1 - مقابلة شخصية: بشرى شراقة، 64 سنة، ياصيد، 28 -2 -2015.

2 - مقابلة شخصية: الحاجة نجيبة ذياب، 68سنة.

3 - الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر: **رسالة التراث الشعبي من البحرين إلى العالم بالتعاون مع المنظمة الدولية للفن الشعبي**، المنانة، البحرين، العدد 34، 2016، ص109 -110.

4 - الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر: **رسالة التراث الشعبي من البحرين إلى العالم بالتعاون مع المنظمة الدولية للفن الشعبي**، العدد 4، 2009، ص 115.

الوحام:

تبدأ مراحل الحمل الأولى بالوحام، فيقال للمرأة الحبلى إذا اشتهت شيئا: قد وحمت، وهي تحم وامرأة وحمى بينة الوحام. والوحم والوحام في الدواب إذا حملت استعصت[1] وقال لبيد:

يعلو بها حَدَب الإكام مُسحّجٌ   قد رَابَه عِصيانُها ووحامُها[2]

و وحم المرأة، أي إطعامها في حملها ما تشتهيه، يقال: وحمنا لها، أي: ذبحنا[3]، وقد عرف القدماء الوحم باشتهاء كل ما هو غريب، أي الرغبة الملحة في اشتهاء أكلة معينة لمدة لا تقل عن شهر.

تختلف مظاهر هذه الفترة من امرأة إلى أخرى بناء على أمور كثيرة، منها: إذا كانت الحامل بكرية(أول حمل لها) أم لا، أو حسب مكانة الزوجة في العائلة، فإذا كانت زوجة لإبن وحيد أو للإبن الأكبر من العائلة، تحاول أن تظهر وحامها وأن تطلب طلبات كثيرة من زوجها الذي يلبي لها سريعا ويحاول جاهدا بالبحث والتفتيش عن ما طلبته زوجته؛ لإن المرأة في الغالب تشتهي أشياء غير موجودة أو نادرة الوجود، قال السيد فريز مشاقي" مرة جيت على جاري في المحل زعلان وشايل هم وحاطط ايده ع خده، رحتله قلتله مالك يابو فلان حاسك مهموم، قلي أسكت يا أبو هيثم والله ما عارف شو بدي أقول، قلتله خير؟ قلي مرتي بتتوحم ووحامها غريب عجيب ومش عارف شو أعمل، قلتله ع ايش اتوحمت، قلي ع جلد عنزة وجاي عبالها توكل جلد عنزة وخايف اذا ما جبتلها إياه يطلع جلد بنتي مثل جلد العنزة، قلتله انت جيبلها جلد عنزة وهي بس تشوفه رح تقرف منه وتشيل نفسها عنه"[4].

---

[1] - ابن منظور: **لسان العرب**، مادة وحم. الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد : **كتاب العين**، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال (جزء 3، ص314.

[2] - ابن مالك، لَبِيد بن ربيعة: **ديوان لبيد بن ربيعة العامري**، اعتنى به: حمدو طمّـاس، دار المعرفـة، ط1،2004 م، ص304.

[3] - الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين: **معجم ديوان الأدب**، تح: دكتور أحمد مختار عمـر وآخـرون، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، 2003 م ،ج 3، ص275.

[4] - مقابلة شخصية: فريز ذياب مشاقي، ياصيد، 55 سنة، 2015/3/2م.

وتبدأ أعراض الوحام على المرأة الحامل بعد أربعين يوما من انقطاع الطمث، وتستمر فترة الوحام أربعة أشهر وتخف تدريجيا في الشهر الرابع، ومن المعتقدات الشعبية المصاحبة لفترة الوحام أن على الأهل تلبية طلبات الحامل كافة من مأكولات خلال فترة الحمل الأولى- فترة تكوين الجنين- لأن عدم تلبية ذلك سيؤثر سلبا على الجنين بحيث يترك أثرا على جلده بنفس تشكيلة الشيء المطلوب، فالسيدة باسمة تقول: " أنا في بنتي مي اشتهيت حبة مشمش وما أكلتها ولما خلفتها طلعت بإيدها وحمة كبيرة ع شكل حبة مشمش لإني شكلي حكيت إيدي"[1] ويبدو هنا أن تلك الوحمة هو نوع من أنواع السحر، فبعد أن تشتهي طعامًا ولا تأكله تستخدم أظافرها ويدها فتحك جسدها، وكأنما تطبع في نفس المكان على جسد جنينها ما اشتهت، وبعد أن تلاعب المرأة الحامل الطفل الجميل فإنها تشتهي أن يكون جنينها كذلك فيكون، وقد تنظر إلى طفل بشع فيأتي ابنها كذلك[2].

ويعتقدون بأن الطفل الجميل ولد جميلا لأن أمه توحمت على أنواع محددة من المأكولات، فيتسائلن النساء في مهاهاتهن عما توحمت وهو في بطنها فيقلن:

هيي قوليلي بيش اتَوَّحَمتْ إمك تا جابَتِكْ حلْــوه

هيي أتَوَّحَمَت براسِ القلب والمِعلاق والكِلوة

هييي ويش طَلبتي مِن خطيبك ليلة الجِلوة

هيي طَلبت سنسال ذَهب لِرَقبَتي الحِلوة

هيي شو اشتَهَت إمك تا جابتِك حِلوة

هيي اشتَهت مُصران جاجة والقَنَاصة والكِلوة

هيي ويش قالِك خَطيبك ليلة الجِلّوة

---

[1] - مقابلة شخصية: باسمة معن ظاهر، 40 سنة، قرية إجنسنيا، 19-1-2015.

[2] - .كناعنة، شريف: **الإنجاب والطفولة**، ص 97.

قَلّك خاتِم ذَهب يليق لِقامتك الحِلّوة[1].

وقد لا يقتصر الوحام على الأكل؛ بل قد يتعدى إلى التمنيات والرغبات غير ذلك، فقد حدثتنا وفاء حمد عن والدتها فقالت: " إمي كان في بكتفها لحمة زايدة ع شكل حمامة ولد، لأنه أمها كاينة تتمنى وهي حامل فيها أنه يجيها ولد"[2]

وعلى الرغم من ذلك فهناك الكثير من النساء في ريف نابلس لم يشعرن بالوحام بسبب إنشغالهن بالزراعة والرعي حيث تروي ذلك الحاجة ندى "... بقينش يدرين لا عن وحام ولا عن اشي من الشقى والتعب اللي بقين فيه، أنا ولا عمري طلبت إشي وأنا حبلة مش مثل بنات اليوم المدلعات و ولا عمري دخت ولا راجعت ولا أكلت ليمون، أما بقى بعد الشهر السابع تذبحني الحرقة وبقيت لا أجيب لا دوا ولا إشي بقيت بس أحلب البقرة أشخب من بزها بثمي وأشرب"[3] وتقول الحاجة فاطمة عن مرحلة الوحام "... أنا وحامي غير عن كل الناس بقيتش أحس بإشي وما أعرف إني حامل إلا لما تدور الحركة في الطفل، وتسألني حماتي أقولها غسيل ما غسلتش(لم تحيض) أما مش حاسة بوجع بطن ولا ظهر ولا إشي..."[4].

مدة الحمل

قديما لم يعرفن النساء طريقة حساب حملهن بالشكل الدقيق، ولا يعرفن التاريخ بالتحديد نظرا لتفشي الأمية وعدم تواجد الإعلام وقلة التقاويم حينئذ، فكانت المرأة تحسب حملها باستخدام كف إحدى يديها، فتغلق كفها بشكل كروي، وتتشكل "جبال وأودية"[5] من ارتفاع مفاصل الكف وانخفاضها، وتبدأ بعد شهور حملها بعد عظمات الكف من اليسار إلى اليمين فكل جبل و واد يشكل شهر من شهور حملها، وبعض النساء لا تعرف لنفسها بأنها حامل إلا بعد أن يتحرك

---

[1] - كناعنة، شريف: **الإنجاب والطفولة**، ص 97.
[2] - مقابلة شخصية: وفاء حمد، ياصيد، 37 سنة، 2015/12/12.
[3] - مقابلة شخصية: ندى أحمد محمد ، ياصيد
[4] مقابلة مشخصية: فاطمة مصطفى عبد الحفيظ أبو عيشة ، روجيب، 70 سنة.
[5] - مقابلة شخصية: سميرة صلاحات، 62 سنة، الباذان، 18 -1 -2015.

الجنين في بطنها، أي بعد أربعة شهور وعشرة أيام من الحمل[1]، فتبدأ بحساب حملها من ذلك التاريخ استنادا إلى قوله تعالى " **الَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ۖ فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**"[2] فتزيد خمسة شهور إلا عشرة أيام وتحدد الشهر الذي ستلد فيه، وكانت المرأة الواعية التي تعرف التواريخ والشهور والأيام تبدأ بحساب حملها من خلال تحديد تاريخ آخر يوم للعادة الشهرية وتضيف أسبوعين بعد ذلك التاريخ، وإضافة تسعة أشهر بعد ذلك؛ فتعرف موعد ولادتها، فالفترة المعروفة للمرأة الحامل هي تسعة أشهر، لكن قد تقل تلك المدة لتكون سبعة أشهر وحينها يكون الطفل سباعي، وقد تزيد تلك المدة لتصل إلى عشرة أشهر لاسيما إذا كانت بكرية، فالمرأة البكر " يا إما بتوكل كل شهرها وبتفوت بالعاشر أو بتولد أول شهرها"[3] لكن تتعرض حياة الطفل للخطر في حال نقصت شهور الحمل أو زادت عن تسعة أشهر فيقال في المثل الشعبي : " من عشرت ما بشرت"[4] .ويقال "أن الطفل السباعي بيجي حدق وفصح.... أنا بنتي هلا جبتها سباعية بس طلعت افصح وأقوى وحده بخواتها شيبتني تا كبرت"[5].**ولو حسبنا مدة حمل المرأة في الأيام فتكون عدد أيام الحمل 280 يوما أي ما يعادل 40 أسبوعا وهي الفترة التي حددها الساحر عندما سأله ديجيدي عن موعد ولادته زوجته ريديجدت، فأجابه الساحر قائلا: في الخامس عشر من أول شهر الشتاء، وتلك فترة تتراوح بين 275 و 294.**[6]

التكهن بجنس المولود

يبدو أن الكشف عن جنس المولود والتحرق شوقا لمعرفته؛ ظاهرة واضحة في مجتمعنا العربي، وتظهر حالة الترقب والقلق لدى المرأة الحامل لجنس المولود، وتصل حالات التنبؤ

---

[1] - مقابلة شخصية: فاطمة أبو عيشة، روجيب.

[2] - القرآن الكريم :سورة البقرة، آية 234

[3] - مقابلة شخصية: فاطمة شراقة، 80سنة، عصيرة الشمالية، 29 -1 -2015.

[4] -انظر: كنعان، توفيق: **الكتابات الفلكلورية**،ص 120

[5] - مقابلة شخصية: مروة سمارة، 44 سنة، ياصيد، 26 -2 -2016.

[6] - طه، نضال: **الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله**، ص49

والتكهن بجنس المولود إلى درجة المعايرة والمراهنة والفوز بأن المولود هو ذكر بعكس التوقعات بأنه أنثى، وفي ذلك تقول الحاجة نجمة "... مرة جارتنا إم عطار لما بقيت أنا حامل في عبده، قالتلي هاتي أشوف شو فيك بنت وإلا ولد، قامت عسست ع بطني وقالتلي انتي فيك بنت، قلتلها والله ما فيي الا ولد، قالتلي لا هاي بعيدة عن عينك قلتلها طيب بنشوف بكرى، قمت ولدت وجبت ابني عبده..."[1]

وفي ريف نابلس كانت المرأة تتكهن بجنس جنينها من بعض العلامات الظاهرة على شكل بطنها، أو من خلال علامة ظاهرة على رأس ابنها الحالي؛ فتنظر المرأة إلى منبت الشعر خلف الرأس، إذا كان المنبت على جانبي الرأس فالمولود التالي سيكون ذكرا، وإذا كانت المنبت في منتصف الرأس فالمولود سيكون أنثى، أما إذا كان للطفل منبتين من الشعر فالمحتمل أن البطن التالي سيكون توأما[2]. كما أن شكل المرأة الخارجي يحدد جنس الجنين، فإذا كان حمل المرأة صغيرا "ومضبضب" تكون حامل بولد، أما إذا زاد وزنها وحجمها بشكل واضح فتكون حبلى ببنت، تقول عبير" أنا وسلفتي كنا حوامل مع بعض بس أنا دفشت (كبر حجمي) كثير وصاروا يحكولي انت أكيد فيكي بنت وسلفتي كان حملها ناعم حكولها انتي أكيد فيكي ولد"[3] وإذا كان بطن المرأة معرنس فإن حملها سيكون ولدا، اما إذا كان متهدلا لأسفل فسيكون أنثى[4].

ومن العلامات الي يمكن التكهن بها في جنس الجنين؛ الميل للمأكولات المالحة والحلوة، فإذا فضلت المرأة أكل الزيتون المالح أو الليمون مع الملح فحتما سيكون الجنين ذكرا أما إذا مالت للحلويات والعسل فسيكون الجنين أنثى، تقول فاطمة: " أنا حبلت ب 8 بنات وكل بنت كنت اقتل حالي قتيله ع الحلو وأكره الموالح: كنت أشرب الشاي مثل القطر، بس لما حملت في محمد ابني صار معي العكس، صرت أوكل الموالح وأحب القهوة وريحتها، قامت عمتي قالتلي

[1] - مقابلة شخصية: نجمة الموسى، بيتا.

[2] - مقابلة شخصية: ميساء مشاقي، 30 سنة، الفارعة، 25 -1 -2015.

[3] - مقابلة شخصية: عبير عناد، 34 سنة، ياصيد، 26 -2 -2015.

[4] - انظر: كناعنة، شريف : **الإنجاب والطفولة**، ص 111.

إنتي هلمرة بدك تجيبي الصبي وفعلا لما ولدت قالت الداية صلين عالنبي يا نسوان، وعرفت انه ولد اللي جبته"[1]

وهناك طرق أخرى يمكن من خلالها الكشف عن جنس الجنين؛ فإذاكانت الحركة داخل بطن الحامل فيها قوة وحيوية فإن المولود سيكون أنثى، أما إذا كانت الحركة انسيابية هادئة فإن المولود سيكون ذكراً. تقول الحاجة نجمة عن كيفية الكشف عن جنس المولود : " .....أنا بقيت أعرف لحالي بدون ما أروح ع الدكتور لأنه حركة البنات غير عن حركة لولاد... "[2] فاذا كان مكان الجنين البطن فيه نازلا إلى الأسفل فإن المولود سيكون أنثى وإن كان بطن الحامل إلى الأمام فإن المولود سيكون ذكراً. قالت الحاجة ندى: "... كله بإيد ربنا بس إمي بقت تنيم الوحدة ع ظهرها وتصير تفحص بطنها إذا بقى الجنين ع السرة تبقى بنت، أما إذا ولد إن قلبت أمه ع اليمين يقلب معها وإن قلبت ع الشمال يقلب معها سبحان الله العظيم وبإذن الله بقى يزبط معها، وأنا بقيت أعينها في حالي أعرف إذا اللي في بطني ولد والا بنت[3].

وتشير الحاجة نجمة إلى أن شكل البطن يحدد جنس المولود بقولها:"... وإم البنت بصرلها بطن كبير وخلفية كبيرة وإم الولد ببقى حملها في الخواصر، وهيك بقت الداية تفحص إذا كان الجنين في نص البطن تعرف إنه بنت وإذا بقى في الخواصر تعرف إنه ولد...." .[4] كما أن حليب الحامل يختلف بناء على الجنين الذي بداخلها سواء كان ذكرا أم أنثى، فيعتقدون أن حليب الحامل بذكر يكون أكثر كثافة من تلك التي تحمل بأنثى فكانت المرأة تلجأ على وضع نقطة من حليبها في كأس ماء، فإذا ارتفعت تلك النقطة لأعلى يكون الجنين أنثى، وإذا بقيت نقطة الحليب في أسفل الكأس يكون الجنين ذكرا[5]

---

[1] - مقابلة شخصية : فاطمة عبد الحميد، 45 سنة، دير شرف، 18 -12 -20165.

[2] -مقابلة شخصية: نجمة الموسى ، بيتا.

[3] - مقابلة شخصية: ندى أحمد محمد، ياصيد ، 68 سنة.

[4] - مقابلة شخصية: نجمة الموسى، بيتا.

[5] - مقابلة شخصية: الحاجة ندى محمد، ياصيد.

وقد اتضح اهتمام الطب الأكادي في تشخيصات الحمل والولادة وتتبع صحة المولود، وقد كشفت التشخيصات الأكادية جنس الجنين ذكرا كان أو أنثى من خلال علامات الحمل على الأم؛ فإذا وجدت في جبين الأم بقعة بيضاء لامعة فإن الأم ستلد أنثى وستكون غنية، وإذا كان أنف الحامل بارزا متورما فإنها ستلد ذكرا، وإذا كانت حلمة صدر الأم سوداء فإنها ستلد ذكرا وإذا كانت حمراء اللون فإنها ستلد بنتا[1]، وقد اشتهرت تلك الطريقة في المجتمعات الشعبية، بحيث اعتمدت معرفة جنس الجنين على وجه الأم تقول الحاجة ندى" الوحدة بقت تبين من وجهها، اللي فيها صبي بتشنع وبغمق وجهها، واللي فيها بنت وجها بفتح وبصير زاهي وبقولوا في المثل" إم العروس العروس وإم الصبي بتنوس"[2].

وكشفتُ من خلال دراستي عن ظاهرة تفضيل الذكر على الأنثى في ريف نابلس؛ أن ذلك يرجع إلى طبيعة الحياة الريفية الفلاحية التي تتطلب أيدي عاملة لتعمل في الزراعة والحصاد والتجارة؛ فالقوة البدنية للأنثى لا تتحمل متاعب الحياة، إضافة إلى أن المرأة تعتبر عار على أهله ا" هم البنات للممات"[3] وتعدد القصص التي وضحت اشمئزاز الأهل ولا سيما الأب من تبشيره بالأنثى قالت السيدة حنان" في واحد جارنا بقولوله (فلان) يوم جابت مرته البنت الثالثة زعل كثير وصار استغفر الله العظيم يسب الله ويتف عليه استغفر الله"[4] وقد وضح القرآن الكريم كره التبشير بالأنثى منذ الأزل فقال تعالى" وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم"[5]، وقد كـــان العربي القديـــم رجل حرب، لذا فضل الذكور على الإناث،وقـــد روى أنّه كثيرًا ماوأد بناته، فاتهم بالقسوة والأنانية.[6]

وتجد الرجل العربي القديم يفرح لموت إبنته فقيل في المثل:

---

[1] - الماجدي، خزعل : **بخور الآلهة**، ص 156 -157.

[2] - مقابلة مع الحاجة ندى، ياصيد.

[3] - مقابلة شخصية: فايزة قطيط، سيريس، 55سنة ، 1 -3 -2015.

[4] - مقابلة شخصية: حنان ظاهر، 60 سنة، ياصيد، 7 -2 -2015.

[5] -القرآن الكريم، سورة النحل، آية 58.

[6] - القيرواني،إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري:**زهرالآداب وثمرالألباب**، دارالجيل، بيروت، لبنان،١٩٦٩ .

" من ماتت وليته من صفاة نيته"[1] أي أن من تموت ابنته يكون مرضيا أمام الله والبشر، لذلك كافأه الله بموت ابنته.

وقيل

" ماتت أختي من كبر بختي"[2]

و**" النساء حبائل الشيطان"**[3] دلالة على كرههن ككره الشيطان الماكر الخبيث.

وكان إنجاب الذكور مطلبا تحرص عليه الجماعة وترجوه من العروس منذ يومها الأول، وتبدأ حياتها بأمنيات تتردد على مسعمها لتذكرها بضرورة إنجاب الطفل الذكر الذي يحقق السعادة لأهله، فكانوا يغنون للعروس ليلة زفافها:

طلت من الشُرفة تَرجم لَها ياحَمام
طلّت من الشُرفة يجعل قدومك سعيد
عَسلِف والسلِفة وتبكري بغلام
وتعّمري الغرفة تَرجم لَها يا حَمام
طَلَت من الشُرفة تَرجم لَها يا حَمام
طَلَت من الشُرفة يجعل قديمِك سعيد
علعَمة والجارة وتبكري بِغلام
وتعمري الحارة ترجم لها يا حمام[4].

---

[1] - عباس، إبراهيم، معجم الأمثال الشعبية، ص160.
[2] - نفسه ص160
[3] - العسكري، الحسن أبو هلال: **جمهرة الأمثال**، تح: أحمد عبد السلام و محمد بسيوني، ط1، دار الكتب العلمية، 1988، ص478.
[4] - انظر: إبراهيم، محمد عبد السلام: **الإنجاب والمأثورات الشعبية**، عين للدراسات والبحــوث الإنــسانية، مــصر، ط1، 199، ص 57.

و هناك أغنية أخرى تردد في قرية ياصيد تقترب مع النص السابق رددتها لنا إحدى نساء القرية:

ياريتك مباركة علينا علينا

وتبكري بالصبي ويلعب حَوالينا

يا ريتك مباركة ع السِّلف والسلفة

وتبكري بالصَبي وتكثري خلِفة

ياريتك مباركة ع العريس لحاله

وتبكري بالصبي و تعمري داره[1].

وفي هذه المقطوعتين تمني واضح من النساء للعروس بأن يكون أول بكرها غلام ذكر.

ونظرا لقداسة الماء عند الأم القديمة، كانت المرأة تلجأ إلى البحر وتطلب منه أن يكون المولود الذي ستضعه ذكرا فتقول:

يا بَحَر راسي عَريانِة بِدي وَلد يغطيها

وان جاني وَلَد لا قِد ثيابي وأرميها

فللماء علاقة بالحياة وبقائها على شكلها الجميل، وبعض الحكايات تتحدث عن غوران الماء نتيجة الظلم وعودته بعد زوال ذلك الظلم، كما أن للماء قدرة عجيبة في تحقيق الأماني والدعوات[2].

وقد يصل بهم الحد إلى التمييز بين الأم التي تلد ذكرا وتلك التي تلد أنثى من خلال نوعية الطعام التي تقدم لهن بعد الولادة، فالتي تلد ذكرا يهتم كثيرا لنوعية طعامها أكثر من التي تلد

---

[1] - مقابلة شخصية: زكية مشاقي، 48 سنة، ياصيد، 7 -2 -2105.

[2] - انظر: جبر، يحيى، وعبير حمد: **مستقبل التراث الشعبي الفلسطيني في ضوء المستجدات**، بحث منشور، جامعة النجاح الوطنية، 2009،ص56

أنثى، فيقدم لأم الذكر لحم الظأن والزغاليل و المكسرات والعسل، أما الأخرى فيقدم لها العدس والدجاج والبقوليات ولحم العجل لاعتقادهم أن لحم العجل سيقلب مولدتها وتنجب ذكورا، وهدهدة النساء الريفيات تشير إلى ذلك بقولهن:

بَطن جاب الزَباري اطعموه لَحم ضَاني

بَطِن جاب البنَيّة اضربوه بالعَصَيّة

واطعموه لَحِم بايت ولا تقولوا خَطيّة[1].

وتختلف طريقة التبشير بالذكر عن التبشير بالأنثى، تذهب إحدى نساء العائلة - غالبا الجدة - إلى الأب الذي ينتظر خارج المنزل وتقول له" اللي بجيب البنت بجيب الصبي والحمدلله ع الخلقة التامة" وفي الأساس هو يعرف جوابها قبل أن تتكلم لأن ملامح وجهها تكلمت عنها ولم يسمع زغاريد النساء، ولا يشعر في مشيتها بالعجلة بل تقترب إليه بهدوء، ويعم السكوت على الحدث ولا يخبر الأب عنه أحدا، قالت لميا مشاقي" يوم ابني اسعيد أجته بنته مادلين، اتطلعت عليه زعلان شوية، قلتله يما ولوو زعلان من جية البنت، قالي لع يما بلعكس فش أحلى من البنات ولا أحن منهن، بس خايف يجيني نسيب عاطل في المستقبل"[2].

وقد يكون تفضيل الذكر على الأنثى هو السبب في تسمية عرب الجنوب لعشتار باسم (عثتر) أي جعلوها إلها ذكرا بينما هي أنثى لدى غيرهم؛ فهي نجمة الصباح ونجمة المساء عند السومريين[3].

دعاء الحامل:

وتتميز المرأة الحامل في الموروث الشعبي الفلسطيني بقدرات وهبت اليها، فهي تصبح في منزلة الأولياء والصالحين، ومستجابة الدعاء، وقادرة على أن تجعل الجميع من حولها قادرين على الحمل، وكان البعض ينظر إليها كقوة خارقة والبعض اعتبرها إله باعتبارها

[1] - كناعنة، شريف: **الانجاب والطفولة** ، ص219.

[2] - مقابلة شخصية: لمياء مشاقي، ياصيد، 68 سنة، 2-12-2015.

[3] - انظر: البطل، علي: **الرمز الأسطوري في شعر بدر شاكر السياب**، ط1، الكويت، دار الربيعان للنشر والتوزيع، 1982، ص70.

مصدرا للحياة؛ لأنها الحامل الولود، كما اعتقد الإنسان قديما بأن قوة الخصب لدى المرأة قادرة أن تثير الخصب في النبات، فهي تزرع الأرض وتنتج الأولاد وبهذا تكون مؤسسة للأمومة بحق، هي صانعة للحياة وتعتبر أسرار الطبيعة مرتبطة بسر قوتها [1] تروي الحاجة ندى عن بركة المرأة المنجبة "...اه والا يا خالتي بقينا نجيب وحدة عندها صبيان و ولاد ونقولها تعالي يا فلانه إنتي خلفتي سبعة ولاد وايدك بركة ..تعالي خليها تخلف مثلك وشرط تكون مرة كبيرة قاطعتها العادة[2]

وتعتقد النساء الريفيات أن السماء تكون مفتوحة في لحظة الولادة وأن الملائكة يحيطون الحامل من كل الجوانب[3]، " ... بتبقى السماء مفتوحة الها"[4]وتوضح الحاجة فاطمة هذا الاعتقاد، فتقول".... يقولنلي ادعي لفلانه ولفلانه وهني يدعين معي ريت فلانة يجيها ولاد وريت فلانة تخلف" .[5] فاستجابة دعاء المرأة الحامل وخاصة في حالة الولادة أمر غير مشكوك به في الأوساط الشعبية؛ لإيمانهم بأن الله عز وجل يستجيب لدعاء المضطر في وقت الشدة، والمرأة في حالة الولادة تكون في أشد الحاجة لله سبحانه وتعالى فيستجاب دعاؤها، تقول السيدة كوثر:" وأنا بولد في ابني الكبير كانت عمتي فوق راسي وتقولي ادعي لحنان إنها تخلف، وصرت أدعيلها من كل قلبي أنه يجيها ولاد يا حرام"[6]

وينقسم دعاء الحامل في اتجاهين؛ إما أن يكون في مصلحة من تدعو له، أو يكون ضده كأن تدعو عليه لخلاف معين بين السلفات أو الجارات، فتقول الحاجة فاطمة عن دعاء المرأة الحامل أثناء الخلافات"...: " اه بقين يدعين ع بعض ويقولن ريتك ما تقومي وريتك ما تفرحي في اللي ببطنك وريتك تلدي وتظلي مطرحك، وبقين الختياريات لما يدعين يطلعن ع الحيط ويطلعن صدرهن ويقولن ياربي طلعت صدري واستجب دعائي" [7].

---

[1] -نعمة: حسن: **موسوعة ميثلوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهم الديانات القديمة**، دار الفكر اللبناني، بيــروت، 1994، ص 20.

[2] مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[3] - كناعنة، شريف : **الانجاب والطفولة** ، ص 146.

[4] - مقابلة مع الحاجة نجيبة محمد ذياب، ياصيد.

[5] مقابلة شخصية: فاطمة مصطفى عبد الحفيظ أبو عيشة، 70 سنة ، روجيب.

[6] - مقابلة شخصية: كوثر محمود عبد الرحمن، 33 سنة، ياصيد، 22-2-2015.

[7] مقابلة شخصية: فاطمة أبو عيشة، روجيب.

ولو عدنا إلى الحضارة السومرية لوجدنا أن هذا الطقس امتداد لطقوس الأدعية التي كانت تدعوها المرأة الحامل للآلهة، فكانت الحامل تقدم أدعية وتعويذات للعفريتة الشريرة (لامشاتو) خلال أشهر حملها حتى تضمن ولادة سهلة ومولودا كاملا معافى[1].

مرحلة الحمل الأخيرة والولادة:

تشعر المرأة الحامل بآلام الولادة منذ الأيام الأولى من الشهر التاسع، وتبقى مهيأة في أي لحظة للولادة، ومع بداية شهر ولادتها تجد الكل يترقب ويتهيأ لقدوم مولود جديد يدخل الفرحة في قلوب العائلة، فالمرأة التي جربت الحمل والولادة من قبل تعرف الوقت المناسب لطلب الداية[2] وعندما تشعر بآلام الطلق الحقيقة تقوم بأعمال البيت على أكمل وجه وتجهز مكان الولادة والكراوية و تؤمن صغارها إذا لم تكن بكرية، ثم تخبر المرأة زوجها الذي بدوره يخبر والدته وقريباته، أو قد تخبر المرأة والدتها والتي تقوم بدورها في إحضار الداية وتهيأة نفسية ابنتها للولادة، وتصف الحاجة ندى ذلك "....وفي ابني عبد السلام بقيت في آخر شهري فيه وروحت مع جوزي وكتت 150 كته(حزمة من القش) وبس خلصنا قعدنا نتريح ونتغدى وبقى جوزي بدو يخطر(يذهب) ع سيريس لأنه بقى يجلب(مصطلح يطلق ع تجارة المواشي) ويبيع غنم وبقر وقالي يا ندى بكرى بتيجي وبتجيبي معك غدا وبنتلاقى هون، قلتله والله ما حزرت قالي ليه قلتله نهو(هيو) الوجع بلش فيي وبدي أجيب قالي هاظ عمنو شهرتش قلتلو لع أنا عارفه لحالي بس مش تعملي شر إن ما جيت بتشرى(بكرى) بقى عصبي جوزي-روحت ع الدار وحلبت البقرة بقى عندي بقرة هولندية وحممت لولاد وعشيتهم ورحت لأمي قلتلها هي يما هيتش هيتش تعالي، قام أبوي الله يرحمه قالي سرحتي اليوم واشتغلتي؟ وليش تسرحي؟ ومن هلتشي(هلحكي) قلتله يابا توتشل(توكل) ع الله وشردت من وجهه....."[3].

---

[1] - الماجدي، خزعل: **متون سومر**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1998، ص322.

[2] - الثقافة الشعبية لدراسات والبحوث والنشر: **رسالة التراث الشعبي من البحرين إلى** العالم، العدد رقم 34، المنامة/ 2006، ص115.

[3] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

وكانت عملية الولادة قديما تتم في بيتها أو بيت أهلها على فرشة من الصوف وشرشف نظيف ويتم تحضير الأدوات التي تحتاجها القابلة بالولادة، كالمقص ومادة كحولية للتعقيم وخيط لقطع الحبل السري، وتأمر القابلة بتحضير الماء الساخن لتنظيف جسم المرأة بعد الولادة و تغسيل المولود[1]، وقد تتم عملية التوليد أيضا، بإجلاس الحامل وليس باستلقائها وتوضع أسفل منها صرة من الرماد وقطعة من القماش حتى ينزل عليها الطفل[2] ، وتمسك الحامل بالقابلة لتساعدها على الدفع ويجتمع عندها قريبات الحامل اللائي بدورهن يقمن بتشيجيعها و حثها ع الصبر والدعاء تقول إحدى النساء: " اه في منهن بقين يحبين يجتمعن عندهن النسوان في مرت أخوي محمود بقت تحب يجتمع عندها 10 نسوان بس بقت تتعب كتير وبقينا نشغلها التركتور والتلفزيون عشان الناس ما يسمعوا صوتها، وبقين النسوان يشجعنها ويقولنلها شدي حالك وعيني حالك وقربت يا حبيبتي..."[3]، وتقول أخرى " بقين يجين إمي وقراباتي وحماتي، بقين يقولنلي تخافيش وعيني ولدتك، ولما بقين يقصين الحبل السري تبع الولد يقولنلي ادعي لفلانه ولفلانه وهني يدعين معي ريت فلانة يجيها ولاد[4].

وقد وضحت الحاجة ندى طقس الولادة في ريف نابلس بقولها"...لما يطل الولد من بطن أمه تسحبه الداية [5]"وهي تقول:

مَديت ايدي اليَمين واتكَلت عليك يارب العَالمين

مديت ايدي الشمال واتكلت عليك يارب يا رحمن[6]

---

[1] - مقابلة شخصية: الحاجة ندى محمد ، ياصيد.

[2] - مجلة الثقافة الشعبية: **رسالة التراث الشعبي من البحرين إلى العالم**، المنظمة الدولية للفن الشعبي، العــدد34، 2016، ص 130.

[3] مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[4] - مقابلة شخصية: نفسه.

[5] - مقابلة شخصية: ندى محمد، ياصيد.

[6] - كناعنة، شريف : **الإنجاب والطفولة**،ص144.

ومن ثم يقطع الحبل السري للطفل و يلف في قطعة من القماش ويعطى لجدته، وقالت: "وعند قطع حبل السرة بقت إمي تغت(تغطس) المقص في السبيرتو وتربط خيط في المصران(الحبل السري) وتبعد عن لحم السرة الحي أقل اشي 2 سم وتربطه مزبوط وبعدها تتوكل ع الله وتقص وبتربط إمي الحبل اللي بضل من السرة ويبقى شابك بالخلاصة بتربطة براس أصبع المرة الوالدة وبتوقفها ولما توقف بتنزل الأخت بسرعة، ولازم هاي ع طول نعملها عشان ما ترجع المولدة والأخت لفوق وتأثر ع المرة أو تسممها لا سمح الله ..."[1]وبعد أن يربط ما تبقى من طرف السرة على بطن الطفل، تنتظر الأم فترة تمتد من أسبوع لعشرة أيام لتسقط السرة، فتؤخذ تلك السرة وترميها في خرج البياع من أجل أن يصبح الطفل تاجرا، أو في سوق الذهب ليصبح صائغا، أو ترمى في بئر الماء حتى يشفى جرحه بسرعة، أما إذا كانت السرة لبنت توضع في خرج بياع الصابونة " عشان تطلع نظيفة ومعدلة" أو توضع في دكان قماش حتى" تطلع مستورة"[2]، و عند رمي السرة سمعت جدتي تقول:

بِسمِ الله الرحمن الرحيم الله يُنصر الدّين
الله يعوّض عليكِ يا فلانة الله يُنصر الإسلام والمُسلمين
بسمِ الله الرحمن الرحيم الله يجعَل وجهَك علينا خير
الله ياربي يطَوِل عمرك ويُرزقك وتشوف السعد والهَنا

فهي تعتقد أن الدعاء عند رمي السرة مستجاب، وهذا شكل من أشكال تقديس المرأة المولدة، لأن الحبل السري جزء لا يتجزء منها.

وتضيف الحاجة فاطمة :"...وما رحنا ولا ع دكتور وبقت الداية تفحصنا وتولدنا"[3]وتصف الحاجة ندى شجاعة المرأة عند الولادة واستعدادها النفسي لهذه المرحلة بقولها: "...أجت إمي وقالتلي اه هسا؟ قلتلها اه هسا تعالي وجابت امي هالفرشة والمشمع والمقص..."[4]

[1]مقابلة شخصية:ندى أحمد محمد، ياصيد.

[2] - مقابلة شخصية: نجيبة محمد ذياب، ياصيد، وانظر: كناعنة، شريف: **الانجاب والطفولة** ص 172.

[3] - مقابلة شخصية: ندى محمد ، ياصيد.

[4] مقابلة شخصية: ندى محمد، ياصيد.

فلا يشعرن بآلام ولا وهن ما بعد الولادة، لأن طبيعة الحياة الريفية تتطلب منهن العمل الجاد المستمر، تقول نجيبة" بعد ما ولدت بنتي فلانة، ثالث يوم رحت ع الزيتون وطبخت وعزلت كل الدار وحلبت البقرات وكنست تحتهن، وعبيت براميل المية، بس مهو هسا بين فينا الشقى والتعب"[1].

وتبرز في هذه المرحلة من مراحل الحمل دور (الدّاية) الفلسطينية، ويطلق هذا اللقب على المرضع الأجنبية والحاضنة والقابلة [2] فالقابلة هي المرأة التي تساعد المرأة عند الولادة، والجمع قوابل[3]، وتعود أصول هذه المهنة إلى عصور مملكة الفراعنة القديمة في مصر مع الطبيبة مريت بتاح "أي محبوبة الإله بتاح"، وهي أحدى الطبيبات الأوائل في العالم، عاشت في عهد الأسرة المصرية الثالثة نحو 2700 قبل الميلاد، اشتهرت بكونها أول امرأة طبيبة يذكر اسمها وربما تكون أول امرأة في التاريخ تعمل في مجال العلوم[4]، والداية هي المرأة التي تقوم على تربية الصغير والتي تقوم مقام الأم في تربية الولد بعد وفاتها [5] وقد تطور المفهوم إلى أن أصبح يطلق على كل مولدة، قابلة، من تحترف توليد النساء فيقال "حان موعد الولادة فأحضروا الداية"[6]. وقيل أنها سميت قابلة لأنها تجلس مقابل المرأة وجها لوجه فقد ورد معنى "قبالة" في معجم الصواب اللغوي بمعنى " اتجاهه"، فيقال جلس قبالة أخيه[7]، وورد لفظ الدّاية في المصادر القديمة على أنه عربي (اللسان: دوي)، وقيل: فارسي، وقد اشتهر مؤلف كتاب المكافأة بابن الداية[8] ، ورد أيضا مصطلح القابلة في معجم العين بمعنى القابلة التي تشرف على توليد النساء، فذكر في المعجم[9]أنه "كان إذا اشتد الزمان فولدت المرأة ولدا أغرقته القابلة في ماء

---

[1] - مقابلة شخصية، نجيبة محمد ذياب، ياصيد.

[2] - الأندلسي، الفقية أحمد بن عبد ربه: **العقد الفريد**، تح: عبد المجيد الترحيبي، ج 8، دار الكتب الأهلية ، بيـــروت، ط1، 1983، ص 161.

[3] - انظر:عمر، أحمد مختار: **معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي**،عالم الكتب،القاهرة،ط1، 2008 م .ص599.

[4] - ويكيبديا الموسوعة الحرة: مقال بعنوان: **المرأة في مصر القديمة**، 2016 ، https://ar.wikipedia.org/wiki/

[5] -إبراهيم مصطفى واخرون : **المعجم الوسيط** ، ص182.

[6] - انظر:عمر، أحمد مختار: **معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي**،ص368.

[8] - انظر: عمر، أحمد مختار: **معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي**،ص368.

[9] -الفراهيدي،أبوعبدالرحمن الخليل بن أحمد: **كتاب العين**،تح: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي،دارومكتبة الهلال،ج4، ص354.

السلا، ثم تخرجه ميتا، ذكرا كان أم أنثى، فأنزل الله تعالى: (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق)[1]. وقال الأعشى:

أَطورين في عامٍ غزاة ورحلة   ألاليتَ قيساً غَرَقتهُ القوابل[2] "

وجود الداية في الريف الفلسطيني إمتداد لما كان يحدث في الحضارة السومرية، فبعد أن قرر الإله إنكي شكل الإنسان وطبيعته، وزرعه في رحم(ننماخ)، جعل معها إلاهات سبعة لمساعدتها وتشجيعها في الولادة[3]، وفي الحضارة المصرية كان اله (خنوم) هو من يصوغ شكل الجنين على عجلة فخارية، وساعة الولادة جعل إلاهات أربع يساعدن فيها وتلك الإهات هن (ايزيس، نفتيس، حقت، مسخنت) وينفردن بالحامل في غرفة خاصة، وتقوم إله ايزيس وكاهنتها القابلة بعملية الولادة وتساعدها الإلهات الباقيات، فتسندها (نفتيس)، وتسحبها (حقت) وتشجعها(مسخنت)، ثم تغسل القابلة الطفل وتقطع حبله السري وتضعه فوق المهد وتغطيه بالكتان، وكانت الكاهنات المولدات يحملن عصي خاصة لرد الشياطين التي تحاول الحاق الضرر بالوالدة والجنين باستخدام الفاظ وعبارات خاصة [4].

وعند الآشوريين كانت الأم القمرية مسؤولة عن حمل النساء، وتتعهد بحماية النساء الحوامل وتكون حاضرة فوق سرير الولادة لتسهيل عملية الوضع، وكانت نساء بابل يدعين عشتار وهن على فراش الوضع، وكانت الأم الكبرى في مختلف الحضارات راعية النساء الحوامل بمختلف مراحل الحمل وهي الإلهة التي تساعد المرأة التي تضع وتردد في تلك الأثناء ترتيلة بابلية لعشتار تقول فيها:

تُعين النساء فتاة أو امرأة أو أمَة
نافِذّة شرائعها سامية مُحكَمة[5]

---

[1] -سورةالإسراء،الآية 31
[2] - الأعشى، **الديوان**، ص 183.
[3] - الماجدي، خزعل: **متون سومر**، ص 165.
[4] - نفسه، ص 233.
[5] - السواح، فراس: **لغزعشتار**، ص 83.

عسر الولادة:

أجمعت عدد من النساء على أن عسر الولادة قديما كان نادرا جدا، وفي أحيانٍ كثيرة كانت المرأة تلد وحدها بدون مساعدة أحد، تقول الحاجة لمياء مشاقي" ما بقينش النسوان يتغلبن في الميلاد ، لأنهن بقين يسرحن ويروحن مشي وما يقعدنش وبقت مرت أبو عبكل تلد في الهيش(البر) ومرة من المرات ولدت في مغارة أبو الصاحب تبعتنا، قالتلنا إنها حست ع حالها بدها تلد وكرمزت حيلها (جلست قرفصاء) وسحبت الولد وقطعت الحبل السري في حجر وربطته، وعملت جورة قعدت عليها تا صفت الدم والخلاصة من حالها وطمت الجورة، وركبت لحمارة وروحت ع دارها هي وابنها"[1]وتقول عفاف: " مرة حماتي خرفتنا عن حماتها أنها ولدت عمي يوسف بالرهوات (اسم أرض) ولحالها بقت، ولدت ورجعت ع الدار هي والولد"[2].

وإذا تعسرت الولادة عند المرأة في ريف نابلس، تذهب معها إحدى النساء إلى أحد رجال الدين أو الرجال الصالحين في القرية ، وتأخذ معها على حد قول ندى " ... دكة لباسه وبتربطها ع راس بطنها وبإذن الله بتلد بسرعه"[3].

ثم قالت : " بقت إمي إذا تعسرت ولادة المرة تحط ع باب نفاسها شوية زيت عشان تريح المرة لما تنزل الصبي وتساعدها إمي شوي شوي لحتى تلد، مش مثل بنات هاليوم جرح وع الماشي[4]

ثم قالت الحاجة فاطمة: " واللي بقت تطول وهي تقاسي، يجبن حرام ويلفينها في قلبة(داخله) ويصرن يشوطحن فيها(يمرجحن)، وبعدها بتلد بسرعة"[5]وتضيف نجيبة" بقت اللي تطول وهي تقاسي، تروح وحدة من قراباتها تغسل اجرين جوز اللي بتلد وبسقين المرة من مية اجريه، بقين

---

[1] - مقابلة شخصية: لمياء مشاقي، ياصيد، 60 سنة، 2 -4 -2015.

[2] - مقابلة شخصية: عفاف لطفي، ياصيد، 40 سنة، 29 -2 -2015.

[3] - مقابلة شخصية، ندى محمد، ياصيد.

[4] - مقابلة شخصية: ندى محمد، ياصيد.

[5] - مقابلة شخصية: فاطمة أبو عيشة ، روجيب.

يقولن أنها بتلد بسرعة منها"[1] و كانت الدايات تلجأ إلى استخدام مغلي اليانسون لتسهيل عملية الولادة[2].

اهتم القدماء بصحة المرأة الحامل، فقد ظهرت ممارسات العناية الطبية بالمرأة منذ العصور السومرية والاكادية[3]وقد حاولت القبائل العربية البحث علاج عسر الولادة، واستخدموا نبات الضرو - ويصف بانه حار يابس- ؛ فإِذا شُربت الحامل ماءه نفع من رياح الأرحام، وسهَّل عسر الولادة، ولذلك يسمى المنقذ.ويقال: الضِّرْو: الحبة الخضراء[4].

وارتبطت مراحل الحمل المختلفة ومنها عسر الولادة بالقوى الخفية التي يتمتع بها بعض الأشخاص بالسحر الخارقي[5]؛ لذلك نجد كثيرا من النساء تلجأ إلى الكهنة من أجل تحضير تمائم وحجابات لتسهيل عملية الولادة، وكانت هناك أيضا تعويذة (لامشتو) والتي كانت على شاكلة وحش غريب الشكل ذو رأس أسد وجسد امرأة يهاجم النساء الحوامل ساعات الولادة والأمهات المرضعات؛ لذلك كانت تصنع لهن تميمة على شكل وحش برأس أسد وجسم امرأة[6]

كيفية التعامل مع الطفل بعد الولادة:

تتعدد الممارسات المتبعة في التعامل مع الطفل بعد ولادته ومن أهم تلك الممارسات:

حمام الطفل وتمليحه وتزيته وتكحيله:.

تقول الداية عائشة " بعد ما ينزل الولد من بطن إمه ونقطع الحبل السري، بنسحب الولد وبنرفعه من إجريه، وبنقلبه ع قفاه عشان يعيط، وعشان إذا يبقى بثمه مية من مية الرحم ينزل،

---

[1] - مقابلة شخصية: نجيبة محمد ذياب، ياصيد

[2] - انظر: **الطب البديل والتداوي بالأعشاب**، نسخة الكترونية، ص258.

[3]انظر: الماجدي، خزعل: **بخور الالهة**، ص158

[4] - اليمني، نشوان بن سعيد: **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم** ، تح : حسين بن عبد الله وآخرون، ج6 3945، دار الفكر المعاصر، بيروت 1999، ص.3945

[5] -انظر: الماجدي، خزعل**: بخور الالهة**، ص29

[6] -انظر : نفسه، ص222.

وبعدها بنمسح جسمة بقطعة قماش وبنظفله عنيه ومناخيرة وبنلفة بقطعة قماش بيظا[1]"، وتعقب ندى على ذلك وتقول: " وبقينا نجهز مية وفيها شوية ملح وبنحمم الطفل ونملحه وبقى بإذن الله ما يطلعه حبة ولا نكزة ولا إشي[2]" وتقول أخرى: " من يوم بطلوا الناس يملحوا صاروا الولاد يقملوا ويسمطوا ويتسلخوا، بنات اليوم بشفقن ع ولادتهن قال الملح حامي عليهم وما خرب الولاد غير شفقتهن عليهم، بس بقى الولد يسمط نغسله بمية باردة مع ملح لأنه المية الباردة بتجمد الجلد أما السخنة بتسلق الولد سلق[3]"، فاستخدمت النساء الريفيات الملح لتعقيم وتنظيف جسد الطفل من الميكروبات، على الرغم من تضايق الطفل من ملامسة الملح لجلده يقال:

" أول همك ملحة جسمك، وثاني همك فطمك عن بز إمك، وثالث همك طالع سنك[4]"

فالملح يطرد الأرواح الشريرة لأنها لا تتحمله[5]، وقد استخدم الملح كذلك في كثير من الحضارات، فالحضارة المصرية استخدمته للتحنيط، ولعله أول استخدام في التاريخ بناءً على فكرة الخلود لديهم، وقد اعتبره الفراعنة مساويا للحياة نفسها[6] فلهذه المادة البيضاء قوة خارقة ، وعند وصف المحبة لشخص ما نسمع قولهم" بيننا عيش وملح" فمن يتنكر لحبات الملح البيضاء فإنه ينكر قيم الأخلاق كلها[7]، لذلك يرش الملح على الطفل حديث الولادة ويرافق تلك العملية عبارات ترددها القابلة أثناء الاستحمام فتقول:

خُذوا مِلح مَلحوه ورُدوا عَافِيته اله
خُذوا بَخور وبخروه وردوا عافِيتُه اله[8]

---

[1] - مقابلة شخصية: عائشة ، سبسطية

[2] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[3] - مقابلة شخصية: أم عصام الأزهري، سبسطية، 60 سنة،2 -2 -2015م.

[4] - انظر: غوشة، صبحي سعد الدين: **الحياة الاجتماعية بالقدس في القرن العشرين، وزارة الثقافة الفلسطينية**، رام الله، ط 1، 2010، ص147.

[5] - انظر: جلال، إبراهيم: **الأساطير الصينية وروائع الحواديت والحكايات الشعبية**،دار مشارق للنشر والتوزيع، ط1، 2009، ص38.

[6] - جلال، إبراهيم : **الأساطير الصينية وروائع الحواديت والحكايات الشعبية** ، ص 37.

[7] - نفسه، ص 35.

[8] - كناعنة، شريف : **الانجاب والطفولة**، ص 280

وكأن الملح مادة تستخدم لتبخير الطفل لرد العين وطرد الشياطين من حوله كما ذكرنا سابقا.

ولهذا الاعتقاد تجد الجدة أو الأم تغني للطفل في أثناء تمليحه وحمامه:

يا مِلِح يامَليح

يا مِلِح يا مليح

يحطوك في النار تطرقِع

يحطوك في المي تسيح

يا مِلِح دارنا كَثّر عِيالنا

يا مِلِح دارنا كَثّر صغارنا[1]

وكأن للملح قدرة على زيادة الخصوبة، وتكثير الأطفال الذكور في البيت، و واستخدم الملح أيضا في التبخير عن طريق حرقه بالنار مع ترديد بعض الأيات القرآنية[2].

وتكمل ندى قولها "و بعد قطع السرة بوخذن النسوان الولد بلحينه (نغسله) بشوية ميه، أما إذا الدنيا سقعه لع بنحمموش بس بنمسحه وبنظفه وبنلبسه لثلاثة أيام ومرات للأربعين لحتى تدفي الدنيا وبس نحممه بنحط بالمية ملح ونملحه وندهنه بزيت عشان يقوين عظامة ويصلب، وبقى الولد بإذن الله لا يطلعله حبه ولا نكزه و ولا اشي، وبقينا نكحله بكحل عربي "[3]، ولو نظرنا إلى العصور القديمة لوجدنا أن المشماشو(الكاهن المطهر للجسد) في أديان تلك العصور، كان يفعل ذلك أثناء التعميد، فيمسح أجسام المعمدين بالزيت والملح لتطهيرها وطرد الأرواح الشريرة منها ويساعد في ذلك(الباشيشو)[4].

---

[1] - صالح، أحمد رشدي: **الأدب الشعبي**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 2، 1955، ص180.

[2] - مقابلة شخصية: نجيبة ذياب، ياصيد.

[3] - مقابلة شخصية: ندى محمد، ياصيد.

[4] - الماجدي، خزعل: **بخور الآلهة**، ص 371.

كما رمز الملح في كثير من الحضارات الى الخصب والقوة الجنسية، ففي جبال البيرينيه في فرنسا يذهب الزوجان الى الكنيسة وهم يحملون ملحا في جيوبهم؛ للاعتقاد بأنه يقي من الضعف الجنسي، وفي ألمانيا يرش الملح على حذاء العريس لتزداد خصوبته[1] كما هو الحال في الريف النابلسي، تجد النساء ترش الملح على العريس أثناء زفته لحمايته من العين على حد تعبيرهن وطرد الأرواح الشريرة التي قد تؤذيه، وقد يكون لون الملح الأبيض سببا في تقديسهم له؛ إذ اقترن اللون الأبيض في الأساطير بالإشراق والحياة والسمو واقترنت به قيم معنوية[2]، وتحوي المكتبة الوطنية في فرنسا لوحة تظهر فيها نسوة يملحن أزواجهن ونسوة يعرين رجلا ويرششن الملح عليه[3] .

وعند الحمام تضع الداية الطفل في إناء مخصص لحمام الطفل، وتضع فيه الماء على عمق لا يتجاوز 10 سم وتضع الطفل فيه وهي تردد " بسم الله الرحمن الرحيم اسم الله عليك وحواليك، اسم الله يحميك اللهم صلي على سيدنا محمد" وترش الماء عليه بخفة " خوف ما يلتمس" وتحرص على أن لا يخلص الإناء الموجود فيه الماء الممزوج بالملح الذي يسكب منه على الطفل "لأنه فال مش منيح"[4] وتحرص أيضا على وضع قطرات من الماء المملح في عين الطفل حتى لا يصاب بالرمد.

وتردد النساء الريفيات في أثناء حمام الطفل الكثير من الأغاني مثل:

شلّحتك حِرز ولبّستك حِرز

حِرز الحسَن والحُسين

خُوف تصيبك عِين[5]

وفي هذا الطقس دلالة رمزية لدرء الحسد، فحرز الحسن والحسين هي تعويذة دينية تستخدم لهذا الغرض.

---

[1] - انظر: جلال: **الأساطير الصينية وروائع الحواديث والحكايات** الشعبية، ص 37.

[2] - انظر: عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العرب**، ص200.

[3] - انظر: جلال، إبراهيم: **الأساطير الصينية وروائع الحواديث والحكايات الشعبية**، ص37.

[4] - مقابلة شخصية: حنان ظاهر، ياصيد. وانظر: كناعنة: **الإنجاب والطفولة**، ص137.

[5] - انظر: صالح، احمد رشدي، **الأدب الشعبي**، ص184.

وقد تردد المرأة بعض التهاليل وأغاني الترقيص عند حمام الطفل منها:

اسمَ الله ع فلان اسمَ الله عليه   جيبوا قناني العُطر ورُشوا عَليه

طالِع مِن الحَمام شَعرَه مايل   يا مِيمتي يا فلّان جانا زاير

طالِع مِن الحَمام شَعره عَسّجدي   يا مِيمتي يا فلان أَجانا عَسكَري

غنين لفلان ميمته فرحانه   بزرار بدلته حبة الرمانا

غَنين لَفلان مِيمته مِشتاقه   بِزرار بَدلته حبة الدُراقا[1]

دهن الطفل بالزيت:

تقول كوثر: " لما جبت ابني بقت عمتي تقولي دهنيه كل يوم زيت وركزي ع إجريه عشان يقوى ويصلب، وتقولي الضحويات شلحيه البنطلون وحطيه بالشمس بس خلي جريه وجسمه من تحت بالشمس اوعك تيجي ع راسه ووجهه، وبقيت أسألها ليش الزيت يا عمتي قالتلي عشان يصلب ويصير يركض وما حدا يلحقه وبطلعنش إجريه مقوسات"[2]

والزيت يحمي جسم الطفل من السماط ، " بجمد جسم الطفل وبحميه من الميكروبات، قال امات اليوم بشفقن ع الولد وبملحنوش وبتلقى الولاد كلهم مسمطين وجلهم مسلوخ وعنيهم بوجعنهم[3]" ؛ لذلك يدهن به إبطي الطفل وبين "فخاده"، ويعتقد الناس أن الجلد" بيتشرب الزيت" ويطهر الجسم ويزيل زنخته الناتجة من مخلفات الولادة وبتطهره من الدم، وهو ضروري لحماية الطفل من الحسد والعين، فكانت الأم تخمر الزيت مع ملح وتضعه في قطعة من العجين اليابس مكورة كالصحن وتضعها تحت سرير طفل لتستخدمها وقت الحاجة[4]، وتضيف نجيبة: " بقينا نحط الملح في صحن لازم يبقى طاهر[5]"، وتقول الداية عائشة" بقينا ندهن الولد بزيت زيتون

---

[1] - انظر: كناعنة، **الانجاب والطفولة**، ص 175.

[2] - مقابلة شخصية: كوثر فهمي، ياصيد، 34 سنة.

[3] - مقابلة شخصية: ام مصطفى، سبسطية، 60 سنة، 2-2-2015.

[4] - انظر: كناعنة، شريف: **الإنجاب والطفولة**، ص177.

[5] - مقابلة شخصية: نجيبة ذياب.

ونملحه في بنت لدار أبو الراغب وبنت لفوزية الي دارها تحت دار المرعي هذول البنتين جين صغار بقينا ندهن جسمهن في زيت زيتون فاتر في عز أيام المنخفضات والسقعة[1]".

وقد يمتد تزييت الطفل لثلاثة أيام أو لأسبوع وقد يصل للأربعين ، لكن عبير حدثتنا أن حماتها كانت تحثها على تزييت اطفالها وهم في عمر الشهور من أجل أن يمشي بسرعة قبل عمر السنة، فتقول: " حماتي بقت تضل تقولي ادهني اجريهم بالزيت منيح وهمي عمرهم شهور عشان يمشوا بسرعة وفعلا ابني يوسف مشى ابن 9شهور[2]"، وقد يعاني الطفل من تقوس اجريه فتنصح الجدة أو الأم بدهنه بزيت زيتون و وضعه بالشمس.

واستخدم الزيت كمادة مطهرة عند السومريين، وكانت فلسفة التطهير تجري على أساس أن الإنسان محاط بالأرواح الشريرة وكان لابد للإنسان من استخدام مواد دالة على آلهة التطهير فكان الماء والزيت يمثلان إله التطهير(إنكي)[3]، وقد جرت العادة في الكنائس المسيحية، إقامة طقوس المسح بالزيت المقدس مرتين بالسنة؛ الأولى في صوم الميلاد المجيد والثانية يوم الأربعاء العظيم، والهدف من هذا؛ مسح جيع المصليين بالزيت المقدس للتبرك والشفاء[4]، ويتم ترديد العديد من التراتيل للمسيح أثناء المسح ومنها:

أيها السيد المسيح ارحم عبيدك

أيها السيد المسيح المبهج دائما نفوس البشر وأجسادهم بزيت التحنن. والحافظ المؤمنين بالزيت. أنت ترأف الآن أيضا على المتقدمين إليك بالزيت

أيها السيد إن الأرض كلها ملأى برحمتك. فلذلك نحن الذين يدهنون اليوم بالزيت الإلهي سريا نتوسل إليك بإيمان أن تمنحنا رحمتك الفائقة العقل [5].

---

[1] - مقابلة شخصية: عائشة الأزهري، سبسطية.

[2] - مقابلة شخصية: عبير عناد 33 سنة.

[3] - انظر: خزعل، الماجدي: **متون سومر**، ص 315.

[4] - ميلتوس، بصل: **كراس خدمة سر مسحة المرضى(سر الزيت المقدس)**، رام الله، ص2.

[5] - نفسه، ص 6.

تكحيل الطفل:

والكحل ما يكتحل به، يوضع بالعين فيستشفى به، وكحّلها يُكحّلها كحلا فهي مكحولة[1]، ووضع الكحل في عين الطفل عند ولادته عادة من عادات النساء في ريف نابلس، تقول نجيبة:" بقينا نكحل الولد من لما نلده لعمر السنة عشان ما يرمد ويوسعين عنيه، بقينا نجيب زرار الكحل من نابلس ونحطه ع عجينة وع قشرة ليمون ونحرقهن بالطابون ونشويهن وبعدين نحطهن بالمصحان هو والليمونه والعجينة و بنخلهن بشاشة وبتضل تدق في المصحان تا ينعمن وبعدين بنحط عليهن زيت وبنحرقهن مع بعض وبتفقس عليه بيض شنار و بنرد ندقة مع بعض و بنرجع بنخله"[2].ويوضع الكحل المصنع يدويا في وعاء صغير يسمى (مكحلة) وفيها أداة صغيرة تسمى (المرود)تكون عادة مصنوعة من النحاس ، يغمس المرود في الزيت او الماء قبل تغطيسه بمادة الكحل؛ ليعطي لمعانا جميلا للعين، ويتم تكحيل الطفل يوميا أو بعد الحمام لأن الكحل كما يعتقدون يزيد من سعة العين وجمالها وتقوي النظر[3] ويقال لمن يعمل خيرا في غير مكانه" الكحل في العين الرمدا خسارة"[4].

ولا يقتصر استخدام الكحل على المولود الأنثى؛ وإنما يستخدم لكلا الجنسين لحمايتهم من العين والحسد إضافة للأسباب السابقة، وقد استخدم الفراعنة الكحل لتظهر عيونهم جميلة و واسعة، واستخدمه البدو لحماية أعينهم من إشعاعات الشمس الحارة الضارة في الصحراء[5]

وقد تغنى الشعراء العرب بالعين الكحيلة باعتبار أن العين الكحيلة من أهم ملامح الجمال عند المرأة العربية، يقول ذو الرمة:

---

1 - ابن منظور: **لسان العرب**، ج13، ، باب كحل، ص103

2 - مقابلة شخصية: نجيبة محمد ذياب.

3 - كناعنة ، شريف: **الانجاب والطفولة**، ص 179.

4- مقال بعنوان" **سوالف**" ، الجمعة، 14-9-2012م http://www.raya.com/home/print/6f65c7e4- a628- 4208- 84b5-6b03858647fe915e- 17fced8c3f39/92f2b9b8- cd8c- 46c

5 - انظر: الشهاوي، صلاح عبد الستار: **الكحل في الثقافة العربية والشعبية**، مجلة الموروث الشعبي الإلكترونية/ العدد السابع عشر، مصر، 2016.

كَحلَاء في برَجٍ صَفراءُ في نَهَجٍ   كَأنها فِضةٌ قَد مَسها ذَهَبُ[1]

وقد جاء في السنة النبوية أن الرسول عليه وسلم استخدم الكحل، وأمرنا باستخدامه فورد عنه أن ابن عباس قال: " كانت عند النبي صلى الله عليه وسلم مكحلة يكتحل منها ثلاثا في كل عين"[2] وقال عليه السلام: " إن خير أكحالكم الإثمد يجلو البصر وينبت الشعر"[3]

ملابس الطفل:

لملابس الطفل في الموروث الشعبي مزايا مهمة للحفاظ على راحة الطفل، وأهم تلك المزايا أن تكون ملابس الطفل ناعمة مريحة خالية من **الأزرار** وتحافظ على درجة حرارة جسم الطفل باختلاف الفصول، ولخبرة كبار السن دور كبير في تحديد الملابس الملائمة للطفل حديث الولادة؛ لذلك تبدأ الجدة أو الأم بخياطة الملابس التي تراها مناسبة لطفلها، تقول إم عصام من سبسطية: " بقينا نعملهم أواعي واسعة، بنات اليوم بلبسنه بجامات قال ويبقين ضياق ع الولد وزمان بقينا نلبسه أواعي بسيطة واسعات عشان ما تحزز بجسم الطفل[4]"، وتقول الحاجة نجمة الموسى من قرية بيتا: "" بقاش حدا يشتري مشترى بقت اللي بدها ترمي دشداشة وتزهق منها تخيطها لولادتها أواعي، أنا بقيت أخيط لولادتي من بلاطيني، ولولادة الجيران أخرى، اقصقص هالقماش وأعمل بلاطين وبلايزوشلحات صغار وقطع تحت الأواعي وللبنات أعمل خلقات ، وأعمل زنانير ولفاع، وبقينا نحط قطع القماش اللي نوخذهن من الشلحات العتيقة حفاظات بدل اللي بحطينهن بنات اليوم"[5].

---

[1] - ذي الرمة، غيلان: **الديوان**، تحقيق: كارليل هنري، عالم الكتب، ص5.

[2] - زيدان، عبد الكريم : **المفصل في أحكام المرأة والبيت المسلم**، ط3، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1997، ص354.

[3] - ابن ماجة، محمد بن يزيد: **سنن ابن ماجه**، تح: محمد عبد الباقي، ج2 ، دار الفكر، بيروت، ص 1157.

[4] - مقابلة شخصية: الحاجة أم عصام الأزهري، سبسطية، 60 سنة.

[5] - مقابلة شخصية: نجمة الموسى، بيتا.

ومن أهم الملابس التي تحرص الأم على اقتناءها وضحتها لنا الحاجة ندى وقالت: " بلاطين وفساتين وفلينات وشلحات وقماط[1]"، "كوفلية، خروق، مسامك، شلحة، منتيانه، شباح ، وبقوا يعملوهن من قماشة ناعمة ويوخذن أواعي قديمة من بعضهن اللي عندا ثوب ناعم تقولها جارتها أعطيني إياه أفصله بلاطين للولاد[2]".

تقميط الطفل:

نقول قمطت الأم طفلها؛ أي ضمت أعضاءه على جسده ولفته بقطعة من القماش[3]، فالقماط عادة اتبعتها الأمهات في ريف نابلس والأرياف الفلسطينية كافة، وتتم بوضع الطفل بقطعة مربعة الشكل مصنوعة من القماش الناعم بيضاء اللون، ويوضع عليها الطفل بشكل قطري مع ثني طرف القطعة من جهة رأسه ووضعها تحت كتفيه، ثم تفرد يد الطفل بشكل مستقيم على جنبه الأيمن وشد القماش على بطنه للجهة اليسرى ثم تضع الأم يده اليسرى بجانب قدمه اليسرى وشد قطعة القماش بالاتجاه الأيمن ثم يربط بحزام سميك لكي يحافظ على ثبات الطفل فيصبح شكله تماما كالمومياء[4]، يقول ابن سينا في ذلك: " إذا أرادت القابلة تقميط الطفل، عليها بلمس أطرافه برفق، فتعرض ما يستعرض وتدق ما يستدق، وتشكل كل عضو على أحسن شكله، كل ذلك بغمز لطيف بأطراف الأصابع ويتوالى ذلك في معاودات متوالية ثم تفرش يديه وتلصق ذراعيه بركبتيه وتممه أو تقلنسه بقلنسوة مهندمة على رأسه[5]".

وللقماط عند المرأة الريفية فوائد مهمة منها؛ حماية الطفل من البرد والأمراض، والمحافظة على سلامة العمود الفقري وتحافظ على عظامه الهشة كما يساعده على الراحة أثناء النوم، تقول عائشة: " القماط بحمي العمود الفقري للولد خوف ما ينكسر أو يتشلوع، إذا حملوه الصغار بتشلوع وبنامش الليل من الشلوعة، وبدون لفاع بتضل رقبته تتطوطح وبتصير توجعه،

---

[1] - مقابلة شخصية: ندى محمد عبد الكريم، ياصيد

[2] - مقابلة شخصية: عائشة الأزهري، سبسطية، 62 سنة.

[3] - ابن منظور: **لسان العرب**، باب قمط، ص 3739.

[4] - الحشايشي، محمد بن عثمان: **العادات والتقاليد التونسية**، تونس، سراس للنشر، 1994، ص62.

[5] - انظر: ابن سينا، أبو علي الحسين: **القانون في الطب**، م1، بيروت، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر، 1993، ص199 -200.

أحسن اشي للولد القماط "[1]، وتكمل الحديث الحاجة أم عصام: " بقينا الولد اللي تشلوع ندهنه بزيت زيتون، في إلي بنت عايشة في النرويج بقت تظل تقولنا أنتو الكم عادات من العصر الحجري لأيش هو القماط والحكي الفاضي، وبس ولدت بنتها شافتهم كيف بعاملوا الصغار هناك، بعاملوهم مثلنا احنا زمان وقالتلي فعلا يما إنتو أهل زمان ما في أحسن من تعاملكم مع صغاركم، وهناك بالنرويج بقمطوا الصغار مثلنا زمان[2]"

وهناك طريقتان لتقميط الطفل، الطريقة الأولى: لف جسم الطفل السفلي فقط وتبقى يداه في حريتهن المطلقة، وتكون هذه الطريقة بعد الشهر الثالث، لأن الطفل قبل هذا العمر" بخاف وبنطز(يرجف) من إديه[3]"، يعتقدون أن الطفل إذا رأى يدية أو رجليه فإنه يفزع، والطريقة الأخرى لف جسم الطفل بالكامل كما أوضحنا سابقا وهي الأكثر شيوعا في الأوساط الشعبية النابلسية.

ويختلف زمن التخلي عن الكوفلية في الأوساط الشعبية النابلسية قديما كان لا يتم نزع اللفاع عن الطفل قبل الشهر الثالث وقد تمتد تلك الفترة إلى الشهر الثامن والسنة حيث لا يستسلم للنوم بدونه، تقول الحاجة نجيبة: " أنا ظليت ألفع ابني فلان لعمر السنتين، لأنه اتعود عليه وبطل يعرف ينام بدونه، بقى يروح يجيب الكوفلية ويقولي يلا كوفليني عشان أنام، وفعلا الفعة ويروح نايم[4]"، أما في الوقت الحالي فتقمط الأم رضيعها في أسابيعه الأولى ليلا ونهارا، ثم ليلا فقط إلى أن تتخلى عن القماط نهائيا تقول الحاجة أم عصام الأزهري: " بنات اليوم بقمطنش ولا عبالهن و ولادتهن بتشلوعوا وبطلعوا رخوين، مهو المثل قال: الولد في المقمط مثل العجل بالمربط[5]".

وقد تردد الأم أثناء تلفيع طفلها بعض الآيات القرآنية مثل آية الكرسي، و تصاحب عملية التلفيع بعض الطقوس السحرية كوضع دبوس على شكل عين زرقاء مكتوب عليها بعض

---

[1] - مقابلة شخصية: عائشة الأزهري، سبسطية.

[2] - مقابلة شخصية: ام عصام الأزهري، سبسطية

[3] - مقابلة شخصية، فاطمة محمد شراقة، عصيرة الشمالية، 80 سنة

[4] - مقابلة شخصية: نجيبة محمد ذياب، ياصيد.

[5] - مقابلة شخصية: أم عصام الأزهري، سبسطية.

العبارات مثل ماشاء الله أو اذكروا الله، أو خرزة زرقاء مع قطعة من الذهب مربعة الشكل مكتوب عليها آية الكرسي وهذا يوضح الخلط بين الممارسة الدينية والسحرية في عادات وتقاليد الريف النابلسي.

ختان الطفل:

ظاهرة الختان أو الطهور من الظواهر المتجددة عند كثير من الشعوب، وبالذات عند الشعوب السامية أو القبائل العربية القديمة، الختان هو موضع القطع من الذكر أو قص القلفة(الجلدة التي تغطي حشفة العضو الذكري) ، وهي عادة يرى أنها إيجابية ، والأدب الشعبي يحتفي بختان البنين أشد احتفاء؛ فهو تجربة للزواج، له زفة على فرس و يلبس الطفل أجمل ما لديه من ثياب، وتجمع فيه النقوط وتتبادل الهدايا وأحيانا ما يجري ضمن حفل زواج لأخ أكبر أو قريب[1].

والمطهر هو الذي يقوم بعملية الختان، وعادة يكون من خارج القرية إلى المدينة ، يأتي إلى القرية حاملا معه عدته من مقص وشاش وسبيرتو وما إلى ذلك، تروي فاطمة: " بقى يجي المطهر ع البلد من نابلس من دار كلبونة، ومعاه شنتة الطهور، وبقى يلف البلد وينادي أجى مطهر الصبيان أجى مطهر الصبيان، وبقوا ولادة البلد كلهم يخافوا منه ويتخبوا، ويجتمع عنده 15 ولد أو أكثر[2]" وتقول الحاجة ندى: " أنا ولادتي الثنين وابن سلفي و ولد من عيلتنا كلهم طهرناهم سوى، وصرن نسوان العيلة يغنين ويزعكن و الزلام يطخوا[3]".

وتصف النساء ذلك بغنائهن:

عَبَر المطَهِر يا مِيمتي خَبيني

افتَحي الصَندوق يا مِيمتي لَبسيني

---

[1] - صالح، أحمد رشدي: **الأدب الشعبي**، ط2، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955، ص 182.

[2] - مقابلة شخصية: فاطمة أبو عيشة، روجيب.

[3] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

عَبَر المطَهِر بِعِدتُه ومواسُه

حَلَف المطَهِر ما يِطلَع إلا بشَاشُة

عَبَر المطَهِر بعدِته الشَلَبية

حَلَف المطَهِر ما يِطلَع إلا بمِيّة

عَبَر المطهر بِعِدته الشَلَبِيَة

حَلَف المطَهِر ما يِطلَع إلا بمِية

عَبَر المطَهِر بِعِدته وجُوخُه

حَلَف المطَهِر ما يِطلَع الا بجوخُه[1]

وفي هذا وصف كامل لما يحمل المطهر من عدة، وما يقتضيه من أجر مقابل عملية الختان.

لا تستغرق عملية الختان للطفل الواحد أكثر من بضعة دقائق، يقوم أحد الرجال بوضعه على الفراش وفتح ساقيه، ويقوم المطهر بسحب القلفة بعيدا عن الحشفة ويضع محبسا صغيرا بين القلفة والحشفة ويستعمل موس الحلاقة بقص القلفة ثم ينتظر دقيقتين أو ثلاث ليرى إذا كان هناك نزفا أم لا، ثم يعيد ما بقي من القلفة حول الحشفة ويضع عليها بعض الرشوش ثم يربطها ويلفها ويقول:" صلوا على النبي الحمدلله ع السلامة[2]".وفي حالات نادرة يأتي الطفل من بطن أمه مطهرا" قلفة العضو الذكري قصيرة" فيقال مطهر طهور ملائكة، فالملائكة هي التي طهرته وزفته حسب اعتقادهم، وهناك اعتقاد آخر بأن تكون قرينة المرأة حامل بذكر مثل أختها الأنسية، فتطهر القرينة ولدها و ولد أختها مع بعضهم البعض، وتعتقد النساء أن الطفل سيكون سعيدا وناجحا في حياته بسبب ذلك[3].

---

[1] - انظر:الديك، نادي ساري: **مختارات من الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ط1، رام الله، جامعة القدس المفتوحة، 2014، ص78.

[2] - غوشة، صبحي سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القدس**، ص 152.

[3] - كناعنة، شريف: **الانجاب والطفولة**: ص182.

ثم تأتي بعد ذلك، مهمة الأم أو الجدة لتخفيف الألم عن الطفل، فكانت الحاجة نجيبة تضع على العضو الذكري لأحفادها فنجان قهوة وتثبته بلطف حتى يمنع الاحتكاك بينها وبين حفاظ الطفل، ثم تشطف له بالماء والملح على مدار ثلاثة أيام خوفا من إصابة الطفل بإلتهاب ولكي تحميها من الجراثيم[1].

وعندما تنتهي مهمة المطهر، يعطيه الأهل أجره وغالبا ما يكون حسب الوضع المادي للأهل، فمنهم من كان يعطيه الدنانير ومنهم ما كان يعطيه مما متوافر لديهم في ذلك الموسم، مثل البيض والقمح أو الطحين، تقول الحاجة فاطمة: " بقاش المطهر يوخد مصاري كثير مثل هلأيام، بقى يوخذ أي إشي يطلع من خاطر الأهل من قمح وطحين و سكر وبيض، وبقوا أهل الولد يوزعوا الحلو والملبس ويطبخوا[2]"

وقد يتم إكرام المطهر بمدحه بعدد من الأغاني مثل:

مَن طَهَرَك يا فلان يَمينُه خَضّرة يزور النَبي والكَعبة والصَخرة

أَجانا المطَهِر وأَصله مِن الخليل واعطوا المَطهِر بَدلة من الحَرير

أَجانا المطَهِر وأَصلُه مِن نابلس لَبَسوا المطهِر مِن خاص اللِبس[3]

وهذا إشارة إلى الكرم الذي كان يناله المطهر من أهل الطفل، فكان يقدم له قطع نفيسة من الملابس.

وتقول الحاجة ندى: " يوم طهور ولادتنا صارت سلفتي إم بشار تزعق وتقول:

هي يا مطَهِر يسلِم اديك
هي ويسلَم حَتى لَباليب أَصابيعيك
هي وياريتَك تزور النَبي
وتهز شَبابيك بيتُه في اديك

---

[1] - مقابلة شخصية: نجيبة محمد ذياب، ياصيد.

[2] - مقابلة شخصية: فاطمة أبو عيشة، روجيب.

[3] - غوشة، صبحي سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القدس**، 152.

لولولولولولو ليييييه[1]"

وبسبب انشغال أهل القرى وعدم وجود المطهرين، يتأخر ختان الأطفال حتى يبلغ بضع سنوات من العمر وقد يصل إلى خمسة أو ستة عشر سنة بدون ختان، يقول الدكتور هاشم من قرية عصيرة الشمالية: " مرة ودوا وراي من بلد اسمها العقربانية(قرية تقع في الأغوار قرب أريحا) عشان أطهرلهم كم ولد، رحت ولقيت مجموعة شباب واقفة بتستنى فيي سألتهم وين الصغار اللي بدي أطهرهم، قام أشر كبيرهم على الشباب وقلي هذول، قلتلهم هذول؟ قالي آه يلا طهرهم واحد واحد، وقالهم اللي بصيح من الطهور بضربه بالعصاي ع راسه، وفعلا يفوت الشب يمد حاله واطهره ويبقى سيدهم واقفلهم بالعصاة خوف وما يصيحوا، ما يستجروا يفتحوا ثمهم من الخوف منه[2]".

وتقول الحاجة فاطمة: " بقينا نطهر الصبيان وهمي كبار[3]"، وتقول الحاجة نجيبة: " حماتي جابت ابنها خليل وما رضيت تطهره لحتى يجيه أخو عشان يطهروهم مع بعض، قامت جابت أربع بنات ع راسه وضل يستنى مسكين تا صار عمره 8 سنين وأجى سامي أخوه، وبقيت أنا جايبة اسعيد وواصف وطهرناهم الأربعة مع بعض بس بقوا كبار ويمشوا، طهرناهم ولبسناهم شلحات عمتهم ربحية بدون كلسون عشان ما يتأذوا يا حرام[4]"

وحفلات الختان في القرية يزف فيها الطفل كما يزف العريس في عرسه، ويلبسونه أجمل و أجدد الثياب وتغني له النساء العديد من الأغاني مثل:

طَهروا يا مطَهِر وناولُه لامه   يا دَمعتُه الغالية نِزلَت عَلى كُمه
طَهروا يا مطَهِر وناوله لاخته   يا دَمعته الغالية نِزلَت على تَختُه
طَهروا يا مطَهِر وناولُه لَخالو   يا دَمعته الغالية نزَلت عَلى ذيَاله
طهروا يا مطَهِر وناولُه لَسيده   يا دَمعتُه الغالية نِزلَت على ايده

[1] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.
[2] - مقابلة شخصية: هاشم شولي، عصير الشمالية، 50 سنة، 42-2-2016.
[3] - مقابلة شخصية، فاطمة أبو عيشة، روجيب.
[4] - مقابلة شخصية: نجيبة محمد ذياب، ياصيد، 68 سنة.

طهروا يا مطَهِر بِالموس الرَفيع   فلان صغيّر خَليه لَلربيع

طهروا يا مطَهِر بِموسِ الفِضَة   واستنى عَ فَلان تا منُه يرضى

بالله يا مطَهِر بالله عليك   سِن مواسَك وخَفِف ايديك

وإِن وَجعّت فلان لَدعي عَليك   وإِن ضِحِك فلان بَعطيك هدية[1]

وهنا إشارة إلى خوف الأهل وقلقهم على الطفل أثناء طهوره، فترى الأم والجدة والأخت تنتظر المطهر لينهي عمله، حتى يسارعن في تناول الطفل لتخفيف آلامه.

وتردد لنا ام عصام من قرية سبسطية أغنية كانت ترددها حماتها لأحفادها، تقول فيها:

والزُبرة من طولها مخربَشة بالدالية   فَكفِكنها يا بنات و روحن بِداهية

والزبرة مِثل القنفد تخزق البيت وتنفد   ويا جارة خبي بنتك وما تقوليش ما اعلنتك

والزبرة زبرة أمير باحشة في البيت بير   والنسوان منها حبالى والزلام مطحلين[2].

وقبل الطهور يغنون له:

يا مرحَبا بِك ثمانميّة وميّة تَرحيب   يا عِز الصحاب ما يِعلى عَليك صُحبة

يا فِلفل الشام لِي كل الطعام يطيب   وانت الثُريا وتَاليها النجوم تغيب

مَن طَهَرك يا حَسن يَمينه خَضّرة   يزور النَبي والكَعبة والصَخرة

مَن طَهرَك يا حَسَن ريت ايده مَرية   يزور مَحّمد والكعبة المَبنية

يا مطهر الصُبيان يا مَحّمد عَلي   ايدك مباركة ومَدخول للنبي

عَليّ نِذِر والنِذِر أَوفيته   يطهر حَسَن وارقص في بيته

عَليّ نذِر والنذر اوفيته   يطهر حسن وارقص قدامه[3]

وأثناء الطهور يغنون له:

---

[1] - مقابلة شخصية: فاطمة أبو عيشة، روجيب.

[2] - مقابلة شخصية: ام عصام، سبسطية، 60 سنة.

[3] - غوشة، صبحي سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين، ص 154.**

قل لي من وين أزفك يا حلو يا زين

ع سطوح الصخرة وبين الحرمين

قل لي وين أزفك يا بو عيون السود

في الصخرة الشريفة والنبي داود

والنبي داوود مقام من المقامات التي تزورها النساء في كل قرية، إذ ربطت الأغنية الشعبية بين قداسة الصخرة المشرفة وقداسة ذلك المقام.

وعند الانتهاء من الطهور تزغرد النساء:

هي يا ريته مبارك

هي وسبع بركات

هي كما بارك محمد

هي على جبل عرفات[1].

و استخدامهن للفظة سبع بركات دلالة رمزية على قدسية العدد سبعة الذي سيتم الحديث عنه لاحقا.

لما جاء الإسلام أقر الختان وغدا سنة متبعة عن الرسول عليه السلام، فجاء في السنة النبوية حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وسلم) الفطرة خمس، الختان و الاستحداد، وقص الشارب، وتقليم الأظافر ونتف الإبط"... والفطرة فطرتان فطرة إيمانية تتعلق بالقلب وهي معرفة الله والإيمان به و فطرة عملية وهي هذه الخصال المذكورة في الحديث، فالأولى تزكي الروح وتطهر القلب والثانية تطهر البدن... فكان رأس فطرة البدن(الختان)[2]،

---

[1]. غوشة، صبحي سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين** ، ص154 - 155.

[2] -البهيقي: **السنن الكبرى**، ج3، ص . 346وانظر: علوان، عبد الله ناضج: **تربية الأولاد في الإسلام**، ج، دار الــشهاب، تونس، 1989، ص94 -95.

ونجد الناس في الأوساط العربية يطلقون على عملية الختان(الطهور)؛ لأنها عملية تطهر الجسم، فالذكر لا يطهر إلا بعد أن يتم ختانه[1].

وفي الديانة اليهودية، الختان هو شرط أساسي للزواج، فلا يطلب الزواج إلا من الرجل المختون، المضحي لله بدمه؛ لأن دم الختان هبة تمنح لله يصبح من خلال هذه الهبة مطهرا، وبالمقابل يتلقى منحة إلهية ألا وهي إمكانية عقد الزواج[2]، بينما حاول المسيحيون الرومان تحريمه لكنهم فشلوا في ذلك[3].

وهو عادة فرعونية قديمة، وأول من اختتن بها كان إبراهيم عليه السلام، وهو ليس يهوديا ولكن اليهود مارسوها كطقس من طقوس دينهم[4]، وبالتالي يرتبط ختان الولد بمشروعية أدائه لفروضه الدينية وإمكانية عقد الزواج.

يرى سيد القمني أن الطهور هو شكل من أشكال القرابين التي كانت تقدمها البشرية للآلهة، فمن شدة إخلاص الإنسان لآلهته، يتقرب إليها بالدماء البشرية، يسيل بعض دمائه – بجروح مقصودة- على مذابح الآلهة تقربا وفداء لنفسه ولأولاده وممتلكاته، ثم تحول الأمر إلى أن يذبح الشخص واحدا من أبنائه لآلهته دفعا لشر محتمل[5].

وجدتُ من خلال بحثي، أن طقوس تقديم الأطفال كقرابين للآلهة تتشابه مع طقوس ختان الأطفال في الحياة الشعبية، ففي يوم عيد الإله بعل، كان الناس يتزينون ويرقصون وسط دق الطبول والمزامير التي كانت تطغى على أصوات أطفالهم الذين يذبحون على مذبح بعل، فقد حدث في قرطاجة أثناء حصارها سنة 307 قبل الميلاد، أن أحرق على مذبح الإله مئتا غلام من

---

[1] - انظر: غوشة، سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين**، ص151.

[2] - انظر: طوالبي، نور الدين: **الدين والطقوس والتغيرات**، ت: وجيه البعيمي، الجزائر، ديوان المطبوعة الجامعية، 1988، ص 44.

[3] - انظر: غليونجي: **الطب عند قداء المصريين**، ص 146

[4] - غوشة، صبحي سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القرن القدس في القرن العشرين**، ص 151.

[5] - القمني، سيد: **الأسطورة والتراث**، ط3، القاهرة، المركز المصري لبحوث الحضارة، 1999، ص 99 -100.

أبناء أرقى أسرها، وكان بين هؤلاء عدد من العقلاء اكتفى بقطع غفلة الذكر وإلقامها لنيران الآلهة[1] وكأن العضو الذكري في الطفل ينوب عن الطفل بأكمله، فالجزء ينوب عن الكل.

عقيقة الطفل:

العقيقة هي الشاة التي تذبح عن الطفل عند حلق شعره، وهي قربان يقرب بها عن المولود في أوقات خروجه للدنيا، وقد رأى الإمام أحمد أنها شفاعة لوالدي الطفل و فدية عنه كما فدى الله عزوجل إسماعيل عليه السلام بالكبش[2]، كما تهدف إلى تحقيق العدالة الاجتماعية، وتمحو ظواهر الفقر والحرمان، وتمتن روابط الألفة والمحبة بين أفراد المجتمع، وتحقق السعادة والفرحة والسرور بإقامة شريعة من شرائع الإسلام لخروج نسمة مؤمنة يكاثر بها الرسول عليه السلام الأمم يوم القيامة[3].

وللعقيقة شروط وأحكام يجب مراعاتها، فلا يجوز التشارك فيها، ويصح الذبح بالغنم أو الإبل أو البقر؛ شرط أن يذبح بإحداهما عن طفل واحد فقط، ويستحب ذكر اسم المولود على العقيقة عند ذبحها[4] تقول فاطمة من عصيرة الشمالية: " بقينا بس بدنا نعقق عن ولادتنا نخلي الولد يروح يفشق عنها ثلاث مرات، واللي بذبحها لازم يبقى زلمة بعرف الله ولازم يسمي ثلاث مرات ويقول جاز عليتش(عليك) الذبح عقيقة لفلان ابن فلانة وفلان، ولازم الخوصة(السكين) تبقى ماظية(حادة جدا) عشان ما يتعذب الخروف بالذبح لأنه حرام[5]"، وقد لا يفضل الأهل أن يرى الطفل الذبيحة؛ " لأنه بخاف، ولأنه لولاد بقلدوا كلشي بشوفوه، مرة وحدة من بلدنا أجت ع ابنها حاطط اخته الصغيرة وبعمل حاله بذبح فيها وبحكي خالوف خالوف(خاروف)[6]".

---

[1] - انظر: القمني، سيد: **الأسطورة والتراث** ، ص 105.

[2] - انظر الجوزية، ابن القيم: **تحفة المودود بأحكام المولود** ،القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط1، 1999، ص85.

[3] - انظر: نفسه، ص 67.

[4] - انظر: الجوزية، ابن القيم: **تحفة المودود بأحكام المولود** ، ص 97 -99.

[5] - مقابلة شخصية: فاطمة محمد، عصيرة الشمالية، 80 سنة.

[6] - مقابلة شخصية: بشرى شراقة، عصيرة الشمالية، 65 سنة.

وترجح أغلب النساء[1] بأفضلية عدم أكل أهل البيت من العقيقة تقول لمياء:" أنا السنة قلت لولادتي بدي أذبح عن حالي عقيقة لأنه أهلي ما عققوا عني، والعقيقة بتظل معلقة بالواحد ليوم القيامة، وقلتلهم مش لازم أوكل منها بس بشتري كيلو لحمة وخلص[2]"، وبعضهن وضحت أن العقيقة تقسم ثلاثة أقسام: قسم للأهل وقسم للأقارب وقسم للفقراء.

يرى (تيلور) أن العقيقة مرت بثلاث مراحل مختلفة، أولها: أن التضحية(العقيقة) كانت بالبداية عطايا يقدمها الإنسان البدئي يقدمها لربه بهدف تحقيق مطالب شخصية، ثم صارت تقدم للآلهة تكريما لها لا يرتجى منها مقابل، ثم اخذت صيغتها النهائية الحالية بأنها عقيقة أو أضحية بحد ذاتها[3].

ويربط(روبرتسون سميث) بين العقيقة و الطوطمية، فالعقيقة عنده وجبة يتناولها المؤمنون فيأكلون طوطمهم ليتمثلوا به[4]، والضحية عند اليهود والنصارى وليمة ربانية يجتمع عليها اليهود وإله قبيلتهم ليأكلوا لحم الضحية التي هي بالأساس الإله ولكنه بشكل آخر؛ فهو الإله الطوطمي أو الطوطم[5].

كان طقس تقديم القرابين من الطقوس المصرية القديمة المنية على أساس أن الآلهة تحتاج إلى الطعام كما يحتاج إليها الناس، وكانت هذه القرابين من النباتات أو الحيوانات، وقد تكون بسيطة تقتصر على الماء والبخور، وكانت القرابين الحيوانية تذبح في ساحة خاصة من المعبد كأنما هي أعداء الإله التي تقتل لإرضائه، وكانت تقد نيئة أو مشوية نادرا ما تحرق[6].

---

[1] - ندى، ونجيبة، حنان، لمياء وجميعهن من قرية ياصيد.

[2] - مقابلة شخصية: نجيبة محمد ، 68.

[3] - انظر: لومبار، جاك: **مدخل إلى الأثنولوجيا**، تر: حسن قبيسي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997، ص217.

[4] - انظر: لومبار، جاك: **مدخل إلى الأثنولوجيا** ، ص 217.

[5] - انظر: الكعبي، حاتم: **التغير الاجتماعي وحركات المودة**، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنشر، ط1، 1982، ص84.

[6] - انظر الماجدي، خزعل: **الدين المصري**، ط1، عمان، دار الشروق،1999، ص230 -231.

وفي الحياة الشعبية يقص شعر الطفل يوم ذبح عقيقته، ويضع شعره بالميزان ويوزن مقابله النقود والتي توزع بعد ذلك على الفقراء، ويحتفل الأهل بقص شعر البطن؛ لأنه بادرة الرجولة[1]أو قد يكون إشارة على كونه انتقل من مرحلة إلى مرحلة جديدة وهي الحياة.

وتردد النساء العديد من الأغاني تعبيرا عن فرحتهن تلك:

احلِق يا حَلّاق مَسّحله في بشكيره اتمَّهَل على فلان بدو يجي شبينُه

احلق يا حَلّاق بِموسك الفِضّة واتمهل على فلان زَعلان تا يِرضى

احلق يا حلّاق بموسك الذَهب واحلق لفلان عِنوان الأدب[2]

وما حلق الشعر إلا طقس من طقوس التضحية كما هو الحال في الختان، وقد لعب الشعر دورا أساسيا في حياة الناس في المجتمع الفلسطيني، فهو مركز القوة بالإنسان وقد يطرح الإنسان أرضا إذا شده أحدهم بقوة[3]، ويقولون في ذلك شعره برميه، وكانت الأم تخفي شعرها وشعر ابنتها بعد التمشيط، فتلفه أثناء عملية التمشيط وتضعه بين إبهام قدمها وسبابته حتى لا يتطاير منه شيء، ثم تلفه بقطعة قماش صغيرة او محرمة وتضعه في سلسلة من الحجارة؛ خوفا من أن تأتي إحدى النساء المعاديات لها وتصنع لها ولبناتها السحر[4]، تقول نجيبة في ذلك: " آه بصيرش الوحدة أنه ترمي شعرها برة لأنه أول إشي حرام إذا مرق زلمة وشاف شعر الوحدة، وثاني إشي لأنه بنات الحرام كثار وفي منهن بعملن سحر للوحدة من شعرها، مثل ما صار لحماتي لما لقيت معمولها سحر من شعرها[5]".

---

[1] - انظر: صالح، احمد رشدي: **الأدب الشعبي**، ص181.

[2] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[3] - طه، نضال: **الطقوس والموروثات الشعبية في الحياة الاجتماعية في رام الله**، ص149.

[4] - انظر: الباش، حسن: **المعتقدات الشعبية في الأدب العربي**، ص338.

[5] - مقابلة شخصية: نجيبة محمد، ياصيد.

مرض الطفل ونومه:

لا يمكن أن تمر حياة الطفل دون أمراض خاصة في أوائل القرن العشرين؛ حيث لم يكن طب الأطفال معروفا ولم تكن عيادات للعناية بالطفل، بالإضافة للجهل والفقر في تلك الأيام، فيصاب الطفل بالمغص والسماط والشلوعة، فتبادر الأم والجدة إلى معالجة الطفل من مواد وأدوات متوافرة بالبيئة، فالميرمية والنعنع واليانسون يستخدم لعلاج المغص، ولعلاج السماط قالت إحدى النساء: "بنجيب شوية سمقة(تراب أحمر وبنخله وبنحط عليه شوية مية، وبندهن الولد مطرح السماط وبنلفه بشريطه بيضا ناعمة ع ثلاث أيام، وبإذن الله بطيب[1]" وتقول ندى: " بقينا نجيب شوية نشا ونخلطها في زيت وندهن للولد ع أسبوع زمن ويطيب[2]".

وتضيف الحاجة ندى" بقينا ندير بالنا ع الولد من الأساس منخليهوش يمرض كثير وبقينا ندفيه منيح وبس يتحمم منخليش حدا يطلعه بره ولا نخلي حدا يبوسه، لأنه بوسة الولد بعد الحمام بتمص عافيته وبتمرضه، بس ترتفع حرارته نعمله نعنع ويانسون وكل الدوا من الأعشاب، والنعنع أحسن من الميرمية لأنها الميرمية ثقيلة ع الصغار[3]"

وتقول الحاجة عائشة من سبسطية: " بس بقى يصير عند الولد صفار، نعطية مية وسكر أو نعصرله برتقانه ونحط عليها سكر ونشربها للولد، أو بقينا نعطيه معلقة عسل، بس هسا الحكومة بتقول قال ممنوع الحلو، وبقينا نعصر للولد رمان أخرى نعطيه إياه[4]"، ولعلاج الإسهال يمنع الطفل عن الحليب ويعطى لبن رائب أو منقوع قشر الرمان[5] لأن سبب الإسهال قد يكون حليب الأم حلو، أو أن حليبها بارد أو أكلت مأكلولات تسبب الإسهال مثل المشمش والبطيخ[6]، أما لعلاج لفحة الهواء يدهنصدر الطفل بزيت زيتون دافئ وقد يتعود الطفل على هذا العلاج

[1] - مقابلة شخصية: ام عصام، سبسطية.

[2] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[3] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[4] - مقابلة شخصية: عائشة الأزهري، سبسطية.

[5] - انظر غوشة، سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين**، ص157.

[6] - انظر: كناعنة، شريف: **الإنجاب والطفولة**، ص 185.

طوال حياه، فلا يشفى من السعال الا بدهن الزيت الدافئ على صدره وظهره، تقول وسام من بيت وزن: " سامر أخوي صار عمره فوق الأربعين وما بطيب من القحة إلا إذا امي حطتله ع صدرة قطعة صوف وتغرقها في زيت وتلفها في قماشة وتحطها ع صدره من الليل للصبح[1]".

ويصاب الأطفال بمرض السعال الديكي، فتضع الأم على صدره عظمة ذئب بخيط على شكل عقد معلق في رقبته فيذهب مرضه[2]، تقول نجيبة: " أكرم ابني الله يرضى عليه التفح وصار يقح من فج وغميق وصارت قحته صوتها مثل نباح الذيب قامت إمي اعطتني عظمة زور ذيب باقي أبوي جايبها لتيسير أخوي، وقالتلي خليها يما في صدره تا يرميها لحاله، وفعلا بس كبر شوي قامها ورماها وهاظ يوم وهظالك يوم الحمدلله ما رجعتله[3]".

وفي حال أصيب الطفل الصغير بالشلوعة وألم العضلات كانت تفحص الداية الطفل باستخدام بيضة نيئة، تفقسها على بطنه فإن بقيت ثابتة في مكانها؛ يكون الطفل "مشلوع أما إذا نزلت ع ذيال بطنه هون وهون يبقاش فيه إشي، واللي مشلوع بقينة نلينله عضلاته بالزيت[4]"، وعادة ما تعرف ذلك النساء المسنات بالنظر إلى معدة الطفل فتقول" مملوع" وتعالجه بأن تأتي بعجينة من طحين القمح وحبة نعنع وزيت زيتون وترق العجينة بشكل دائري وتضعه على معدة الطفل[5].

وإذا كان للطفل ضفدعة[6]، تذهب الأم إلى إحدى النساء الخبيرات في قطعها وتكويها بسلك وتبلل مكان الكي من ريقها فتشفى بعد ذلك[7]، لكن قد يصاب الطفل بأذى من تلك العادة؛

---

[1] - مقابلة شخصية: وسام الوزني، 32 سنة، بيت وزن، 12 -2 -2016.

[2] - انظر: غوشة، سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القدس**، ص 157.

[3] - مقابلة شخصية:نجيبة محمد ذياب، ياصيد.

[4]-- مقابلة شخصية: عائشة الأزهري، سبسطية

[5] - انظر: كناعنة، شريف: **الإنجاب والطفولة**، ص 185.

[6] - غوشة، سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين**، ص 175. وهي حبة تحت لسان الطفل تخلق معه منذ لحظة الولادة فتمنعه من الرضاعة جيدا أو قد تؤخر نطقه.

[7] - كناعنة، شريف: **الانجاب والطفولة**، ص 185.

فقد يفقد نطقه أو يشل شلل كامل، تقول كفاية: "إمي قطعت لشوقي أخوي عند وحدة من سيريس وبس روحت ع الدار حممته قام مرض بعدها وانشل وانخرس ونهو لحد هسا صار عمره 50 سنة وبعده مثل ما هو بضل مرمي مثل الشريطة[1]".

يسود الاعتقاد بقوة العين بمجتمعاتنا العربية بشكل عام، فكل مرض مهما كان نوعه نفسيا أو جسديا أو عقليا يرد في مجموعه إلى العين والحسد، ويؤمن الناس بقوة تأتي من الحسد تهلك الزرع والحيوان والإنسان فيرد الفلاح فشل موسمه الزراعي إلى قوة غيبية سببها الحسد[2]، مما يستدعي استخدام وسائل رمزية تساعد في التأثير على تلك القوى مثل: الخرزة الزرقاء، والكف ثم الوصول للعلاج[3]. فالعين شحنة سالبة تقذفها النظرات الحاسدة بقصد أو دون قصد، وقد ثبت تأثير العين بالقرآن الكريم عندما أمر يعقوب عليه السلام أولاده أن لا يدخلوا على بنيامين من باب واحد، وليدخلوا من أبواب متفرقة في قوله تعالى : " **وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ ۖ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۖ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ**[4]" فإنه كما قال ابن عباس :إنه خشي عليهم من العين ؛ إذ كانوا ذوي جمال وهيئة حسنة، لكن العين لا ترد حكمة الله وقدره، فإن الله إذا أراد أمرا لا يخالف ولا يمانع[5].

إذا مرض الطفل؛ توجه التهمة رأسا إلى الحسد "عين صابته وما صلت ع النبي" فيبخرن الطفل ويقرأن على رأسه آيات قرآنية ويستخدمن الملح للتبخير، فيضعنه على النار وعندما يطقطق الملح يقولن" إن شاء الله عين اللي حسدك تطق مثل حبة الملح[6]"، وفي حال استمر بكاء الطفل بدون سبب، ينسبن ذلك إلى القرينة أو الجن، فالطفل يرى تلك المخلوقات لذا يجب أن يعمل له تحويطة[7]، ولو تتبعنا الطب في بلاد الرافدين قديما لوجدنا شياطين خاصة كانت تتسبب

---

[1] - مقابلة شخصية: كفاية شفيق، 43 سنة، ياصيد، 22 -3 -2016.

[2] - انظر: ريعور، علي: **الدراسة النفسية الاجتماعية بالعينة للذات العربية**، بيروت، دار الطليعة للطباعة والنـــشر، ط1، 1978،ص112.

[3] - انظر: **الدراسة النفسية الاجتماعية بالعينة للذات العربية** ، ص 141.

[4] - القرآن الكريم، سورة يوسف، آية رقم 67.

[5] - انظر: ابن كثير، الحافظ: **تفسير القرآن العظيم**، ج4، القاهرة، دار البيان الحديثة، ط1، 2002، ص231.

[6] -انظر: غوشة، سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن** العشرين، ص 156.

[7] - كناعنة، شريف: **الانجاب والطفولة**، ص 184.

بإحداث المرض إلى فئات محددة، ف(ليبارتو) كان يهاجم الأطفال و يتسبب بمرضهم، والشيطان(مشتو) الذي يهاجم النساء بعد الولادة وأثناء مرحلة الرضاعة[1]، لذا؛ توصي الحاجة نجمة الموسى بضرورة استخدام خرزة الكبسة وهي كما وضحت لنا: " خرزة بنقولها خرزة الكبسة لازم نحطها لكل وحدة والدة عشان تحميها وتحمي إبنها من إنه يمرظ، وهاي الخرزة بتحطها إم الوالدة في مطرح بالغرفة اللي بتنام فيها الوالدة وابنها شرط إنها ما تعرف مطرحها، لأنه إذا فاتت وحدة نجسة أو عليها الدورة ع الوالدة بتكبسها وبتمرض الام والولد وممكن إنه واحد منهم يموت، وبعد ما تربعن الوحدة بتجيب الخرزة هاي وبتحطها بمية وبتتحمم عنها هي وابنها[2]".

والأم أيضا قد تصاب بالعين بعد الولادة، لذا كانت نجيبة تنصح كنائنها بعدم التزين بعد الولادة مباشرة: " أنا كنتي مريم ماشالله بعد ما تلد بتصير مثل العروس، عشان هيك بقيتش اخليها تتزين وتتمكيج لأنه عنين النسوان فارغات وبحسدن الكلب ع عافيته[3]". وتحرص الأم على عدم إرضاع طفلها أمام النساء خوفا من العين، تقول نجيبة: " مرت أمجد ماشالله بيظا مثل الثلج وبقت جايبة وليد مثل الخروف ما شالله أبيظ وناصح وبقى حليبها دير يدير ويربي الولد وينصحه، أجت عنا وحدة وظلت صافنة فيها وفي وليد وقالتلي تقولك يختي من وين جايبتيها كنتك حلوة وبيظا مثلكم، قمت قلت في عقلي الله يقلع عينك يا بعيدة، قامت كنتي طلعت صدرها وصارت ترظع في الولد قدامها، وما روحت المرة من عنا إلا صار صدرها إزرق مثل النيلة، وحرارتها صارت بالعلالي ونحملها ونوخذها ع الدكتور وبعدها حطيتها وصرت أبخر فيها وأقرا عليها قرآن وأقول: بخرتك في الله وحدة والثانية ثنتيني، ببخرتك يا رنا بنت حنان من كل عين شافتك وما صلت ع النبي، عين المرة فيها مسمرة، وعين الرجل تنفجر فجر، وعين الولد فيها عود، بخرتك بالصلاة ع النبي محمد صلى الله عليه وسلم[4]".

---

[1] - انظر: الماجدي، خزعل: **بخور الآلهة**،ص220

[2] - مقابلة شخصية: نجمة الموسى، بيتا.

[3] - مقابلة شخصية: نجيبة محمد، ياصيد.

[4] - مقابلة شخصية: نجيبة محمد، ياصيد.

للعين الحاسدة صفات محددة في الأوساط الشعبية الفلسطينية، فالعين الزرقاء هي عين حاسدة؛ لقلة تواجدها في مجتمعنا العربي، فيقولون فلان بصيب بالعين لأنه "عنيه زرق وسنانه فرق"[1] ، ومن هنا جاء شكل العين الزرقاء(الخرزة) التي تستخدم لمنع الحسد، وتقول الباحثة نضال طه أن أصل تلك الخرزة جاءت من أصول قديمة جدا، فعندما تنازع (أوزوريس) و(ست) على عرش مصر، اغتال (ست) (أوزوريس)، ونزل إلى العالم الأسفل، واستمر القتال بين (حور إبن أوزوريس) و(ست) الذي انتزع عين (حور) وانتهى القتال بانتصار(حور) وتمكن من استرجاع العين التي سلبت منه فقدمها لأبيه فارتد إليه بصره، من تلك اللحظة أصبحت العين رمزا لكل قربان جميل وأثمن هدية تقدم للآخرين[2].

نوم الطفل:

منذ لحظة الولادة تهتم النساء بنوم الطفل في مكان مريح وآمن له، وبعد تلبيس الطفل ولفه، تحضر الجدة له جونة قمح مصنوعة من القش وتضع عليها صنية من القش أيضا وتفرشها بفراش مريح للطفل وتضعه عليها لينام، والهدف من الجونة تلك؛ لرفعه عن الأرض حتى تحميه من أقدام إخوته وأهل البيت" خوف ما حدا يخبط عليه بالغلط لأنه صغير ببقى ببينش ع الأرض[3]" وخوفا عليه من الحشرات والنمل.

ومن هنا جاءت مقولة" فلانة معطية لفلان عطية صنية" فعند ولادة البنت يقول الأب أو الجد لأحد أقرباء العائلة" هاي البنت معطية لفلان من اليوم"، وتبقى البنت مربوطة باسم ذلك الشخص حتى تكبر وتتزوجه، لكن في حالات نادرة عندما يكبر الأبناء، يرفضون الارتباط لأسباب متعددة مما يشكل سببا في تدمير العلاقات الاجتماعية بين العائلتين .

وعن سرير الطفل تقول الداية عائشة: " من سنة السبعين وفوق بقوا يفصلوا للولد سرير من الخشب بهز، وقبل هيك بقى يعملوهن من الحديد يسموه مهد[4]"، أما ندى تقول: "بقينا نعملهم

[1] - الباش، حسن : **المعتقدات الشعبية في الوطن العربي**، ص174

[2] - انظر: طه، نضال:**الطقوس والمعتقدات الشعبية في الادب الشعبي** ، ص120

[3] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[4] - مقابلة شخصية: عائشة الأزهري، سبسطية.

حذل في البيت، نعلق حبل في حلقة بسقف البيت تبقى معموله خصوصا لحذل الولد، ونربط شرشف أو شوال خيش فيه، بنحط في كل طرف من طرف الشوال حجر أو خشبة عشان يثبت الحبل فيه وبنعمله ع شكل تخت صغير وبنيم الطفل فيه"[1]. وتربط الأم سرير الطفل بحبل طويل حتى تتمكن من هز سرير الطفل عن بعد أثناء قيامها في أعمال البيت.

كانت الأمهات تحرص على وضع ناموسية على سرير الطفل حتى تحميه من الناموس والحشرات الأخرى، مصنوعة من القماش التول الأبيض ذو فتحات صغيرة جدا لتسمح بدخول الهواء وتمنع في الوقت ذاته من دخول الناموس والحشرات الأخرى[2]، وتردد الأمهات تنغيمات هادئة مع هزات رتيبة لتنيم طفلها، ومن تلك التنغيمات، تنغيمة ألفتها الحاجة ندى لأبناءها و أحفادها، تقول فيها:

نامي ياعينو نامي يا يمّا ياملاني نوووم
عين العدوين يا يمّا ياا ملانه ثوووم
نامي عينه يا يما نامي واتهني
ريتك يا عينوو يا يّما ما تغيبي عني
والصبر يا مبتلي يا يما والصبر يا ايوب
حوله ثريا يا يما تضوي ع الجبال السود
ذابت حشيشة القلب يا يما والله لأجلكم ذابت
والشعرتين السمر يا يما في راسي انا شابت
وشرقوا لشرقا يا يما واثنين دارو لقبله
ياما عذبتونا يا يما عذاب الخيط في الابرة

[1] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم.وانظر غوشة: **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين**، ص 140.
[2] - انظر: نفسه ، ص 141.

ونغنيله:

نامي يا عين حَبيبي نامي   يا نُوم السَايِر مَع الثُعباني

عين حَبيبي ياا مَلانه نوم   عين العَدو ما تشووف النوم[1]

و الحاجة نجمة الموسى تغني لأطفالها:

نامي يا عينُه ويا عينُه كِني

يا عينك يا فلان بالنومِ اتهَني

رُوحي يا جَاجة وتعالي يا جاجة

يِخَليلنا فلان يقضيلنا الحَاجِة

روحي يا فَارة وتعالي يا فَارة

وخَليلنا فلان يعبيلنَا الحَارة

روحي يا كِشة تعالي يا كِشة

خَلِيلنَا فلان يعبيلنَا الهِشة[2]

ومنها أيضا:

هو نِني هو نِنِي نام	لذبحلَك طير الحَمام
نَيمّتك في العلّية	خُوفي عليك من الحيّة
تعاليلِه يا بَدريّة	بركن عَ صُوتك بِنام
نَيمّتك في المَرجوحَة	خُوفي عليك من الشُوحة
تَعاليلُه يا غَندورة	بَركِن ع صُوتك ينام[3]

[1] -مقابلة شخصية: ندى أحمد محمد، ياصيد، 68 سنة.

[2] - مقابلة شخصية: نجمة الموسى، بيتا.

[3] - غوشة، سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين**، ص140.

وفي هذه المقطوعة أساليب مختلفة تلجأ إليها المرأة الفلسطينية في ريف نابلس لتخيف الطفل وتجبره على النوم، فما إستخدام لفظ الحية و الشوحة إلا ألفاظ ترهيب له.

وفي الصباح عندما يستيقظ الطفل من النوم تغني له أمه:

ياصَباح الخِير كُله كَنّه تايه تا دِله
يا صَباح الخِير دَايم وصَّبح مَن كان نايم
يا صَباح الخير خِيرين صباح الوَرد عَ العين[1]
ويصَّبح ع الناس مَرّة ويصبِح عَ فلان أَلف مَرّة
صَباح الخير يصبِحهم واذبح خروف ويربحهُم.

لو نظرنا إلى النصين السابقين لوجدنا تناقضاً واضحاً في مشاعر الأم الفلسطينية في ريف نابلس أثناء محاولاتها المتعددة ليلا في ترهيب الطفل لينام؛ ومشاعر الفرحة التي نلحظها فيها صباحا من خلال الترويدة التي ترددها عند استيقاظه.

[1] - مقابلة شخصية: نجيبة مشاقي، ياصيد.

الفصل الثاني

عادات الزواج وتقاليده

عادات الزواج وتقاليده

يسعى الإنسان بطبيعته إلى تكوين عائلة جديدة، وتكوين العائلة لا يمكن أن يتم إلا بالزواج، فالزواج سبب للتكاثر الذي يباهي به الرسول عليه السلام العالمين فقال تعالى" **يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم**"[1]، وقد رغب الإسلام في النكاح حيث يقول الله عز وجل: "**فانكحوا ما طاب لكم من النساء**"[2]، وقرر أن الزواج سنة المرسلين وسنة خاتم الأنبياء والمرسلين، فقد ورد عن الرسول عليه السلام قوله: " ...أما والله إني لأخشاكم لله، وأتقاكم له، لكني أصوم وأفطر، وأصلي وأرقد، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني"[3]، وروي عن البخاري قول الرسول عليه السلام: " يا معشر الشباب من استطاع الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء"[4].

نصت الأمثال والحكم المصرية الفرعونية القديمة على ضرورة الزواج لتكوين عائلة، فيقول الحكيم (آني) في نصائحه لابنه(خنسوحتب): " اتخذ لنفسك زوجة وأنت لا تزال شابا لتجلب لك ولدا، يجب أن تنجبه لك وأنت لا تزال صغير السن لتعيش وقد صار رجلا"[5]، وكان يتم اختيار أجمل بنات الأسر الشريفة وتنذر تلك البنت نفسها للإله(آمون) وكانت تضاجع من تختاره من الرجال إرضاء للإله[6]وترى الشريعة اليهودية الزواج واجبا دينيا، بل هو أول المطالب التي وجهها الله للإنسان، فقد جاء في التلمود " أن الذي لا يتزوج إنما يعيش بلا بهجة، بلا بركة بلا مال" و" العازب ليس رجلا بمعنى الكلمة، لأن الله يقول أنه خلقكم ذكرا وأنثى وباركهم وسماهم باسم الإنسان" وجاء في المادة 16 من مجموعة ابن شمعون أن" الزواج فرض على كل إسرائيلي"

---

[1] - القرآن الكريم: **الحجرات**، آية 13.

[2] - نفسه، **النساء**، آية 3.

[3] - العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**،ج3، دار الريان للتراث، 1986، ص 5.

[4] - نفسه.

[5] - نور الدين، عبد الحليم: **مكانة المرأة في المجتمع المصري القديم**، مكتبة الإسكندرية، القاهرة،ص 23.

[6] -انظر: الترمانيني، عبد السلام: **الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص24.

وردت لفظة الزواج في التلمود بمعنى "تطهير"؛"لأن الزوج يخرج زوجته للدنيا كما لو كان يهديها للمعبد"[1]، والديانة الرومانية تعد العزوبية إهانة للرب[2]

والزواج اتحاد قانوني واجتماعي متفق عليه بين واحد أو أكثر من الأزواج مع واحدة أو اكثر من الزوجات وينظم اعتيادا وفق القوانين أو النظم والعادات أو المعتقدات السائدة ليوضح واجبات وحقوق الطرفين[3]، وهو تنظيم يختلف من مكان لآخر؛ لذلك فإن المجتمعات التي تخلو من الزواج نادرة، فهو مهمة تؤديها التقاليد وقوام التشريع الخلقي لجماعة من الجماعات؛ لأن تنظيم العلاقة بين الجنسين والصورة الرئيسية لهذا التنظيم الجنسي هو الزواج[4].

وهو في الديانة المسيحية ليس واجبا دينيا كما هو الحال في الديانة اليهودية والإسلامية؛ بل هو وسيلة لتجنب الخطيئة والابتعاد عن الزنا، ف(بولس)الرسول يقول: " حسن للرجل ألا يمس امرأة، ولكن بسبب الزنى ليكن لكل واحد امرأته، وليكن لكل واحدة رجلها"[5]، أما في الجاهلية،فعلى الرغم من تعدد مسميات الزواج وطرقه؛ إلا إنه كان–بمختلف طرقه- وسيلة لإرضاء الآلهة، فهناك البغاء المقدس الذي كانت النساء تلجأ إليه تقربا للآلهة وإرضاء لها، كذلك هو الحال عند البابليين فقد روي عن(هيرودت) أن المرأة البكر في بابل يجب أن تجلس مرة في حياتها في فناء هيكل(عشتار) وأن تضاجع رجلا غريبا عنها، ولا تعود المرأة إلى منزلها حتى يلقي أحد الرجال قطعة نقود في حجرها، وعليها أن تأخذها مهما قلت قيمتها لأنها مقدسة، ثم يضاجعها الغريب خارج المعبد ويقول لها: " أضرع إلى الآلهة عشتار أن ترعاك" ثم تعود بعد ذلك إلى منزلها ولا يستطيع أحد بعد ذلك أن ينال منها مهما أعطاها من مال، وإن فعلت ذلك تكون زانية تستحق العقاب[6].

---

[1] - سرور، محمد سكري: **نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية**، دار الفكر العربي، القــاهرة، 1979، ص62-63.

[2] - انظر: نفسه، ص65.

[3] -انظر: الهاشمي، رضا: **نظام العائلة في العهد البابلي القديم**، بغداد، 1971، ص4.

[4] -ديورانت: **قصة الحضارة**، ص166.

[5] - انظر: نفسه ص 68.

[6] - انظر: الترمانيني، عبد السلام: **الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام**، ص23.

العازب يحتقر عند الجماعات البدائية القديمة جدا، ويمنع من المشاركة في الاحتفالات الدينية، وإذا مات فإنه يلقى عذابا شديدا في الآخرة ولا يدخل بيت الأموات ويقطع إربا إربا[1]، من هذا المنطلق قد نجد الشاب في الأرياف الفلسطينية بعامة وفي الريف النابلسي بخاصة ، يلجأ للزواج فيقول " بدي أتجوز وأكمل نص ديني"، فالشاب من غير زواج يكون بنصف دين ولا يكتمل دينه إلا بالزواج، كما أن الأسرة الريفية النابلسية تسعى جاهدة إلى تزويج فتياتها للحفاظ على شرف العائلة، وكأن الفتاة تبقى عاراً على أهلها من غير زواج[2]، ويبقى الشباب والفتيات في طيش وعدم استقرار إلى أن يتزوجوا، فيقال لوالد الشاب " زوجه خليه يهدى" فالرجل تكتمل حكمته بزواجه، والزواج يحمي الشباب من طرق الشيطان، كما هو مرغوب أيضا للفتيات لأن الفتاة العزباء أكثر عرضة للأخطار الأخلاقية،ويقال عن الفتيات: " مجنونة البنات عاقلة النسا"[3] فالمرأة بزواجها تصبح عاقلة هادئة راكزه.

سن الزواج في ريف نابلس:

لعل الأسباب السابقة بالإضافة للعادات والتقاليد الريفية التي ترى أن الزواج سبب لزيادة النسل، والتأكد من خصوبة الرجل وقدرته على الزواج، وصعوبة الأوضاع الاقتصادية في الأرياف، دفعت كلها بالأهل إلى تزويج أبنائهم وبناتهم في سن مبكرة[4] تتروواح بين العشر سنوات إلى ستة عشر سنة للفتيات، وبين الثامنة عشر إلى إثنين وعشرين سنة للشباب، تقول الحاجة سليمة: " أنا انحط (خطبت) علي أنا واختي بنفس اليوم أنا عمري عشر سنين واختي إطناشر سنة، اتلاقى أبوي مع حماها وحماي في الجامع، سأل حماها أبوي قله بدي بنت من بناتك لأبني، قله أبوي عندي بنتين وحدة عشر سنين والثانية إطناشر سنة، قاله حماها بدنا إم الطناش، سنة لأنها أكبر، قام بس خلص حماي صلاة قال لأبوي وأنا بدي إم عشر سنين، قالهم أبوي حرام

1 -انظر: الترمانيني، عبد السلام: **الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام**، ص47.

2 - انظر: الفايز، ميسون بنت علي :**زواج الصغيرات**، مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المـــرأة، عمان، 2012، ص5.

3 - مقابلة شخصية: عائشة فاخوري، نابلس، 26 سنة، 22 -6 -2016.

4 - انظر: الفايز، ميسون: **زواج الصغيرات**، ص 5.

البنات صغار بعدهن قبل أربع سنين بتجوزنش، قاله حما اختي يا زلمة بتجوزن وخطبونا إحنا الثنتين بنفس اليوم"[1]و تقول إحدى النساء: " أنا تجوزت وأنا صغيرة، العدوات(لفظة تستخدم للتحسر) عليها جيزتي، بقى واحد ميت من بلدنا إله سنة وما غنولي، جابوني من حيفا وبقى عمري ثلطاشر سنة بقاش إلي لا صدر ولا كشل، بقى أيامها القاظي ما يملك ع الوحدة إلا تا يشوفها، وبس شافني القاضي ما رضي يملك علي، قاموا لبسوني قندرة عالية وحطولي بزاز من شرايط، بس عرف القاضي إني صغيرة من حسي(صوتي) قال لأبوي بملكش عليها مثل بعد السما عن الأرض[2]" ويقول علي أسعد الصيفي" أنا لما اتجوزت بقى عمري ثمنطاشر سنة، ومرتي بقى عمرها إطناشر سنة ويومها القاظي ما وافق إنه نملك عليها، قمنا رحنا عند واحد بعرفه أبوي وقلناله شهادة الميلاد تبعتها ظايعة وبدنا نملك عليها، قام ضحك وقالنا انتو بدكم تكبروها مش ضايعة الشهادة تبعتها[3]".

تتزوج الفتاة صغيرة السن لا تعرف كيف تدير أمور حياتها، لا تعرف ما معنى الزواج، تتزوج قبل البلوغ، تقول إحدى النساء: " اتجوزت بنت ثلطاشر سنة بقيتش غاسلة بعدني (لم تحض) وبعد جيزتي في سنة صارت حماتي تلف فيي ع الدايات لأنه النسوان صرن يلعبن براسها ويقولنلها عمرها ما بتغسل و ولا عمرها بتخلف، أخذتني ع داية قامت الداية كشفت عن ظهري وقالت لحماتي: ما بتخافي الله، هاي بعدها طفلة بدها أخرى سنة لحتى تيجيها العادة، وبالفعل بعد سنة أجتني العادة وحملت بابني الكبير[4]".

ونساء أخريات[5] أكدن على عدم مقدرتهن على القيام بأعمال البيت، بل كانت أم الزوج هي من تعلمهن وتساعدهن على تمشية أمور حياتهن، كانت العروس لا تعرف كيف تمشط شعرها ولم تكن تحسن شد نطاقها[6]، وهناك من كانت تخرج إلى بيت الزوجية ولعبتها في يدها كما

---

[1] - مقابلة شخصية: سليمة عبد الحليم، برقة، 85 سنة، 25 -12 -2015.

[2] - مقابلة شخصية: فتحية نجيب علي، نصف جبيل، 80سنة،10 -12 -2015.

[3] - مقابلة شخصية: علي أسعد الصيفي، تل، 84 سنة، 16 -12 -2015.

[4] - مقابلة شخصية، فاطمة إبراهيم جبالي، بيتا، 73 سنة، 2 -12 -2015.

[5] - ندى، نجمة، فاطمة حمادنة.

[6] - انظر: غرانفكست، هيلما: **أحوال الزواج في قرية فلسطينية**، ت: خديجة قاسم وإخلاص القنانوة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،2009 ، ص80.

وضحت لنا أم أيمن بقولها"حماتي يوم تجوزت ولما حطوها ع الفرس عشان يوخذوها من ياصيد ع ميثلون بقى عمرها 10 سنين، وصايرة تعيط وهي ع الفرس بدها لعبتها[1]"، وفي هذه الحالات لا يمارس الرجال الجماع إلا بعد النضوج الجنسي للنساء[2]، تقول أم أيمن" ولما أخذوها دار حماها بقى عمي عمره 30 سنة، وبالليل لما دخل عليها بقت مش فاهمة إشي قام نيمها في حده وحط بينه وبينها وسادة وضل هييك لحتى بلغت واتجوزها[3]"، وهذا الأمر هو شرط من الشروط الأساسية عند السومريين القدماء للزواج ، فيشترط عندهم على الرجل الذي يتزوج بفتاة صغيرة و أن يصبر عليها حتى تنضج جنسيا[4]، وكان من المستهجن عندهم الزواج من الفتيات الصغيرات، على الرغم من تشجيعهم على الزواج المبكر ولكن في عمر مناسب[5].

وفي الجزيرة العربية ذات الحرارة المرتفعة يبكر سن زواج الفتيات إلى التاسعة أو العاشرة من العمر، وقد يعقد زواجها وهي طفلة وتزف إلى زوجها عندما تدرك سن البلوغ، فالرسول عليه السلام عقد على عائشة رضي الله عنها وهي في السادسة من عمرها، وتزوجها في سن السنة الأولى للهجرة،وكانت قد بلغت الثانية عشرة من عمرها[6]، وقد أطلق العرب على الفتاة التي تتزوج صغيرة قبل البلوغ بالمهتجنة[7].

ترى الديانة الرومانية أن الزواج باطل إذا لم يكن هناك رضى من كلا الطرفين، -ومن البدهي عندهم -لا يمكن وجود رضى بكل معنى الكلمة بين شخصين مقبلين على الزواج إلا إذا وصلوا إلى سن يسمح لهم بتقدير عواقب الزواج عليهما، لذلك يمنع عندهم زواج الصغير أو الصغيرة قبل البلوغ[8]وللزواج في الشريعة اليهودية قديما سن معينة تبدأ بها، إذ حددت شريعتهم

---

[1] - مقابلة شخصية: صديقة راغب، ميثلون، 60 سنة، 23 -2 -2015.

[2] - غرانفكست، هيلما: **أحوال الزواج في قرية فلسطينية**، ص 85.

[3] - مقابلة شخصية: صديقة راغب، ميثلون.

[4] **- انظر: كريمر، طقوس الجنس المقدس، ص 93**

[5] - الماجدي، خزعل: **متون سومر**، 267.

[6] - انظر: الترمانيني، عبد السلام: **الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام**، ص 113.

[7] -انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، باب هجن ، ج 15.

[8] - سرور، محمد سكري: **نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية**، ص140.

سن الزواج بثلاث عشرة سنة للذكر، واثنتي عشرة ونصف للأنثى، وفي هذا الأمر تخضع الأنثى لولاية الإجبار من والدها، أي يمكن لوليها أن يزوجها ولو كانت غير راضية، فمع رضى والدها لا حاجة ولا ضرورة لرضاها[1]، وهذا ما كان يحدث أيضا في الحضارة العراقية القديمة، التي كانت تسلب حق الفتاة في قبول الشاب أو رفضه، وتمنح ذلك الحق لولي أمرها[2].

لم تكن الفتاة على معرفة بأسرار الحياة الزوجية، بل من العيب أن تسأل أمها أو صديقاتها عن هذا الموضوع إلا إذا كانت مخطوبة ومقبلة على زواج، فكانت توكل مهمة إخبار الفتاة عن تفاصيل ليلة الدخلة إلى إحدى قريباتها المتزوجات اللواتي لديهن خبرة كافية لمساعدة العروس على إجتياز تلك الليلة دون مشكلات، ولم يقتصر هذا على الفتيات في ريف نابلس؛ بل كان هناك من يقف إلى جانب العريس أيضا ليخبره بما عليه فعله في تلك الليلة[3].

وقد وجدتُ خلال زياراتي الميدانية للقرى الريفية النابلسية ظاهرة تتصل بالمثل تسمى" عطية الصينية أو الجورة" وهي أن يعطي الأب ابنته منذ ولادتها لأحد أبناء العائلة أو أبناء أصدقائه، يسأل رجل رجلا أصبح للتو أبا لبنت ماذا رزقت؟ يجيب "عروسة" يقول الآخر مباركة، فيجيب الأب "أجتك هدية ما وراها جزية لفلان" وبهذا يكون الأب قد قرر مصير ابنته وخطبتها يوم مولدها[4]، و يظن الرجل أنه حافظ على ابنته وضمن لها زواجها عندما تكبر فالمثل عندهم يقول: " دور لبنتك قبل ما تدور لابنك[5]"، لكن في المقابل نجد أن العديد من بنات القرية من غير زواج، فوضعن تعسفا تحت مصطلح "العنوسة" ؛ لأن الأم الريفية النابلسية كانت بأمس الحاجة لابنتها لتساعدها على تربية إخوتها وإدارة شؤون البيت، تقول آمنة: " ظلوا دار حماي يطلبوا فيي

---

[1] - انظر: قدار، مرزوقي: **اتجاه المشرع الجزائري نحو العقد المدني في الزواج**، جامعة وهران، الجزائر، 2012، ص 43.

[2] - انظر: الهاشمي، رضا جواد وآخرون: **حضارة العراق**، دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ج2، ط1، 1985،ص89.

[3] - بلاصي، فداء: ***العرس الفلسطيني سياق لتعليم التاريخ الاجتماعي الثقافي***، **مجلة رؤى التربوية**، العدد 38، مؤسسة عبد المحسن قطان للنشر، رام الله،2010،ص 37.

[4] -انظر:غرانفكست، هيلما: **أحوال الزواج في قرية فلسطينية**، ص64.

[5]مقابلة شخصية: حسين محمد أبو عمشة، زواتا، 107 سنوات، 20 -2 -2015.

ثلطاشر سنة، وكل ما يطلبوا إمي تحاربهم سنة لأنها بقت تظل تقول بنتي عمود بيتي أنو بدو يربي أخوتها؟"[1]، ونجد في قرية ياصيد عدد من النساء اللواتي لم يتزوجن لهذا السبب، فهناك عدد من الفتيات حرمتهن عمتهن من الزواج خوفا على خراب بيت والدهن على حد قول وفاء[2]، وهناك أيضا فتاة من عصيرة الشمالية لم تزوجها أمها لتقوم برعاية الأبقار وتساعد في زراعة الأرض.

عوامل اختيار الزوجة:

عندما يقترب الولد من سن الزواج، يشرع الوالدان بالبحث عن عروس مناسبة لابنهم، ويشاركهم الأقارب كالأعمام والعمات في البحث بصورة مباشرة، واختيار العروس يخضع لعوامل عدة منها:

1. القرابة:

لعل غياب مايسمى ب(الخاطبة) جعل الخيارات محدودة أمام الأهل لاختيار عروس لابنهم، فينحصر الاختيار بين بنات العائلة، فتقول في ذلك الحاجة ندى"....والا بنت عمك يما فش أحسن منها أول إشي كانوا يختارو بنت العم وبنت الخال وكانوا القرايب يحبو يتناسبووا بقولوا ابن العم بنزل عن الفرس وابن العم أولى، بس اليوم أبعدو عشان أمراظ النسل...."[3]، إذ يفضل الأهل في ريف نابلس، تزويج الابن لبنت عمه أو بنت عمته أو خاله أو خالته؛ لتوطيد العلاقات الاجتماعية بينهم من جهة [4]، أو لسبب اقتصادي من جهة أخرى، فإذا تزوج ابن العم بابنة عمه يكون الزواج دون مهر أو بمهر قليل، وبزواجه منها يحافظ على الإرث خوفا من أن تتزوج من

---

[1] - مقابلة شخصية: آمنة علي غزاوي، دير شرف، 80 سنة، 18 -2 -2015.

[2] - مقابلة شخصية: وفاء حمد، ياصيد.

[3] - مقابلة شخصية: الحاجة ندى عبد الكريم، ياصيد.

[4] - انظر: ***التراث الشعبي الفلسطيني في القدس الشريف هوية وانتماء***، **موسوعة التراث الفلسطيني**، العدد الثاني، جامعة القدس المفتوحة ، القدس،2009، ص39.

غريب ويرث في أراضي العائلة مستقبلا، ثم أن بنت العم تتحمل ما لا تتحمله الغريبة[1] ، وأشارت الباحثة(علياء شكري) إلى ذلك بقولها أن الجماعات العربية تفضل التزاوج في داخل العائلة الواحدة؛ للحفاظ على ابنة العم التي نشأت وترعرعت داخل العائلة، ولتقوية العلاقات من خلال المصاهرة[2]، وزواج ابنة العم من ابن عمها يدمجها في أسرة زوجها بأقل قدر ممكن من الصعوبة والتوتر[3].

تعطى البنت لابن عمها منذ الصغر ويرتبط اسمها باسمه إلى أن تكبر وتتزوجه، وتكثر الأمثال التي تردد للدلالة على تفضيل الزواج من ابنة العم و تكره الشاب بزواج الغريبة، ومن تلك الأمثال:

ابن العم يطيح عن الفرس

اللي بتحراها ابن عمها بتحرم ع الناس

بنت العم حمالة الجفا أما الغريبة بدها تدليل

خوذ بنت العم بتصبر ع الجفا وخوذ الغريبة بتقعد ع القفا

بوخد ابن عمي واتغطى بكمي

عليك بالطريق لو دارت وببنت العم لو بارت

زيتنا بدقيقنا[4]

وتدل هذه الأمثال على مدى تحمل وصبر إبنة العم على تقصير وفقر إبن عمها، لأنه في نهاية المطاف من (لحمها ودمها) وهي مجبرة على إحترام عمها وعائلتها، على العكس من الفتاة الغريبة التي قد لا تراعي ضيق الحال.

وكثرت الأغاني التي تردد ترغيبا للزواج بابنة العم منها:

---

[1] - انظر: الترمانيني، عبد السلام: **الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام**، ص 140

[2] - انظر: شكري، علياء: **الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1996، ص83.

[3] - انظر: نفسه، ص 72.

[4] - غوشة، سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين**، ص 84.

سكابا يا دموع العِينِ سكابا　　صبر أيوب ع فراق لحبابا

بنات عَمّي يا حسرة عَليهن　　سبع بواب ومقفَّل عليهن

يا ريتني طير وارفرف عَليهن　　يا ريتني حَيّ واسبح ع البوابا

يا ابن العَم يا خايس يا نايس　　بنات عمّك واطلِعن عرايس

بنات عمّي يا حَسرَة عليهن　　سبع بواب ومقفّل عليهن[1].

وفي هذا النص تقريع لإبن العم الذي يتخلى عن الزواج من بنات عمه.

ومنها ما يقال على لسان بنت العم:

يا ابن العَم يا شَعري على ظَهري

إن أَجاك الموت لَرُده على عُمري

يا ابن العم يا ثُوبي على حالي

إن أجاك الموت لرده بيدي

يا ابن العم يا ثوب الحرير

لَحُطّك بين جناحي واطير

واهَدّي بيك على جبال الجليل[2]

وهنا توضيح لمدى إعتزاز الفتاة بابن عمها، فهي مستعدة لتفديه بنفسها، وقد وصفته وشبهته بأغلى ما تملك ألا وهو شعرها، فالشعر مقدس عند الأوساط الشعبية في ريف نابلس كما وضحنا سابقا.

ويغنين أيضا:

يا ابن العم لاشِمّك والمك　　وابرُم شاربَك فوق ثِمك

يا ابن العم لا توخذ غَريبة　　رِد ايدينا ولا قمح الصَلَيبة[3].

---

[1] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[2] - مقال بعنوان: **من عبق التاريخ**، ويكبيديا العربية، 18 -1 -2008،https://ar.wikipedia.org/wiki

[3] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

فهي تطلب من أبن عمها بألا يأخذ غريبة حتى لو كانت ذات حسن وجمال، حتى لو كانت ابنة عمه ليس على قدر من الجمال فهي أفضل من الغريبة، وهذا تفسير قولها" رد ايدينا ولا قمح الصليبة" .

تتيح التقاليد لابن العم أن يقف في طريق زواج ابنة عمه ويطلب الزواج منها، يجتمع والد العريس بإخوته وأبناء عمومته ليشاورهم بزواج ابنته من فلان، الذي يكون في أغلب الحالات من خارج البلد أو خارج العائلة، وبهذا الطقس يترك والد العروس مجالا لأحد شباب العائلة ليعترض طريق ابنة عمه ويطلبها لنفسه لأنه بنظر المجتمع هو أحق بها من الغريب، تقول ندى: " المشاورة بقت منيحة بين الأهل، عشان اللي بقى بدو بنت عمه يتعرظلها وبتجوزها غصب عن الكل لأنه ابن العم بطيح عن الفرس[1]".

والفتاة التي تتزوج خارج نطاق العائلة أو القرية حظيت بنصيبها من الأغنية الشعبية، وفي ثنايا كلمات تلك الأغاني تقريع وتذنيب لها لقبولها، و تنبؤها في المشكلات التي ستواجها في بيت زوجها والبيئة الغريبة التي هي فيها، فتغني الحاجة ندى:

إن كَنّك غريبة هيلي من العين حَفنة   من العيد للعيد تا يطلوعليكي نَكلة
إن كنك غريبة هيلي من العين جرة   من السنة للسنة تا يجو عليكي مَرّة
إن كنك غريبة هيلي من العين كيلة   من السنة للسنة تا يطلوا عليكي ليلة
يا اهل الغريبة طلو ع غريبتكم   وان قَصَّرت خِيلكُم شِدّو مِروّتكُم
يا اهل الغريبة لا يجبر لِكم خاطر   شو عمى عينكم عن ابن العمِ هالشاطر[2].

وتغني النساء على لسان العروس:

يمّي يا لِمّي ناوليني مناديلي   وطلِعت من البلد ما وَدَّعِت أنا جيلي
يمّي يا لِمّي شِّديلي مَخَدّاتي   وطلعت من البلد وما وَدَّعتِ خَيّاتي
يِمّي يا لِمّي شدّيلي ع المودِّع   الليلة عندك وبكرى الصبح بنتوَدَّع

[1] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد

[2] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

يا بنيَتّي لا تبكي تبكيني   خَيّك احنَيّن يزورك ليلة اثنين[1]

ويغنين:

يا محلا داره قولو لبوي يا محلا داره

فارقت دياره وصرت غريبة فارقت دياره

ما أدفى ناره قولو لبويي يا مدفى نارو

يا ريت جواره اقضي عمري يا ريت جواره

الفراق اتحدد هيك الله رايد الفراق اتحدد

ماهوي معود قلبي ع الفرقة ما هوي معود[2]

و في هذا إشارة إلى صعوبة مفارقة الفتاة لبيت والدها الذي تربت وترعرت فيه.

2. الجمال:

حب الجمال شيء فطري جبل الإنسان عليه، وهو قوة تجذب الرجل إلى المرأة التي تتحلى به، لذا تبحث الأم جاهدة لابنها عن فتاة جميلة ذات بشرة بيضاء وسمينة، فالسمينة عند العرب نموذج المرأة الجميلة الحسناء[3]، تقول الحاجة مفيدة:" لما خطبوني دار عمي أجت حماتي ع دار أهلي عشان تختار وحدة منا أنا وخواتي، قمت عجبتها أنا لأني ناصحة، وقالت لبنتها بدنا مفيدة شوفي منصحها مش مثل خواتها مسلفكات(شديدات النحافة)[4] ".

تقول الأم لابنها" بنت فلان شلبة(جميلة) ومليحة ومربية بدنا نشوفلك إياها"[5]تذهب الأم إلى بيت أهل العروس دون موعد مسبق؛ لترى العروس على طبيعتها دون مساحيق التجميل، فالمثل يقول" الحلو حلو لو قايم من النوم والشنع شنع لو اتحمم كل يوم"[6]، "وبروحن الصبح ع

---

[1] - مقابلة شخصية: آمنة علي غزاوي، دير شرف.

[2] - انظر: علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، جمعية عمال المطابع التعاونية بالقـدس، فلـسطين،1986، ص 159.

[3] - انظر: انظر: غرانفكست، **أحوال الزواج في قرية فلسطينية**، ص95.

[4] - مقابلة شخصية: مفيدة اسعيد، 69 سنة، ياصيد، 312 -12 -2015.

[5] - مقابلة شخصية: جميلة سليم الحاج، 80 سنة، اجنسنيا، 19 -1 -2015.

[6] - مقابلة شخصية: فاطمة علي محمود حمادنة، عصيرة الشمالية، 66 سنة،29 -1 -2015.

دار العروس عشان يشمين ريحة ثمها من الصبح ويشوفن سنانها وشعرها"[1]، وقد يرافق أم العريس في زيارتها تلك، قريباتها وجاراتها وداية البلد، تقول ندى: " إمي بقت تروح مع الناس ينقدوا العرايس عمنها داية البلد، وراحت مع ناس كثار والله من هالبلد"[2]، ونادرا ما يختار الشاب زوجته في ريف نابلس، بل اختيار الفتاة يقع على عاتق الوالدين وإذا كانا متوفين فيصبح هذا واجب الأخوة الكبار[3]، يقول أبو وائل من روجيب" انا بقيت متجوز بنت عمي بس بقيت ما أحبهاش جوزني إياها أبوي غصب عني، ومرة من المرات رحت طفشت من الدار منها ورحت ع الهجع(مكان تتوافر فيه مراعي للأغنام، يقطنه الرعاة في فصل الربيع للرعي) وبقت ام وائل هاجعة مع أهلها وشفتها معهم وعجبتني، عجبني طولها وقوامها حبيتها واتجوزتها وطلقت بنت عمي، أبوي زعل مني ومرظيش يحظر عرسي"[4].

وكان الجمال مصدر السعادة والراحة للرجال والنساء، فقد تضمنت الأمثال الشعبية ضرورة اختيار الفتاة الجميلة مع التركيز على البياض، يقول المثل: " يا ماخذ البيض يا مقضي الزمن فرحان"[5]، فقد ربط العرب القدماء بين المرأة البيضاء وكوكب الزهرة، فالمرأة البيضاء شكل من أشكال الزهرة المقدسة، البيضة المقدسة بيضة الكون الأولى[6].

لذلك لم تخلُ الأغنية الشعبية من ذكر بياض العروس، فتغني النساء:

بيضَة ورفيعَة بيضَة ورفيعة   نِزلت من التكسي بيضَة ورفيعَة.

كوني مُطيعَة كوني مُطيعَة   الحماة للكنّة كوني مُطيعة[7]

وتعددت الأغاني الشعبية التي تردد للتغني بجمال العروس، منها ما رددته لنا الحاجة أم أسامة:

---

[1] - مقابلة شخصية: عايشةالصافي، 80 سنة، بيت ايبا، 29 -12 -2015.

[2] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[3] - انظر: غرانفكست، **أحوال الزواج في قرية فلسطينية**، ص96.

[4] - مقابلة شخصية: محمد أبو عيشة، أبو وائل، 88 سنة، روجيب، 23 -1 -2015.

[5] - نجم، عدنان وآخرون: **صورة المرأة في الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ***دراسة مقدمة للمؤتمر العلمي "التاريخ الشفوي الواقع والطموح***، الجامعة الإسلامية، 2006، ص14.

[6] - انظر: طه، نضال: **الطقوس والمعتقدات الشعبية في مدينة رام الله**، ص 193.

[7] - من ذاكرة الباحثة.

قمر هالعروس والله قمر تظوي البيت المعتم واله شهر

زِينة هالعروس والله زِينة تظوي البيت المعتم واله سنينِ

شمعة هالعروس والله شمعة تظوي البيت المعتم واله جُمعّة[1]

ويغنين:

ورد الجَنايِن يا فلان ورد الجنايِن أحلى الكنايِن عند امّك أحلى الكنايِن

وردة الجِنينة يا فلانة ورد الجِنينة أحلى كنينة عند امك أحلى كنينة[2].

وقد تركز الأم على الجمال المعنوي للفتاة؛ ويتركز هذا الجمال على كمال العقل يقول المثل: "العقل زينة واللي بلاه حزينة"[3]، و "الطول طول النخلة والعقل عقل سخلة"، وإذا كانت المرأة جميلة بالشكل فقط يقال عنها" من برة وردة ومن جوة قردة"[4]، وما أسعد العريس إذا اجتمع في عروسته الجمال المعنوي والمادي، سيعيش طوال حياه في هناء وسعادة، وعبر المثل الشعبي عن ذلك بقوله: " إن وقفت بتبين وإن نطقت بتزين"[5].

3. مكانة أهل العروس الاجتماعية:

يراعي أهل العريس وخاصة الوالد، اختيار بنت نسب وحسب وأصل طيب، ولا بد من مراعاة أن يكون خال العروس ذا صيت عال، وأن يكون إخوتها أطايب وذوي نخوة وشهامة، لأن المرأة الريفية تكاد تلد أباها أو أخاها، فلا بد أن يكون خال حفيدهم ذا سمعة طيبة، تقول آمنة: " الواحد أول إشي بدور ع الخال، اللي خاله ردي هو ردي"[6]، والمثل يقول:

---

[1] - مقابلة شخصية: سليمة الصالح، 79 سنة، بيت ايبا، 29-1-2015.

[2] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[3] - المبيض، سليم عرفات: **ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية**،الهيئة المصرية العامة، مـــصر، 1990، ص 389.

[4] - إبراهيم، نبيلة: **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، دار المعارف، بيروت، ص210.

[5] - عطا الله، عيسى، **قالوا في المثل**، ط2، وزارة الثقافة، عمان، 1995، ص.90

[6] - مقابلة شخصية: آمنة الغزواي، دير شرف.

"**اللي ما بنفقوها خدودها بنفقوها جدودها**"، أي الفتاة ذات أصل جيد تتزوج لسمعة أهلها وليس لجمالها

و **" ما بجيد البنت الا أصلها**"، تقول ندى: " بقوا الناس يدوروا ع الأصل والبنت تكون مربية ولبسها منتاز (ممتاز) ومسترة وتكون البنت محترمة وبنت ناس..."[1]

وركزت الأغنية الشعبية في ريف نابلس على مكانة أهل العروس، تغني ندى:

خطبناتش يا مَليحة عَ سِيط ابوك واخذناتش يا مَليحة يخليلِك ابوك
خطبناتش يا مليحة ع سيط اهلك واخذناك يا مليحة يخليلك اهلك
خطبناتش يا مليحة يا طِلق الليمونة واخذناتش يا مليحة يا مَزيونة
خطباتش يا مليحة يا ام المنديل واخذناتش يا مليحة واهلتش قَناديل
خطبناتش يا مليحة يا فلاحة واخذناك واهلك مَلا الساحة [2].

وفي هذه المقطوعة تحديد للأسباب التي دفعت أهل لخطبة العروس، ومن أهما:

مكانة والدها الاجتماعية

وجمال العروس وحسن مظهرها

و مكانة عائلتها كافة الاجتماعية

ثم لعزوتها وكثرة عدد أهلها.

ويرددن النساء أيضا:

خطبنالك يا عَريس بِنت سِت وبنت سيد
خطبنالك يا عريس بنت الشيخ اللي بِكيد[3]

---

[1]مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[2] -مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[3] - علوش: موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص163.

ويغنين:

واحنا مَشينا من بَلد لَبلد تَنّا أخذنا بنت كبيرِ البلد

واحنا مشينا من الصُبح للعَصر تَنّا خطبنا طَيبات الأصل

واحنا خَطبنا فلانة من بَيها يا بَيها يسوى قِليعة حلب

قِليعة حلب تسوى مَلاها ذهب[1]

واحنا مَشينا مِن حارة لَحارة تَنّا خَطبنّا بِنت الأمارة

واحنا مشينا من بلد لبلد تنا لقينا غاليات الطلب

واحنا طلبنا فلانة من بيها يا بيها يسوى قليعة مصر

قليعة مصر تسوى ملاها ذهب[2]

وفي النصوص السابقة نلاحظ مدى تفاخر أهل العريس بعدد وعزوة ومكانة أهل العروس الاجتماعية، فقد خطبوا بنت كبير البلد، صاحب السمعة الجيدة و المكانة الرفيعة، والدها يعادل في نظرهم قلعة مصر المليئة بالذهب، فالذهب لجماله ونقاءه وقيمته الثمينة؛ يرمزون به إلى قيمة الأشخاص.

كما توضح المقطوعة الأخيرة مدى تحمل أهل العريس لشقاء المشي بين البلدان للوصول إلى أهل العروس، فمن يبحث عن حسب ونسب العروس لا يأبه لطول ومشقة الطريق.

وتهاهي إحدى عمات العروس فتتفاخر بطيب الأصل والشرف أمام أهل العريس وتقول:

هي واحنا بنات الشمس والشمس إمنا

هي والبدر أبونا و الهلال ابن عمنا

هي وروحي لبوك قوليلو

لا حدا داسنا ولا قالت الناس عنا

لولولولولولولولوولولوولي

---

[1] - نفسه، ص 161.

[2] - مقابلة شخصية: فاطمة علي حمادنة، 66، عصيرة الشمالية، 29 -1 -2015.

وهنا تتفاخر المرأة بصفاء سيرة العروس وأخواتها، إذ لم يتكلم الناس عنهن بالسوء.

وتحرص الأم الفلسطينية في ريف نابلس على تحري أصل أم العروس وسلوكها وطباعها قبل التقدم لخطبتها، لأن المثل يقول:

" طب الجرة ع ثمها بتطلع البنت لأمها"[1]

و**"اللي إمها خواظة هي خواظة"**، أي: المرأة التي لا تهتم ببيتها وتقضي وقتها في الزيارات، فحتماً ستكون ابنتها مثلها تماما ولا تصلح لتكون زوجة وربة بيت.

" وخذ المجنونة بنت العاقلة ولا توخد العاقلة بنت المجنونة"[2]

الناس يرون أن البنت نسخة كربونية من أمها في التصرفات والأخلاق والطباع، فإذا صلحت الأم صلحت البنت، كما يرون أيضا أن الأم كثيرة الإنجاب تكون بنتها منجبة مثلها، فتقول الأم لابنها: " خلينا نوخذلك فلانة عشان تملي علينا الدار ولاد وبلاش تفكر بفلانة لأنه سلالتهن و بزرتهن ضعيفة، وفلانة شجرتها ثمورة خلينا نوخذ بنتها[3]".

الخطبة:

الخطبة هي إعلان رغبة الرجل بالزواج من امرأة معينة، ويتم الزواج بعد الموافقة على الخطبة ضمن مراسم مختلفة تختلف بين الشعوب وفقا لاختلاف العادات والتقاليد بينهم، وكانت تقاليد الخطبة عند العرب في الجاهلية تقوم على أسس معينة أهمها، مشاورة البنت قبل زواجها، فعندما خطب دريد بن الصمة الشاعرة المشهورة الخنساء: " مر دريد بن الصمة بها وهي تدهن بالقطران بعيرا لها أجرب وقد تبذلت، حتى فرغت منه، ثم نضت عنها ثيابها فاغتسلت، ودريد بن الصمة يراها وهي لا تشعر فأعجبته، فانصرف إلى رحله وأنشأ يقول:

حَيّوا تماضر واربعوا صَحبي وقِفوا فإن وقوفَكم حَسبي

-[1]نجم ، عدنان وآخرون: **صورة المرأة في الأمثال الشعبية الفلسطينية**، ص11.

[2] - المبيض: **ملامح الشخصية الفلسطينية**، ص388.

[3] - كناعنة، شريف: **الإنجاب والطفولة**، ص53.

أخنّاسٌ قد هامَ الفؤاد بكم   وأَصابَه تبل من الحبِ[1]

فلما أصبح ذهب لأبيها فخطبها منه، فقال له: مرحبا بك يا دريد، إنك لكريم لا يطعن في حسبه، ولكن لهذه المرأة في نفسها ما ليس لغيرها، وأنا ذاكرك لها وهي فاعلة.[2]والإسلام بعد ذلك بقي على عادة مشاورة الفتاة قبل الخطبة، بل جعل هذا الأمر شرط من شروط الزواج، وعلى ولي أمر البنت أن يسألها، وإذا صمتت فهذا يعني أنها وافقت[3].

أما عن الخطبة في ريف نابلس قديما، كانت تبدأ بالمشورة بين العريس وأهله، فترى الأم أن فلانة ملائمة لابنها، فتسأل عنها جيدا وتستشير زوجها بشأنها، يتفق الأب والأم ويشاورون ابنهم فيوافق بكل حب وسرور حتى لو لم يكن يعرف تلك الفتاة، تذهب الأم إلى أم الفتاة وتقول لها: " بدنا فلانة لابنا فلان، فتقول لها أم الفتاة: " إلنا الشرف بنسبكم بس بدي أشاور أبوها"وبعد موافقة الأب، ترسل أم الفتاة لأم الشاب الموافقة، و يستثنى رأي الفتاة ولا يحق لها الاعتراض، فقضية الزواج قديما كانت قضية أبوية ليس للعروس صلاحية فيها[4]، و المرأة في المجتمع الريفي هي من ممتلكات الرجل مثلها مثل قطعة الأرض وقطيع الماشية، وسيطر عليها كما سيطر على موارد العيش، وبسبب التقدم الاقتصادي لهذا الرجل، فقدت المرأة مكانتها وحرمت من إبداء رأيها، يرى (ويستر مارك): " أن تقدم النمو الاقتصادي لدى الريفيين، أدى إلى نشوء الزواج بالشراء، وبالتالي حرمان المرأة من حق اختيار عشيرها[5]" ، ويقول الحاج صبري: " الخطبة اتفاق بين أهل العريس وأهل العروس، والعروس والعريس ما يشوفوا بعضهم، وبقوش يوخذوا رأيها"[6].

---

[1] - بن الصمة، دريد: **الديوان**، تح: عمر عبد الرسول، دار المعارف، ص43.

[2] - القاسمي، ظافر: **الحياة الاجتماعية عند العرب**، ط1، دار النفائس، بيروت،1978، ص 12.

[3] - القاسمي، ظافر:**الحياة الاجتماعية عند العرب**، ص 29.

[4] - انظر: جبر، محمد: ***أفراحنا الشعبية تقاليدها ودلالتها***، **مجلة التراث والمجتمع**، جمعية انعاش الأسرة، العدد16، 1982، ص 59.

[5] - مارك، ويستر: **موسوعة تاريخ الزواج**، ت: مصباح الصمد وآخرون، ط2، مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2012، ص139.

[6] - مقابلة شخصية: محمود الحاج صبري، بيت امرين، 77 سنة، 19 -1 -2016.

يجمع والد العروس أبناء عشيرته ليشاورهم بالأمر، ويقول بطريقة غير مباشرة لأبناء عمومته وإخوته: " اللي بدو يتعرضلها يتعرضلها"[1]، بعد الاتفاق بين عشيرة العروس يأتي الرجال من عائلة العريس إلى بيت والد العروس، ويكون الرجال من عشيرة العروس بانتظار الجاهة[2] ويتم الطلب بشكل خاص بينهم ويتفقون على المهر والمسكن ويقرأون الفاتحة ويحددون موعدا للجاهة، ثم تتم الخطبة على العلن، بأن يأتي أهل العريس بجاهة مكونة من كبار البلد لا يتجاوز عددهم العشرين رجلا[3]، يقول الحاج أسعد: " الحياة زمان بقت أحسن وأحلى والبلد بقت تتكون من أربع حمايل يوخدولهم من كل حامولة إثنين ثلاث ويرحوا جاهة[4]"، ومن النساء لا يذهب سوى امه وعماته وأحيانا خالاته، تقول أم لؤي:" من النسوان يروحن ثلاث أربعة من قرابات العريس مع الزلام في الجاهة"[5]، ويذهبون إلى بيت العروس مشيا على الأقدام أو على الخيول كما وضح الحاج محمود حسونة من بيت امرين: " رحنا نخطب مرتي إم أشرف من سبسطية ورحنا مشي ع إجرينا"[6]، ويقول الصيفي: " الزلام يروحوا جاهة بعد ما يوافق أهل العروس ويبقين النسوان مقطبات الخطبة كلها، والزلام بروحوا بشكل رسمي"[7]، ويكلف كبير الحمولة من عائلة الشاب بطلب البنت من أهلها، يقدم أهل العروس القهوة السادة فيضع كبير حمولة العريس فنجان القهوة أمامه ويقول: " ما بشرب قهوتكم تا تعطونا مطلبنا، ويرد كبير حمولة العروس، اشرب قهوتك ومطلبك موجود عنا بإذن الله"[8].

ويقول الأستاذ علي حسين عصيدة: " رغم قلة التعليم قديما، كان كبير السن يتكلم كلاما جميلا جدا موزوناً عند طلبة البنت"[9]، ولعل خطبة العروس من أهلها على لسان رجل حكيم؛ سنة متبعة عن الرسول عليه السلام، فقد خطب أبو طالب للرسول عليه السلام خديجة بنت خويلد فقال: " الحمد لله الذي جعلنا من زرع إبراهيم ، وذرية إسماعيل، وجعل لنا بلدا حراما، وبيتا

---

[1] - مقابلة شخصية: عائشة حسن مشاقي، ياصيد، 88 سنة، 28 -2 -2015.

[2] - انظر: ربيع، وليد: **العرس الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع**، جمعية إنعاش الأسرة، عدد 31، 1998، ص 185.

[3] - مقابلة شخصية: عثمان عبد الفتاح سلوادي، 88، تل.

[4]مقابلة شخصية: علي أسعد الصيفي، تل، 84 سنة،

[5] - مقابلة شخصية: فاطمة سماعنة، بيت إيبا، 88 سنة، 29 -12 -2015.

[6] - مقابلة شخصية: محمود الحاج صبري، بيت امرين.

[7] - مقابلة شخصية: علي أسعد الصيفي، تل، 84 سنة.

[8] - مقابلة شخصية : علي حسين موسى عصيدة،61 ، تل، 16 -12 -2015.

[9] - مقابلة شخصية: نفسه.

محجوبا، وجعلنا حكاما على الناس، ثم ان محمد بن عبد الله ابن أخي من لا يوازن به فتى من قريش إلا رمح عليه، برا، وفضلا، وكرما وعقلا ومجدا، وإن كان في المال قل، فإنما المال ظل زائل وعارية مسترجعة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة، ولها فيه مثل ذلك، وما احببتم من الصداق فعلي"[1].

ولعقد القران في ريف نابلس، يذهبون إلى محكمة نابلس، أو يأتي المأذون إلى بيت العروس ويكتب الكتاب هناك، ففي الثلاثينيات عرف مأذون يدعى(أبو نصوح من قرية طلوزة) موكل من محكمة نابلس ليعقد القران في القرى التابعة لمدينة نابلس، تقول الحاجة عائشة: " أنا كتب كتابي أبو نصوح من طلوزة"[2]، ويشهد رجلين معروفين في القرية على عقد الزواج، تقول عائشة: " شهد ع كتب كتابي المختار أبو ذياب و عبد الرحيم الفارس الله يرحمهم، و حفظوني شو أقول قدام المأذون لما يسألني عن رأيي"[3]، وعند المصريين القدماء كان ولي أمر العروس الذي ينوب عن العروس في عقد القران، وكان العقد يشهده شهود من القرية وتسجل أسماؤهم في العقد[4] كما يتم بأيامنا هذه.

ويعقب الخطبة حفل صغير يتبادل فيه الخاطبان تلبيس الدبل؛ أي يلبس كل منهما الآخر خاتما في بنصر اليد اليمنى، وهي عادة عرفت عند الهندوس القدماء أيضا، وسرت إلى اليونان والرومان حتى غدت شائعة في جميع العالم[5]، وتردد النساء العديد من الأغاني المخصصة ليوم الخطبة منها:

عندما تقارب النساء الوصول إلى بيت والد العروس يرددن مغنيات:

جينا ع حِسّك يا بَيّ فلان   جينا ع حِسّك بِهِز الركايب
لقيناك حاضِر ما لقيناك غايِب   لقيناك على تَل السّعَادات قاعِد

[1] - أحمد زكي، صفوت: **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، ج1، بيـروت - المكتبـة العلميـة، 1933، ص77

[2] - مقابلة شخصية: عائشة حسن مشاقي، يا صيد، 88 سنة.

[3] - مقابلة شخصية: نفسه.

[4] - الماجدي، خزعل: **الدين المصري**، ص 238

[5] - انظر: مارك، ويستر: **موسوعة تاريخ الزواج**، ص 191.

يا بَيّ فلان يا ذيَاب ابن غانِم   يا بحر عكا يا قَوّي العَزايم[1]

إذ تقول النساء في النص السابق أن ما دفعهن إلى المجئ لخطبة العروس هو والدها وسيرته الحسنة، فيصفنه بأنه يجلس على التل دلالة على مكانته المرتفعة، و يصفنه أيضا بأنه ذئب دلالة على هيبته ورهبته، وببحر عكا وصورها دلالة على رصانته و وقاره وعظمته.

وعندما تصل النساء إلى بيت العروس يغنين لوالد العروس:

يابَي فلان وسعلنا الحارة   والعِز الك والكِيف للعَذارة

يابي فلان وسعلنا الحُوش   والعز لك والكيف والناموس

واحنا مشينا من الصُبح للعَصر   تَنا خَطبنا طَيبات الأصل

واحنا خَطبنا فلانة من بَيها   يا بيها يسوى قِليعة حَلب

قليعة حَلب تسوى ملاها ذهب[2]

يا هالدار طوبة على طوبة   زينها فلان في الخطوبة

يا هالدار حابس على حابس   زينها فلان بالمحابس

يا هالدار مَبيض حَجَرها   زَينها فلان من لَمن عَبرهَا.

وبعد تلبيس العريس للمحبس تغني النساء:

مين لَبسِك المِحبس يا فلانة   مين لبسِك المِحبَس يا هي

يا شمعة تِضوي المَجلس يا فلانة   يا شمعة تِضوي المَجلِس يا هي

مِين لَبسك خاتم يا فلانة   مين لَبسك خاتم يا هي

يا شمعة بِدار الحاكم يا فلانة   يا شمعة بدار الحاكم يا هي[3].

---

[1] - علوش، **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص160.

[2] - نفسه ، ص 161.

[3] - جاد الله، خليفة محمد محمود: ***الأدب الشعبي في فلسطين أغاني النساء نموذجا***، **بحث مقدم إلى المؤتمر الثالث للفن والتراث الشعبي** الفلسطيني، نابلس جامعة النجاح الوطنية، 2010، ص17.

نلاحظ إستخدام لفظة (شمعة) في كثير من الأغاني الشعبية في ريف نابلس، وبرأيي أن لهذه اللفظة دلالة دينية؛ فالشمع حاضر في الديانات المسيحية واليهودية إذ لاستخدامها روحانية خاصة وهو تقليد موروث من النبي موسى عليه السلام، وقد يكون حضورها في الأغنية الشعبية إمتداد لروحانيتها تلك.

وتغني أخريات:

يا نيالك يا عروس صرتي منا　　واحنا من كبار البلد والشور النا

يا نيالك يا عروس يا نيالك　　واحنا من كبار البلد وصرنا عيالك

يا نيالك يا فلانة واخذتي الخاص　　واحنا من كبار البلد واحنا الأساس.[1]

فلا يكتفين النساء بمدح والد العروس فحسب؛ بل لا بد أن يتفاخرن بمكانة أهل العريس وعائلته، ولفظة "نيالك" هنا تعني يا لجمال حظك، فأنتِ أصبحتِ من كبار العائلات في القرية.

وأشار عدد من الأشخاص الذين أجريت معهم المقابلات أن أهل العريس يذهبون إلى بيت العروس بعد الخطبة بإسبوع ويأخذون معهم "مطلة" مكونة من ملبس حمام و ملبس ع كظامة، وقطعة قماش للعروس وغير ذلك. ولا يجوز للعريس أن يرى خطيبته إلا بحضور أهلها، وقد تشعر الفتاة بالخجل وتأبى أن يراها عريسها تقول آمنة: " بقيناش لا نشوفهم ولا يشوفونا، بقى بنات زمان عندهن حيا، مش مثل بنات اليوم بفتن وبطلعن معهم وبروحن بنامن عند دار العريس والعريس بنام عندهم قال، بستحوش ولادة اليوم بلمرة"[2]، وتقول سميرة صلاحات: " بقت الوحدة بس تلاقي خطيبها بالشارع تستحي منه، في وحدة من جيال أختي لاقت خطيبها بالشارع وقامت دبت حالها في قلب الطابون، قام راح لأهلها قالهم بنتكم هيك هيك عملت، روحوا طلعوها قبل تتخنق، أما بنات اليوم ماشاالله بتواخذ(تتعود) عليه وبواخذ عليها قبل يتجوزوا"[3]، وتقول فاطمة: " بقت الوحدة تستحي تسأل عن اسمه، ولما عرفت إنه اسمه يوسف، صرت أستحي أنادي ع أخوي يوسف باسمه؛عمنه خطيبي اسمه يوسف"[4].

---

[1] - مقابلة شخصية: فاطمة حمادنة، عصيرة الشمالية.

[2] - مقابلة شخصية: أمنة غزاوي، دير شرف.

[3] - مقابلة شخصية: سميرة صلاحات، الباذان

[4] - مقابلة شخصية: فاطمة الجبالي، 74، بيت ايبا.

ويسمى عقد الزواج الرسمي عند السومريين ب(كاكسيدا) وهو أمر ضروري لا يتم الزواج إلا به، وكانت تحتفظ به الزوجة لضمان حقوقها بالمستقبل، ويكتب على رقيم طيني صغير[1]. وقد نظمت القوانين القديمة أحكام الخطبة وناطت إجراءها بالآباء الأولياء، ففي قانون حمورابي، تتم الخطبة وينعقد القران باتفاق والدي الزوجين[2].

المهر والكسوة :

المهر:

المهر هو الصداق، وجمعه مهور، وقيل في المثل: " أحمق من الممهورة بإحدى خدمتيها[3]"، ويضرب مثلا للأحمق البالغ في الحمق، وذلك أن رجلا تزوج امرأة، فلما دخل عليها قالت له: لا اعطيك نفسي حتى تمهرني، فخلع عليها إحدى خدمتيها من رجلها واعطاها إياها، ولحمقها رضيت بذلك مهرا[4].

تعددت أشكال المهور بين الناس في ريف نابلس، فمنهم من كان يقدم المال الذي لا يتجاوز مئة دينار أردني، ومنهم من كان يقدم قطعة أرض مهر لزوجته، ففي قرية ياصيد هناك العديد من الأراضي التي دفعت مهورا للزوجات، والفتاة التي تقدم قطعة أرض مهرا لها؛ تعد من علية نساء القرية ، تمتاز بالجمال والأخلاق وحسن السيرة وطيب الأصل، بالإضافة لذلك وضح لنا الحاج الصيفي أن المهر قد يكون من نتاج الموسم، يقول: " المهر بقى عند الناس زمان مش مصاري، بقت الناس تقدم طبة قمح يعني إطناشر رطل، أو كرسنة أو شعير أو ذرة اللي بنعمل منها كراديش(نوع من أنواع الخبز المصنوع من الذرة) ، وبقى أهل العروس يبيعوهن ويكسوا للعروس منهن، أو الأبو يروح يستقرظ مصاري عشان كسوة بنته، بس احنا بقى وضعنا

---

[1] - الماجدي، خزعل: **متون سومر**، ص268.

[2] - انظر : **شريعة حمورابي**، ت: محمود الأمين، ط1، لندن، شركة دار الوراق للنشر والتوزيع، 2007، المـــادة 155 - 156، ص 46.

[3] - الخدمة معناها الخلخال، انظر: ابن منظور: **لسان العرب**، مادة خدم.

[4] - ابن منظور: **لسان العرب**، باب مهر، ص 4286.

المادي منيح ودفعت مهر لمرتي الأولى مية وعشرين ليرة"[1]، بينما قال الأستاذ علي حسين عصيدة: "كان مهر العروس لا يتجاوز 5 دنانير ثم تطور إلى 10 دنانير وتدرجت إلى أن وصل المهر إلى 100 دينار"[2]، وتؤكد ذلك الحاجة سليمة عبد الحليم بقولها: " اه أنا مهري بقى خمسين ليرة واشتريت فيهن بيرو"[3]، والحاجة إم بسام تقول: " أنا فيدي(مهري) بقى خمسة وعشرين مقدم وخمسة وعشرين مــتأخر"[4]، بينما قالت ندى:" مهري ميتين دينار، مية متقدم ومية متأخر وميتين دينار بقين يعملن زمان يعني عملت عشر ذهبات عصملي ب اربعين دينار، وجبت خزانة ب عشرين دينار وماكينة خياطة ب بعشرين "[5].

وعرف في ريف نابلس مايسمى(هدم الخال وهدم الأب) إذ يقدم العريس عباءة إلى خال العروس وأبيها، ولم تخرج العروس من بيت أهلها قبل أن يقدم الهدم لهما، وقد يستبدل بعضهم تلك العباءة ب 10 دنانير أو وما يقاربها، تقول أم بسام: " ما ترظى البنت تطلع من دار أبوها تا يجي هدم أبوها وخالها أو يعطوهم 10 دنانير بدالها"[6].

لتقديم المهر هناك طقس جميل، حيث يذهب العريس و والده إلى بيت أهل العروس " لتسليم المهر"، والذي يكون موضوعا بصندوق صغير جميل ومزين بالورود، ويتم وضع هذا الصندوق أمام والد العروس والذي يحرص الآخر على عدم لمسه، وفي حالات كثيرة يرفض استلامه فيقول لهم " المال مالكم والبنت بنتكم، خذوها واشترولها شو ما بدكم"، وتهاهي والدة العريس وقريباته عند ذلك ويقولن:

هيي لُولانَا قادرين ما جَوزّنا العَزّابي

هيي لا تدينا دين ولا بِعنا ذُهباني

---

[1] - مقابلة شخصية: علي أسعد الصيفي، تل.

[2] - مقابلة شخصية: علي حسين عصيدة، تل..

[3] - مقابلة شخصية: سليمة عبد الحليم، برقة.

[4] - مقابلة شخصية: جميلة الحاج، 80 سنة، إجنسنيا، 19-1-2015.

[5] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[6] - مقابلة شخصية:جميلة الحاج، اجنسنيا.

هيي لولانا قادرين ما جوزناش حدا يا ناسي

هيي لا جِبّنا من بنوك ولا استقرَظناش من الناسي

هيي لُولانا قادرين ما جوزناش لِثنيني

هيي لا جِبنا من بنوك ولا تدينا ديني

لولولولوليييششششششش[1].

وهنا إشارة إلى الحالة المادية لعائلة العريس، فهم من الأغنياء القادرين على دفع المال دون بيع الذهب وأخذ القروض، فهم قادرين على تزويج إثنين من شباب العائلة بعضهما مع بعض.

وتقول إحدى النساء الحاضرات عند تقديم المهر أيضا:

هيي لا تحسبونا يا ناس من عَدّ المّال ذَلّينا

هيي حَطينا العَشَر آلاف و عَ الكراسي تعلينا

هيي لا تِحسَبونا يا ناس مِن عَدّ المَال عَبسنا

هيي حَطينا العَشر آلاف عَ الكراسي جَلسنا[2]

لولولولوليييييييييييش.

فهم لا يأبهون لدفع المال مهما كان قدره.

والمهر ضروري عند معظم الحضارات، فعند قدماء الرومان يدفع الزوج ثمن المرأة ويقبضها كما يقبض أي مبيع فتنتقل ملكيتها من والدها إلى زوجها بالبيع[3]، وكان الرجل في الجماعات البدائية يعد زوجته ملكا له لأنه اشتراها بماله، فيتصرف بها كتصرفه بممتلكاته،

---

[1] - مقابلة شخصية: كريمة سماعنه، بيت إيبا

[2] - نفسه.

[3] - انظر : السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، **المبسوط**، ج5، دار المعرفة، بيروت، 1993، ص64 -65 -66.

فالمهر في أصله التاريخي هو ثمن المرأة[1]، وعند عرب الجاهلية كان والد العروس يقبض ثمنها من زوجها ، وأطلق على المهر آنذاك (النافجة) وهو كل ما يزيد من مال الزوج[2].

وفي مصر القديمة ينص عقد الزواج على صداق من الفضة وعلى مبلغ مؤجل دفعه في حالة الانفصال عن زوجته، وفي عقد آخر تعهد زوج أن يقدم لزوجته نصيبا من الحنطة كل صباح،ومقدارا من الزيت كل شهر، وراتبا لنفقاتها الفردية كل شهر أيضا،وراتبا مفروضا لتكاليف زينتها كل عام، كما تعد أن يدفع لها تعويضا إذا سرحها و تزوج عليها[3].

وفي الديانة اليهودية يشترط المهر أن يكون من الأشياء التي ينتفع بها، وألا أن يكون الزوج حاصلا عليه من سرقة أو خيانة وإلا كان الزواج باطلا، والشرائع المسيحية لا تقضي بوجوب المهر، فقد نصت المادة (69) عند الأقباط الأرثذوكس على أن : " المهر ليس من أركان الزواج، فكما أن يجوز أن يكون الزواج بمهر، يجوز أن يكون بغير مهر[4]".

وعندما جاء الإسلام؛ تجرد المهر من عنصر الثمنية المادية، فأصبح المهر رمزا، قال النبي عليه السلام لمن أراد الزواج ولا يملك المال، عن سهل بن سعد الساعدي قال: " أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جاءته امرأة فقالت: إني وهبت نفسي لك، فقامت طويلا فقال رجل يا رسول الله، زوجنيها إن لم يكن لك بها حاجة فقال هل عندك من شيئ تصدقها؟ فقال ما عندي إلا إزاري هذا، فقال الرسول: إزارك إن اعطيتها جلست ولا إزار لك فالتمس شيئا قال: ما أجد، قال عليه السلام: التمس ولو خاتما من حديد" وهذا دليل على الاستحباب لئلا يخلى عقد زواج من

---

[1] - ديورانت: **قصة الحضارة**، ص103.

[2] - انظر: العسقلاني، ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تح: محمد وجيه وآخرون ، ج4، المكتبة العصرية بيروت، 2012،ص 1985.

[3] - انظر: صالح، عبد العزيز: **الأسرة في المجتمع المصري القديم**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المكتبة الثقافية، القاهرة، 1961، ص61.

[4] - انظر: سرور، محمد سكري: **نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية**، ص258 .

ذكر الصداق مهما قل أو زاد[1]، وكان الصحابة الفقراء يتزوجون بملء الكف قمحا أو شعيرا، أو صاعا من التمر[2]،و كان مهر الفتاة عند أهل البادية من البعير والإبل، أما عند الحضر كان من الذهب والفضة والنقود، فقد ورد في عيون الأخبار أن جارية تحدثت إلى بنات عم لها فقالت: " السعيدة من يتزوجها ابن عمها فيمهرها بتيسين وكلبين وعيرين فينبت التيسان وينبح الكلبان و وينهق العيران، والشقية التي يتزوجها الحضري فيطعمها الخمير، ويلبسها الحرير"[3]، وقد بالغ العرب القدماء في مهور زوجاتهم؛ فأصدق عمر بن الخطاب زوجته أم كلثوم بنت علي أربعين ألفا، وأصدق عبد الله بن عمر امرأته عشرة آلاف درهم[4]، وكأن الزواج عندهم بيع فيه مساومة في السعر، وهذا ما دفع أعرابي للقول في المهور:

يقولون تزويجٌ وأشهدُ أنَّه هو البيعُ إلا مَن شاء يكذب[5]

الكسوة أو الجهاز:

الجهاز من "جهز" وهو كل ما تحتاجه العروس، فنقول جهزت العروس تجهيزا[6]، تذهب العروس إلى السوق وتشتري كل ما يلزمها من ملابس وأحذية وأثاث بيت، فقد اعتاد المصريون أن يغالوا في الجهاز، وكانوا ينقلوه إلى بيت الزوجية في عربات مكشوفة للعيان والمارة، فيضعون اللحف والمراتب والأسرة عليها ليتفاخروا بكثرة الجهاز[7]، وهذا يشبه إلى حد كبير ما ذكرته لنا كبيرات السن في ريف نابلس، قالت إحداهن: " بتنزل الوحدة ع نابلس هي ودار حماها وأهلها وبتجهز أواعي وقطع قماش ومنديل اخظر، بروحوا مشي ع نابلس وبروحوا مشي[8]" و"

---

[1] - العيد، تقي الدين بن دقيق: **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، تح: أحمد محمد شاكر، ط 2، ج2، دار الكتب السلفية، القاهرة 1978، ص 183 -184.

[2] - انظر: الترمانيني، محمد: **الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام**، ص146.

[3] - انظر: الدينوري، أبو محمد عبد الله بن قتيبة، **عيون الأخبار**، ج 2، دار الكتب العلمية - بيروت، 1418 ه، ص 742.

[4] - انظر: الدينوري: **عيون الأخبار**، ص 743.

[5] - نفسه ص 743.

[6] - ابن منظور: **لسان العرب**، باب جهز، ص 712.

[7] - انظر : أمين، أحمد: **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**،153.

[8] - مقابلة شخصية: عائشة مشاقي، ياصيد.

إذا عتمت عليهم الدنيا ع الطريق بظووا في سروج بشتروهن من نابلس قبل ما يروحوا[1]" ، ثم تذهب أم العريس ومعها عدد من نساء القرية حاملات جهاز العروس في صواني قش وعلى رؤوسهن بموكب فاردة يغنين ويرقصن إلى أن يدخلن بيت أهل العروس، وهذا طقس له جذور تاريخية تعود للقدم.

ومن أهم مشتريات العروس آنذاك كانت قطع القماش التي تفصلها العروس كفساتين لها عند "الخياطة "، وكان لكل نوع قماش اسم محدد، فأكثر أنواع القماش المنتشرة في ريف نابلس آنذاك:

قماش رمش العين

وقماش ضي الليل

وقماش البوبلين

و قماش المخمل

وقماش لسان سلوى

وقماش المخمل المصدف[2]

وقماش اسمه اسفنج

و قماش اسمه ورد تين

وقماش ملس[3]

وقماش الكورنيش

وقماش الحرير[4]

وتقول ندى: " الكسوة بقت رخيصة يعني أحسن فستان بقينا نشتريه في 5 دنانير وكانت تِكسي ومثل ما بدها عيلتها تمشي يعني أنا في دار أبوي بكيت ألبس سبك بس لما رحت عند

---

[1] - مقابلة شخصية: محمود صبري حسونة، بيت امرين.

[2] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[3] - مقابلة شخصية: فاطمة الجبالي، 74، بيتا.

[4] - مقابلة شخصية: ام اسامة، بيت ايبا

عيلتي قالولي البسي زنار وقراميل(ظفيرة من خيطان الصوف السوداء توضع في أسفل ضفائر المرأة لتطيل شعرها)، وألبس عباية، وأتكبع فيها(ترتديها من رأسها لأخمص قدميها) وأروح ع نابلس والعباية عليي وبقى ولا يمكن تروح الوحدة لحالها ع نابلس إلا مع أبوها أو جوزها أو أخوها"[1]

وتكمل ندى حديثها: "وفي الكِسوة كانت تشتري الأساسيات اللي هني زنار وفساتين، ومنديل أخظر، وهيو عندي منديلي لخظر لليوم ذكرى، وتشتري كندرة وحدة مش مثل اليوم ع كل لبسة كندرة، وكانت تشتري ذرعة قماش 5 أو 6 أنواع، والزنانير بكت إمي تجيبهن من عمان بكين يجين من سوريا لعمان وإمي تجبلنا"[2]، وتقول أم نافز: " جبت بنطلونين وشلحتين وثلاث ذرعات وعباية، وبقت إم العروس تقول بدي هدم ، ويفصلولها عباية، ويعطوا الخال هدم 10 ليرات، بقينا نروح من هون لحوارة مشي ومن حوارة لنابلس ع الجحاش"[3]، والحاجة عائشة تقول: " ما أخذونيش معهم ع الكسوة، همي راحوا كسولي ب سبع ليرات، جابولي أربع مخامل وثوب إبيظ، بقوش يلبسوا قمصان نوم، وجابولي ثلاث لباسات، وخلقة مصدفة(منديل) وثلاث مناديل خظر"[4]، وتضيف إحدى النساء: " بقوا يجيبوا للعروس ذهب ليرات، مش مثل اليوم خواتم وأساور وحكي فاظي، بقوا يجيبولها 9 أو 10 ذهبات، ويحطوهن في سنسال أو خيط أسود"[5].

ووضح لنا علي حسين عصيدة التغييرات التي طرأت على جهاز العروس مع مرور الزمن فقال: " كان مهر المرأة لا يتجاوز خمسة دنانير ثم تطورت إلى عشرة دنانير، وهكذا إلى أن وصلت إلى مئة دينار، وكانت أكثر ما تطمح إليه العروس في جهازها "الصندوق" ، ثم تطور الأمر إلى البيرو والنملية، ثم أصبحت العروس تطمح إلى شراء الفرشات، ثم تطور الأمر إلى شراء التخت المفرد ثم التخت المفرد ونص ويكون التخت في هذه الحالة من الحديد ، ثم التخت

---

[1] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[2] - مقابلة شخصية: ندى محمد أحمد، ياصيد.

[3] - مقابلة شخصية: نجمة الموسى، بيتا.

[4] - مقابلة شخصية: عائشة مشاقي، ياصيد.

[5] - مقابلة شخصية: عائشة صالح سماعنة، 88 سنة، بيت إيبا.

المزدوج والخزانة، لا يوجد قديما أدوات كهربائية، بل تكتفي العروس بأكم غرض للبيت وشوية قماش ومنديل أخضر"[1].

كانت النساء في ريف نابلس تردد العديد من الأغاني المتعلقة بالكسوة:

ففي لحظة شراء الكسوة تردد النساء:

واقطَع يا خَواجا يا لَواجا　　　واقطع جوخ والتالي عَلاجا

واقطع يا خواجي يا نَصراني　　　واقطع جوخ والتالي رُهباني

واقطع جوخ يا خواجا يا يهود　　　واقطع جوخ والبدلات السود

واقطع يا خواجا يا معَرِّص　　　اقطع جوخ والباقي موِّنَس.[2]

ونحن نلمح المفاخرة من لفظة(خواجا) فهي دليل على أنهم يشترون الكسوة من الخواجات والتجار الكبار الذين يأتون بالأقمشة من بلاد الأجانب، فهم لا يشترون من الأسواق الرخيصة والتجار العاديين.

ولحظة نقل الكسوة من بيت العريس لبيت العروس تردد النساء أغاني عديدة عند وصولهن لبيت العروس، تقول ندى: "ويوم عرس أختي انصاف جبن ربعاتها الحنا ع صواني قش، وهني موجهات علينا ع دار أبوي صرن يقولن:

واحنا كسينا كسايا والكسايا حرير　　　واحنا كسينا لسليمان ريت عمره طويل

واحنا كسينا كسايا والكسايا حمر　　　واحنا كسينا لفلان يا طويل العمر"[3].

ولاختيار اللون الأحمر في الكسوة رمزية تدل على حسن الحظ والرخاء والبهجة، وهو لون ترتديه معظم العرائس في ريف نابلس ليجلب لهن السعادة والابتهاج.

---

[1] - مقابلة شخصية: علي حسين عصيدة، تل.

[2] - مقابلة شخصية: نجمة الموسى، بيتا.

[3] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

وتقول أم نافز: " وهني جايات ع دار العروس بالكسوة بقين يغنين:

بيت أبو العروس بَواري   غالي و عَبَابُه دَوالي.

وتقول الحاجة عائشة: " أنا ما جابوليش كسوتي بأغاني، بس بقوا الناس بالبلد يغنوا لما يجيبوا الكسوة، بقين يقولن:

كِسّوة فلان من باب نابلس طَلَت   وكِسّوة عَدوه مِن تِحتنا وَلّت[1].

وتغني نجيبة :

اتَعنَف يا ذَهب على الحَصّيرة   مِنَك يا ذهب جبنا الأصيلة
اتعنف يا ذهب على الصواني   منك يا ذهب جبنا السِّراري
اتنعنف يا ذهب على الصِينيّة   منك يا ذهب جبنا سِريّة[2].

وتقول أخرى:

"بقت إم العريس لما تحمل الكسوة ع دار العروس، تحط في حرجها(ثوبها) ملبس، وهي ترقص تصير تغني وتوزع ملبس ع اللي قاعدات، بقوا يجيبوا معهم حلوان الكسوة من نابلس وتصير تغني:

من وين جبنا كِسوتك يا فلان   من كل سوق شوي وفَرّينا كل الشام
ومن وين جبنا كسوتك يا فلان يا مزيون   من كل دكان شويه وفَرّينا كل السوق"[3].

وتغني النساء أيضا:

---

[1] - مقابلة شخصية: عائشة مشاقي، ياصيد.

[2] - مقابلة شخصية: نجيبة محمد ، ياصيد.

[3] - مقابلة شخصية: فاطمة جبالي، 74 سنة، بيتا.

ميت اخظاري قَطعناهَا   للعرايس اللي خَطبناها

يِعلم الله اليوم فَرحتنا   هَنية والسعِد قد جَاها[1]

وفي هذه المقطوعة نلاحظ ذكر اللون الأخضر في الكسوة ، ولهذا اللون رمزية في الأدب الشعبي؛ فهو لون الربيع والخير ورمز الخصوبة والنمو والإزدهار.

وكان أهم ما يشتريه العريس لنفسه عند الكسوة، " جكيت ولباس، وديماية(وهي كما اخبرنا الحاج السلوادي: ثوب طويل مخطط بخطوط طولية يثبت من عند الخصر بحزام جلد)، وسرطلية(وهي ديماية مخططة بخوط مقصبة لامعه)، وحطة وعقال، بقى يروح ع الكسوة أبو العريس وعمامه وخواله وعماته وخالاته، وبقوا يتغدو بنابلس في مطعم معروف في هذيك الأيام اسمه مطعم السلام على المنارة، وبقت طريقنا لنابلس من صرة"[2].

وهناك أغان مخصصة لكسوة العريس مثل:

قُلي يا خَواجا قُلي   ويش عِندك مِليح للغالي قلي

ما عِندك طرابيش مَصري   لفلان رِقيق الخَصري

ما عَندك بدلات الزِيني   لفلان كَحيل العِيني

ما عندك تَقاصير حَلَبي   لفلان الطَويل وشَلَبي

قُلي يا فلان قُلي   قُلي منِين بَيَك كَسالك

كَسالي من بابِ الوَكَالة   قَطَع لي هِدمين وشالِة

كَسالي مِن باب الخَليلي   قَطَع لي كوة حَريري[3].

وكان من واجب العريس في ريف نابلس، أن يقدم " هدوم" لعماته وخالاته وجداته ونساء عمومته، إذ يشتري لكل منهن قطعة قماش، والتي يتحتم عليهن أن يفصلنها ويرتدينها يوم

---

[1] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص 166.

[2] - مقابلة شخصية: عثمان عبد الفتاح سلوادي، تل.

[3] - علوش: موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص 172.

العرس، وقد تحمل الهدوم جميعها نفس اليوم، وعلى من تأخذ الهدم أن ترقص وتغني طوال فترة العرس، بل عليها أيضا أن تنقط(تقدم مبلغ من المال) العروسين نقوطا ذات قيمة.

لاحظت الباحثة تباينا واضحا في طقوس الكسوة بين القرى في ريف نابلس، ففي قرى شرق نابلس مثل بيتا وحوارة و عصيرة القبلية ودومة، يمنع اصطحاب العروس على الكسوة، بل يذهب أهل العريس إلى السوق ويشترون لها كل ما يروونه مناسباً لها، وفي قرى جنوب غرب نابلس كقرية تل وقوصين وصرة، كانت تذهب العروس مع الرجال و النساء من أهل العروس والعريس على حد سواء للكسوة، بينما قرى شمال مدينة نابلس، مثل قرية ياصيد، تمنع العروس من حضور الكسوة، وتذهب والدتها أو عمتها مع أهل العريس لجلب الكسوة.

وتصف لنا إم بسام طقوس الكسوة في أيامها بقولها: " تروح مع العروس حماتها وبنات حماتها والزلام والعريس بقوش يروحوا معهن، مهو العريس بقاش يشوف العروس إلا لما ينام معها، وبقى أهل العريس يوخذوا الكسوة معهم ع الدار ويتحطهن إم العريس على صواني قش وتزينهن بورد ويوخذوهن ع دار العروس مشي في فاردة"[1]، بينما الحاجة سليمة قالت: " يوم كسوتي راحوا أهل العريس لحالهم، ما رحت لا أنا ولا أهلي، ويوم أجوا يحنوني جابوا الكسوة معهم"[2]، وهذا ما وضحته أيضا الحاجة سميرة صلاحات بقولها: " تروح إم العريس تعزم حبايبها ع الكسوة، وبعدها تروح عند العروس عشان تسألها شو بدها وشو عايزة تجبلها، وبعدها أهل العريس يروحوا لحالهم ع نابلس مشي وعلى الحمير، يجيبوا للعروس ثلاث أربع هدوم، وخزانة وتخت، وبس يروحن النسوان من نابلس يصيرن يغنين[3]".

وكما تحدثنا سابقا، فإن أكثر ما كانت تطمح إليه العروس في جهازها " الصندوق" والذي تضع فيه كل جهازها، ولهذا الصندوق امتداد تاريخي عميق، إذ كانت العروس في أيام الفراعنة تحرص أشد الحرص على اقتناء الصندوق، ففي مقبرة توت عنخ آمون عثر على عدد من

---

[1] - مقابلة شخصية: جميلة الحاج، 80 سنة، إجنسنيا.
[2] - مقابلة شخصية: سليمة عبد الحليم، 85، برقة.
[3] - مقابلة شخصية: سميرة صلاحات، 66 سنة، الباذان.

الصناديق المزخرفة والتي كانت تستخدمها النساء لحفظ الملابس[1]، وكان مهر العروس عند السومريين من الحبوب والتمر واللحوم والفاكهة والزبدة، تحملها النساء على أطباق من القش من بيت العروس إلى بيت زوجها[2].

الحناء:

جاءت لفظة حناء في المعاجم العربية للإشارة إلى شجر ورقه كورق الرمان وعيدانه كعيدانه، له زهور بيضاء كالعناقيد، ويتخذ من ورقه خضاب أحمر. ويقال فلان تحنأ أي تخضب[3]،وعرفت الحناء منذ آلاف السنين، واستخدمها المصريين القدماء في التحنيط لأنه نبات يقاوم البكتيريا[4] واستخدمت عند الفراعنة مستحضرا للتجميل والتزيين، فزينت النساء أنفسهن بها، واستمر العمل بها لتزيين الشعر والقدمين والأظافر، فأصبحت مصدرا للتجمُل بين الناس في الشرق الأوسط[5]، ووجدت آثاره على أيدي مومياء عمرها يزيد عن خمسة آلاف سنة[6]ويقال إن أول من تحنى بها السيدة هاجر زوجة النبي إبراهيم عليه السلام، ويأخذ الحناء قداسته لكونه نباتا من الجنة، وقد يقترب من الطوطم ويكتسب الخصائص المقدسة كونه -كما يعتقد البعض - أول دمعة أذرفتها حواء وهي تبحث عن سيدنا آدم عندما هبطا من الجنة[7]، وفي العراق كان من أساسيات الزواج أن تخضب العروس بالحناء، بل كانت عامة النساء تضع الحناء في باطن اليد كعادة تكررها كل شهر[8]، وانتشر الحناء في بلاد حوض البحر الأبيض المتوسط بشكل لافت، و

---

[1] - غربال، محمد شفيق وآخرون: **تاريخ الحضارة المصرية القديمة**، ط1،م1،مطبعة النهضة المصرية– القاهرة، دزت، ص148.

[2] - انظر: طه، نضال: **الطقوس والمعتقدات الشعبية في محافظة رام الله**، ص 227.

[3]. مجمع اللغة العربية بالقاهرة:**المعجم الوسيط**، ط4، مكتبة الشروق الدولية، القاهرة، 2004، ص 251.

[4] - خليل، عزة: **نماذج من نقش الحناء**، ط1، الدار السعودية للنشر والتوزيع، الرياض، 2007، ص 6.

[5] - الشرنوبي، مايسة: **أجمل النماذج والرسومات في النقش بالحناء**، ط1، دار الطلائع، القاهرة،2003، ص 40

[6] - نفسه ، ص 38.

[7] - السيد، عبد المؤمن السيد: **رموز الحناء بين التقليدية والمعاصرة دراسة اثنوجرافية**، بإحدى المدن الليبية، جامعة بنها، ليبيا، 2008، ص53.

[8] - انظر: القيم، علي: **المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة**، ط2، الهالي للنشر والتوزيع، مصر، 1997، ص77.

استخدم عند شعوب الحضارات القديمة كالكنعانيين والرومان واليونان والعبرانيين الذين استخدموا فروع أشجاره في وضع الأكاليل على جنائزهم[1].

قبل الحناء بعدة أيام تقيم النساء سبع ليالٍ من الغناء والرقص، وتسمى تلك الليالي "بالتعاليل" ، تقام تلك الليالي في الحارة وليس في البيوت، والتي أكدت على ذلك الحاجة أم أسامة من بيت إيبا فقالت: " بقين النسوان يعللن سبع ليالي، وين بقين يعللن؟ بالحارات بقى فش وساع بدور الناس هذيك الأيام يا ستي"[2]، وكان من طقوس تلك التعاليل، تأخذ النساء المشاعل بيدها من بيتها إلى أن تصل مكان التعليلة، والمشاعل كما قالت أم لؤي: " عصاة طويلة بنلف راسها في شوال خيش أو قطعة قماش، وبنغطسها في الكاز وبنولعها نار، وبتضل مولعة طول الطريق بتدل ع الفرحو عشان تظوي الطريق قدام الناس "[3].

وسميت الليلة التي تسبق يوم الزواج ب (ليلة الحناء) ، وتعود هذه التسمية إلى مسحوق أوراق تلك النبتة التي تجفف وتطحن ثم تخلط بالماء والخميرة وبعض المواد التي تضاف إليه لزيادة نسبة احمرارها على اليد؛ كالشاي والكركم وثمار البرتقال، تقول نجيبة: " يوم عرس ابني واصف أجت خالتي شيخة تجبل الحنا يوم حنا عبير الضحويات، وقالتلي روحي اغلي ابريق شاي مر وجيبيه عشان نعجن فيه الحنا"[4]، والعادات تقتضي أن يجبل الحناء في بيت العريس لإدخال الفرح والسرور إلى قلب أهله، وكان يجبل في ساعات الظهيرة أو على حد قول فاطمة " بنعجنه في الضحوية"، وهذا له مبرر؛ لأن دعوة النساء لحضور حفلة الحناء كانت تتم بإرسال صرة من الحناء لهن، و من أجل ذلك كان لا بد من تحضيره في وقت مبكر[5].

وللمرأة التي تجبل الحناء صفات ؛ يجب أن تكون منجبة، كبيرة بالسن، أكثر خلفتها من الذكور. وأثناء جبل الحنا تغني النساء:

---

[1] -حمامي، محمد: **الحناء فن ونقش عند العرب**، دار الشرق العربي، بيروت، ص 5.

[2] - مقابلة شخصية: فاطمة صالح سماعنة، بيت إيبا.

[3] - مقابلة شخصية: كريمة سماعنة، بيت إيبا.

[4] - مقابلة شخصية: نجيبة محمد ذياب، ياصيد.

[5] - الساريسي ، عمر: **كلمات في المأثورات الشعبية**، رابطة الكتاب الأردنيين، عمان، ص60.

تستاهلي يا دارنا حنة واحنيي إيديي

يا اللي لميتي شملنا والخي مع الخيي

تستاهلي يا دارنا حنة واحني ابوابك

يا اللي لميتي شملنا واجو عليك اصحابك[1].

يعلم الله اليوم حنانا ثلاث ترطال اللي جبلناها

للحبايب اللي عزمناها للحبايب اللي عزمناها[2].

منين جبت الحنا فلان يا عريس الحنا من عنا والبدلة من باريس

منين جبت الحنا فلان يا غويان الحنا من عنا والبدلة من عمان

منين جبت الحنا فلان يا مدلل من الكعبة الشريفة والشعر مبلل

منين جبت الحنا فلان يا غالي الحنا من عنا والبدلة من خوالي[3].

وهنا إشارة إلى رقي بدلة العريس الذي جلبها من خارج البلاد فهم يفخرون في لباس الدول الأخر ، فهو لم يأتِ بها من أية مكان بل جلبها من باريس و الكعبة المشرفة، وقولهم (البدلة من خالي) صورة من صور اعتزاز الرجل بخاله، فالخال حاضر بشكل واضح في الأدب الشعبي، فعند السؤال عن رجل ما، يُسأل من خاله؟ فمن كان خاله حسن السيرة والسلوك سيكون هو الآخر حسن السيرة والسلوك مثله تماما.

وفي المساء، تستعد النساء للذهاب إلى بيت العروس لتحنيتها تقول إحداهن: **"** بقوا يروحوا فاردة(موكب من النساء) يحنوا عروستهم، بقين يحطين الحنا ع صنية ويزينها بالورد والشمع ويروحن مشي وهني يغنين ويرقصن طول الطريق"[4]

---

[1] - الحسيني، عيسى خليل محسن: **دراسات في الفلكلور "التراث الغنائي"**، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، 2006، ص89.

[2] -نفسه، ص 106.

[3] - مقابلة شخصية: كريمة سماعنة، بيت إيبا .

[4] - مقابلة شخصية: فاطمة صالح سماعنة، 88 سنة، بيت إيبا.

فمنذ إعلان أهل العريس نيتهم لزواج ابنهم؛ تبدأاستعداداتهم لليالي السبع التي تقام قبل يوم الزفاف، وفي نهاية تلك الليالي وقبل يوم الزفاف بليلة، يحتفلون بسهرة الحناء، فتستعد الأم لجبل الحناء ويستعد المدعون للذهاب من بيت العريس إلى بيت العروس في موكب يرافقه الغناء والرقص، تضع النساء الحناء المجبول في وعاء مزين بالورود والشمع، تحمله إحدى قريبات العريس والتي لها مكانة مميزة لدى العريس وأهله[1].

وفي الطريق أثناء ذهاب النساء إلى بيت العروس يرددن العديد من الأغاني التي تدلل على المباهاة والكرم أمام الناس الذين يشاهدون موكب الفاردة في الطريق، ومن تلك الأغاني:

واحنا ذَبحنّا ع الطريق ذبيحة

تَمِّنا وصلنا دار أبوكي يا مَلّيحة

واحنا ذبحنا ع الطريق كبشين

تَمِّنا وصلنا دار أبوكي يا زِينة.

واحنا ذبحنا ع الطريق الحَايل

وحنا نَسَبنا من خاص الحَمايل[2].

ولاستخدام ضمير الجماعة(إحنا) دلالة على المفاخرة بكثرة عددهم أثناء ذهابهم إلى بيت والد العروس، وبسبب كثرتهم ذبحوا أثناء مسيرهم الذبائح إلى حين وصولهم لبيت والدها.

وخلال مرورهن أمام بيوت أهل القرية يغنين لصاحب البيت ويطلبن الصلاة على النبي من الناس الذين يشاهدونهن فيقولن:

يلي عَ الحيطان اذكروا الله صلّوا عَ النبي عَ هالعرسان

يلي عَ الحَذير اذكروا الله صلّوا عَ النبي عَ هالعريس[3].

---

[1] - جبر: محمد: **أفراحنا الشعبية تقاليدها و دلالاتها**، مجلة التراث والمجتمع، العدد16، جمعية انعاش الأسرة، البيرة ، 1982، ص 104.

[2] - مقابلة شخصية: فاطمة سماعنة، بيت إيبا.

[3] - مقابلة شخصية: زكية مشاقي، 55 سنة، ياصيد.

وهنا إشارة واضحة إلى عادة مازالت متواجدة في ريف نابلس؛ ففي أثناء مسير الفاردة أو الزفة في حارات القرية وأزقتها، تجد النساء الأخريات ينظرن إلى ذلك الموكب من أسطح البيوت(الحَذير) و شرفاته.

وقبل وصول "الفاردة"، تكون العروس قد تجهزت، تضع القليل من الزينة على وجهها، وترتب شعرها بشكل بسيط، تزينها إحدى قريباتها ولا تذهب لمراكز التجميل كما هو الحال في أيامنا هذه، وترتدي فستانا جميلا بسيطا، تقول سميرة: " بدلة العروس بقى ثوب عادي، مش مثل بنات اليوم، بدلة الخطبة بتشبه بدلة الحنا وبدلة العرس"[1].

عند وصول "الفاردة" يتم وضع وعاء الحناء أمام العروس ويجلسن منذ لحظة وصولهن لأخذ قسط من الراحة وتبدأ النساء من جهة العروس بالغناء، فيرحبن بالنساء القادمات من جهة العريس فيغنين:

أهلاً وسهلاً باللي أجو عنا ريحة عَرَقهم زَبد وحنا

أهلاً وسهلاً باللي أجو الليلة ريحة عرقهم حنة وهيلي

أهلاً وسهلاً باللي أجو هسا ريحة عرقهم زبد إمّسَى

أهلاً وسهلاً باللي أجو مبارح ريحة عرقهم حنا وعطر فايح.[2]

ثم تتقدم إحدى النساء لتزيين العروس بالحناء، ويشترط في تلك المرأة أن تكون ذات نسل، مخصبة منجبة ذكور كثر، وتكون " قاطعتها العادة(تعدت سن اليأس)"[3]،"ومخلفة صبيان واللي مخلفتش بقتش تقرب ع العروس"[4]وتبدأ بوضع الحناء على راحتي اليد، فتضع القليل منه في باطن اليد ويطلب من العروس أن تقبض يدها، ثم تلف يديها بقطعة من القماش، وفي أحيان أخرى تخضب قدمي العروس ورأسها كذلك، ويوزع ما تبقى من الحناء في الوعاء على النساء الحاضرات.

---

[1] - مقابلة شخصية: سميرة صلاحات، الباذان.

[2] - مقابلة شخصية: فاطمة حمادنة، 66 سنة، عصيرة الشمالية.

[3] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[4] - مقابلة شخصية:سميرةصلاحات، الباذان.

وأثناء تحنية العروس تردد النساء الأغاني على لسان المرأة التي تحني العروس فيقلن:

مَرّقني يا بنات   تَمَّني أحنّيها
مدِّي ايدك مدّيها   تَمَّني أحنّيها
والوجِه دورة قَمر   والنجِم حايط فيها
الغُرّة ريشة نعام   مسّعد يَلّي شاريها
واللي مثِلك غزَال   والقلب هايِم فيها
حناك شيلِّة بيلة   وانقوشك مَلَا الفنجان
واللي أخذك مسعَد   واللي دَشرِك نَدمان[1]

وعند ذلك يغنين للعروس:

يا مَنقَشّه بالحنّا   لِفّي الحِنا بدياتِك
والليلة نامي عنا   وبكرى عند حَماتك
يا منَقشّه بالحنّا   لِفّي الحِنا بقميصِك
والليلة نامي عنا   وبكرى عند عَريسك
يا منقشّه بالحنا   صُبي اللبن والبُن
واهلَك يا فلانة   من صحاب الكرم والَفن[2].

وذكر البن(القهوة) في المقطوعة السابقة إشارة إلى كرم أهل العروس؛ لأنها تجسيدا لكرم الضيافة العربية الأصيلة، أما اللبن فقد يكون رمزا لنقاء شرف العائلة، أو رمزا لبياض حظ العروس.

وتغني النساء أيضا:

سَبّل عيونه ومد ايده يِحنونُه
غزال ازغير كيف أهلُه سَمَحولُه

---

[1] - البرغوثي، عبد اللطيف: **عادات الزواج في الريف الفلسطيني**، مجلة التراث والمجتمع، العدد 31، جمعية إنعاش الأسرة، البيرة، 1998، ص72.ومقابلة شخصية: سميرة صلاحات، الباذان.

[2] - مقابلة شخصية: فاطمة حمادنة، عصيرة الشمالية.

سَبّل عيونه ومد ايده لَيتحَنّى

غزال ازعير يا ريته يِتهَنى.

ثم تقوم النساء بِحَث العروس على الحناء بقولهن:

قومي اتحني قومي تحني لَحالك

واحنا حَطّينا شروط أبوك وخالك

قومي تحني قومي تحني يا زِيني

واحنا حطينا شروط ابوكي الفينِ

قومي اتحني قومي قومي اتحني ما يهمك

واحنا حطينا شروط أبوك وعمك

قومي تحني يا فاطمة لَا عمرُ المال

يِكفيك يا تيسير يا غالي شمعة الدار

قومي اتحني يا فاطمة لا عُمرُ الزيت

يِكفيك يا نادي يا غالي شمعة البيت[1].

وفي هذه المقطوعة إشارة إلى عادة (هدم الخال والعم) التي اشتهر بها الريف النابلسي، فالنساء هنا يفخرن بأن عائلة العريس دفعت المهر كاملا إضافة إلى حقوق العم والخال، ويطلبن من العروس أن تقوم وترافقهن إلى بيت العريس، لأنه تم تلبية كافة الشروط والمطالب التي طلبها والدها وأقاربها.

وهناك العديد من الأغاني التي تقال على لسان العروس ليلة حناها مثل:

يا ريت أبوي يِحلِف عليِّ الليلة

وأنا العزيزة وأنام وسَطَ العيلة

يا ريت أبوي يِحلف عليِّ الثاني

---

[1] - علوش: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص 177.

أنا العزيزة وَنام وَسَط اخواني

قولوا لابوي الله يخلي ولاده

استعجل عليَّ واطلعني من بلاده

قولوا لابوي الله يكثر زيته

استعجّل عليِّ واطلعني من بيته

قولوا لابوي الله يكثر مالُه

استعجل عليَّ واطلعني من داره[1].

وردت هذه المقطوعة على لسان العروس التي تتمنى أن تبقى مزيدا من الوقت في بيت والدها، وهنا إشارة إلى حب الفتاة لبيت والدها الذي ربيت وترعرت فيه.

عندما تكون العروس " غريبة"[2] تنام النساء الذاهبات إلى "الفاردة"، في بيت أهل العروس، ولكون النساء كثر، يتوزعن في بيوت عدة، حيث يعزمهن عدد من أقارب العروس للمبيت في بيته، وفي الصباح الباكر تستعد النساء للعودة إلى بيت العريس لإكمال مراسم الزواج والدخلة[3].

يسود اعتقاد بين الناس في ريف نابلس أن هناك علاقة بين الحناء والحسد والعين والسحر، وأشار محمد الجوهري في إحدى دراساته الأنثروبولوجية إلى ذلك ، فرأى أن للحناء دورا كبيرا في علاج الجسم الملبوس، وعلاج السيدات المتزوجات اللاتي بينهن وبين ازواجهن مشاكل[4]، تقول فاطمة شراقة: " لما بقوا اخوتي يتقاتلوا بقت إمي تروح تبخر الدار في حنا وبخور، عشان تطلع العين من بين اخوتي"[5].

سهرة الحناء لا تقتصر على العروس؛ ففي حين انتهاء النساء من سهرة حناء العروس، يكون الرجال في سهرة حناء العريس، وهي سهرة يجتمع فيها الرجال كافة من كل حدب

---

[1] - جبر، محمد سعيد: **فرحة الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ط1، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، 2010، ص 88.

[2] - من بلد أخرى قريبة أو بعيدة عن بلد العريس وأهله.

[3] - مقابلات شخصية: ندى عبد الكريم من ياصيد، فاطمة سماعنة من بيت إيبا، جدعة الجبالي من بيتا، فاطمة حمادنة من عصيرة الشمالية وآخرون.

[4] - الجوهري، محمد: **علم الفلكلور**، ج2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988، ص522 -526.

[5] - مقابلة شخصية: فاطمة شراقة، عصيرة الشمالية.

وصوب حول الحدى يدبكون ويغنون للعريس[1]، ولعدم توافر الكهرباء في عشرينيات وثلاثينيات القرن الماضي؛ كانت النساء تحرص على لم الحطب قبل السهرة بعدة أيام، حتى يشعل الرجال النار لتكون مصدر إضاءة لهم، ويشير إلى ذلك الحاج السلوادي والصيفي[2] ومحمود صبري حسونة[3]، ويقول علي عصيدة: " في سهرات الرجال كان الحضور يجلسون على حجارة، أو ع الأرض، ثم تطور الأمر إلى كراسي القش، ويقدم للحضور الشاي أو عصير فوار ويتم جمع الحطب قبل السهرة بأيام، تذهب جميع نساء العائلة للتحطيب، وتمتد السهرات إلى الفجر"[4].

ويخضب العريس بالحناء، لكنه يكتفي بتخضيب يد واحدة أو رسم حرف اسمه واسم العروس على يده اليمنى، و استخدام الحناء اقتداء للرسول عليه السلام والذي اقتدى هو وتابيعه في سيدنا إبراهيم عليه السلام الذي حرص على تخضيب يده اليمنى وشعره ولحيته[5]، وحناء العريس طقس يصاحبه غناء ورقص ودبكات، فيغنون له :

حنا يا حنا يا ورق السريس يا محلى الحنا في ادين العريس
حنا يا حنا يا ورق الليمون يا محلى الحنا في ايدين المزيون
حنا يا حنا يا ورق التفاح يا محلى الحنا ع ادين الفلاح[6]

وجاء ذذكر ورق السريس والليمون والتفاح هنا؛ لأن الورق الاخضر رمزًا للخصوبة وحسن الحظ.

ثم يغنون:

يا حنا يا اخظر لايق ع إديي حنولي العريس الغالي عليي
يا حنا يا اخظر يا لايق ع كمه حنولي العريس الغالي ع امه

---

[1] - مقابلة شخصية: علي حسين عصيدة، تل.

[2] - من قرية تل.

[3] - من قرية بيت امرين.

[4] - مقابلة شخصية: علي حسين عصيدة، تل.

[5] - انظر: شندي، إسماعيل: **حكم الخضاب في الشريعة الإسلامية**، مجلة جامعة القدس المفتوحة، العـــدد الثالـــث، رام الله، 2004، ص 97.

[6] - مقابلة شخصية: سليم عبد الكريم، ياصيد، 55 سنة، 29 -5 -2017.

يا حنا يا اخظر يا لايق ع محرمته   حنولي العريس الغالي على اخته[1]

ويضيف علي عصيدة: " من أساسيات سهرات الرجال قديما إطلاق البارود، إضافة إلى التزام الرجال بأغاني السامر والسحجة والدحية، فالدحية لها نمط معين؛ فهي ضرب الكفوف بشكل سريع وهم ماخذين وضع الإنحناء، أما السحجة ضرب الكفوف وهمي واقفين"[2]. السامر والسحجة من أهم أغاني الرجال في سهرات العرس، يصطف الرجال في صفين متقابلين ويبدأون بالتصفيق، والمغني في الصف الأول يغني ويرد عليه أفراد مجموعته، ثم يرد عليه المغضني بالصف الثاني فيرد عليه أفراد مجموعته هو الآخر، وفي ريف نابلس عرف عدد من المغنيين الذين يأتون الحفلات ويغنون مقابل المال مثل: الجلماوي و أبو غنيم[3]، وقد تختلف فقرات السامر والسحجة والدحية من منطقة لأخرى في الريف الفلسطيني، فقد تقتصر على السامر أو تبدأ بالسامر وتتحول إلى السحجة، أو أن تتحول من سامر إلى سحجة إلى دحية عندما يقوم أحد الحاضرين فيبدأ بالغناء ويرد عليه الحاضرون[4].

تحظى مناسبة حناء العريس بأهمية احتفالية خاصة عن تلك السهرة التي تخصص للعروس لأسباب منها؛ أن الاحتفال الحقيقي بالعروس يكون في صباحية يوم الحناء، أي يوم الزفاف، كما أن حناء العريس فيه بهجة وسرور لأنه سينفصل عن أسرته لتكوين أسرة جديدة[5].

تقام سهرات الرجال في مكان متفق عليه بين أهل القرية، ففي قرية ياصيد، هناك ساحة خاصة لسهرات الرجال، تقام فيها كافة حفلات البلد تدعى" بين البيادر" ، وكان لإطلاق النار- كما قلت سابقا- دور كبير في تلك السهرات، يقول علي: " إطلاق النار أساسي في السهرات

[1] - مقابلة شخصية: سليم عبد الكريم، ياصيد.

[2] - مقابلة شخصة: علي حسين عصيدة، تل.

[3] - مقابلة شخصية: عبد الجبار عبد الله شايب، 80 سنة، إجنسنيا، 19-1-2015.

[4] - انظر: علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص 36.

[5] - زايد، أحمد وآخرون: **الأسرة والطفولة" دراسات اجتماعية وأنثروبولوجية"** ، دار المعرفة الجامعية، ص 307-308.

حتى يظهر أهل العريس قوتهم، ولما اتزوج أخوي الكبير، عبين[1]الختياريات عشر حروج رصاص، وكان منتشر عندهم قطعة سلاح اسمها البرتينة"[2].

الزفاف:

من أهم مراحل حياة الإنسان بعد الولادة والطهور للذكور، هي مرحلة الزواج والتي طالما يحلم بها الشاب منذ بلوغه، وتبقى ذكريات تلك الليلة عالقة في ذهن الشاب وأهله مدى الحياة[3]، لذلك يبدأ الشاب وأهله بالإعداد لهذا اليوم قبل التفكير في اختيار العروس و الخطبة، فمنذ أن يشتد ساعد الشاب يبدأ بتجهيز سكنه الجديد ليكون صالحا لعش الزوجية.

بيت الزوجية:

كان بيت الزوجية في قرى مدينة نابلس قديما؛ لا يتجاوز غرفة واحدة في بيت العائلة، وإذا لم تتوافر يتم بناء غرفة، وقد تكون تلك الغرفة مخصصة لحفظ الشعير والقمح والتبن فيتم ترميممها لتكون صالحة لعش الزوجية[4]، تتشارك الزوجة الجديدة أهل زوجها المطبخ والحمام- إن وجد- اللذين يشيدان في مساحة صغيرة من حوش(ساحة) البيت، تقول إحدى كبيرات السن: "اتجوزت بغرفة وحدة ما إلها حمام ولا مطبخ ولا بقت مقصورة ولا إشي، وبقينا عايشين بألف نعمة، بنات اليوم بقبلنش قال تا يبلطوا وتا يدهنوا وتا يحطوا بردايات وبقولن بدي مثل جارتي والا بتجوزش، يا ستي من شبه عيشته بعيشة غيره حرمت عليه عيشته"[5]، وقد لا

---

[1] - عبأ: ملأ ، عبين ملأن.

[2] - مقابلة شخصية: علي حسين عصيدة، تل.

[3] - انظر: غوشة،سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القدس في القرن العشرين**، ص105.

[4] - انظر: **نفسه**، ص 105.

[5] - مقابلة شخصية: أمينة غزاوي، دير شرف.

نبالغ بالقول إذا قلنا إن المرحاض في تلك الأيام كان معدوما، و كان الناس يلجؤون إلى " الحواكير"[1] لقضاء الحاجة على حد قول الحاجة عائشة مشاقي[2].

وقد يكون بيت الزوجية قسما صغيرا من غرفة كبيرة تسكنها العائلة، ويتم فصل الزوجين الجديدين بشرشف بسيط يقسم ذلك المكان لقسمين أو ثلاثة يقول الحاج الصيفي: " في ناس بقوا يعيشوا كل ثلاث عيل في بيت واحد، ويقطعوا بين كل وحدة و وحدة بشرشف أو قاطع"[3].

يوم الزفاف

تبدأ استعدادات العائلة لزفاف العريس، فينتهز أفراد تلك العائلة كافة لشراء ملابس جديدة، فتبقى تلك الملابس موسومة بيوم الزفاف فيقال " هاي البدلة اشتريتها يوم عرس فلان"، والأطفال يستفيدون من تلك المناسبة؛ إذ يلبسون الملابس والأحذية الجديدة، جرت العادة في تلك الأيام أن تصطحب الأم أولادها إلى العرس فتبقى ذكريات ذلك الحفل عالقة بأذهانهم، ولم تكن ترد عبارة" نوما هنيئا لأطفالكم" التي ترد في بطاقات دعوة الأفراح في أيامنا هذه[4].

في يوم العرس تستعد العروس لمغادرة بيت أبيها إلى بيت زوجها، لكنها لم تكن تذهب إلى صالونات التجميل كما في الوقت الحالي، بل قد تكتفي بمجيء الماشطة إلى البيت والتي تكون في كثير من الحالات إحدى قريباتها، فتزينها بالقليل من مساحيق التجميل والتي من أهمها الكحل، وتقوم الماشطة بإلباس العروس فستانها الأبيض البسيط وتضع على رأسها إكليلا من الورد الصناعي الأبيض، وقبل ذلك تقوم بالمهام كافة بما فيها عملية التحفيف؛ وهي عملية إزالة الشعر عن الذراعين والساقين والمناطق الأخرى بالوسائل البدائية المعروفة باسم العقيدة أو حلاوة السكر

---

[1] - حواكير: مفردها حاكورة، وهي قطعة أرض صغيرة لا تتجاوز الدونم، تكون بين بيوت القرية تستخدم لزراعة الخضراوات في الصيف والشتاء لتشكل مصدر لغذاء الأسرة.

[2] - مقابلة شخصية: عائشة مشاقي، ياصيد.

[3] - مقابلة شخصية: علي أسعد الصيفي، تل.

[4] - انظر: غوشة، صبحي سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القرن العشرين**، ص 105.

التي يتم صنعها يدويا في البيت باستخدام الليمون والسكر والقليل من الماء، ويتم وضعها على أماكن الشعر ويتم سحبها بسرعة تسحب الشعر معها وتترك الجسم أملس ناعما، لكن ظهرت في جيلنا الحالي وسائل عدة جعلت من هذا الأمر أكثر سرعة وسهولة[1]، وقد رأت الباحثة إكليل زواج إحدى نساء قريتها التي ظلت محتفظة به منذ ثلاثين عاما، وعند الخروج من بيت أبيها إلى بيت زوجها لا بد أن يكون والدها وإخوتها حاضرين، ولكنها لا تخرج إلا حين يحضر عمها أو خالها ويقدم لهما هدم الخال والذي سبق الحديث عنه عندما قالت الحاجة فاطمة سماعنة: " ما بتطلع العروس من دار أهلها إلا بوجود خالها وعمها وما بتطلع قبل ما يقدم العريس إلهم هدم الخال والعم"[2]، فينقطان العروس ما تيسر لديهما من المال ويمسكانها بيدها اليسرى واليمنى وتخرج وتسلم إلى أهل العريس وأقاربه الذين يأتون لأخذ العروس بموكب من كبيرات السن في العائلة وكبارها، فيقول والد العريس لوالد العروس أو جديهما: " اسمحولنا في الأمانة اللي النا عندكم، فيرد والدها اعطيناكم إياها هدية ما وراها جزية وديروا بالكم عليها"[3] وغيرها من عبارات الطمأنينة[4]، وتقف العروس إلى جانب والدها لتأخذ النقوط من الرجال الحاضرين لطلعتها.

وعند طلعة العروس من بيت أهلها تردد النساء بعض الأغاني التي قد تسبب البكاء للعروس حزنا على خروجها من بيت والدها:

قوليلي عَلِيش ربيتي ياعوينات الغزال

وانا ربيتِ في بيتِ أبوي بالعزِ والدلال

قوليلي عِلِيش ربيتي يا إم عيون اللَّوزيّة

---

[1] - انظر: غوشة، صبحي سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القرن العشرين**، ص108.

[2] - مقابلة شخصية: فاطمة سماعنة، بيت إيبا.

[3] - مقابلة شخصية: فريز مشاقي، ياصيد.

[4] - انظر: غوشة، صبحي سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القرن العشرين**، ص112.

و انا ربيت في بيت أبوي بالعز والحُرية

قوليلي عليش ربيتي يا عوينات الجاموس

وانا ربيت في بيت أبوي بالعز والناموس

قوليلي عليش ربيتي يا وردة ع النبعة

وانا ربيت في بيت أبوي واخوتي ستة سبعة[1].

وهنا إشارة إلى المكانة التي حظيت بها العروس في بيت أهلها، فهي تربت على العز و الشرف، مدللة مكرمة، وفي هذه المقطوعة تلميح من قريبات العروس لقريبات العريس أن هذه العروس عاشت مدللة معززة مكرمة، ويجب أن تعيش كذلك عند زوجها.

وتهاهي لها والدتها فتقول:

هييي الله معك الله معك

هييي باريكي أبوكي وخالك معك

هي الله معك الله معك

هيي عن كان في مسمار بدار أبوك خذيه معك[2].

وهنا تبرز روح النكتة، بحيث أن الفتاة قبل زواجها تأخذ من بيت أهلها ما يحلو لها من ملابس وأدوات وتُحَف وما إلى ذلك، فهذه المهاهاة تطلب منها ألا تترك أية شيء خلفها، حتى لو كان ذلك شيء مسمار.

وتغني باقي النساء:

ع المودعي ع المودعي   تعي يا عروس تا نتودعي

---

[1] - من ذاكرة الباحثة

[2] - سمعتها الباحثة من إحدى نساء قريتها أثناء عرس ابنتها.

ع المودعي ع المودعي　　　من الشباك طلي وارجعي

طلت من الشباك وقالت هيه يا بيي　　انا الغريبة وديروا بالكم عليي

لبسنك الأبيض طية على طية　　　طية عربية وطية إفرنجية

ويغنين أيضا:

حَلفت يا فلّانه ما بطلع لحالي　　　إلا بسيارة ويباريني خالي

حَلفت يا فلّانة ما بمشي بالساحة　　تا يجي خالي ومعاه الجاهة

حَلفت يا فلّانة ما بركب ع الفرس　　تا يجي عمي ومعاه حرس

حَلفت يا فلّانة ما بمشي ع الأرض　　تا يجي خيي ومعاه مية[1]

وهنا يتضح حرص العروس على إظهار مكانتها وعزوتها أمام أهل العريس، فهي ترفض أن تخرج قبل أن يقف بجانبها عمها وخالها وأخيها ، ويصطحبها جمع كبير من رجال القرية.

وتغني أخريات:

وهيه يا ريم الفلا وَقّف تا اشوف　　وشو هالذنب اللي عملتوا بعد المعروف

وقف لبنت عمك ماني يمك　　　لاخذ غيرك واهمك والعين تشوف

وقف لبنت خالك ماني مالك　　　لاخذ غيرك بدالك والعين تشوف

وقف للشلبية ع العلية　　　　لاخذ غيرك مية والعين تشوف[2].

وتغني النساء أيضا:

طالعه من بيت أبوها　　　رايحة بيت الأمان

لابسةِ الأبيض والأحمر　　والعيون عيونِ الغُزلان

---

[1] - مقابلة شخصية: زكية مشاقي، ياصيد.

[2] - مقابلة شخصية: نفسه.

قلتلها يا حِلّوة اروِيني   على عيونك فَرجّيني

قالت لي روح يا مِسكين   عيوني عيون الغزلان[1].

وهناك أغنية شاعت في تسعينيات القرن الماضي كانت تسمعها الباحثة بشكل متكرر في كل عرس تحضره وهي:

سَجّل يا قاضي سَجّل   واطلعوني غريبة واطلعوني غريبة

إمي بالبيت تعيّط   وأختي تقول يا حَبيبة

سَجّل يا قاضي سَجل   واطلعوني من الحارة واطلعوني من الحارة

أختي بالبيت تعيّط   وأمي تقول يا خَسارة

سَجّل يا قاضي سَجّل   واطلعوني من البلد واطلعوني من البلد

إمي بالبيت تعيط   و أختي تقول للأبد للأبد

ثم تغني النساء من جهة العريس اللاتي أتين ليأخن العروس من بيت أهلها مع موكب الفاردة:

يِخلِف ع أبو العروس   يِخلِف عليه لَلْأوَل

طَلبنا النَسَب منه   أعطانا غَزال مصوَّر

يِخلِف ع أبو العروس   يِخلِف عليه مَرتينِ

طَلَبنا النّسب منه   أعطانا بَناتُه الثِنتين

يِخلِف ع أبو العروس   يِخلِف عليه بِالثاني

طلبنا النَسب منه   أعطاني جُوز الغزلاني[2].

وفي هذه المقطوعة، تشكر النساء والد العروس الذي أعطاهن عروس جميلة.

وتغني أخريات:

---

[1] - غوشة، صبحي سعد الدين : **الحياة الاجتماعية في القرن العشرين،** ص 112.

[2] - مقابلة شخصية:سميرة صلاحات، الباذان

يخلف عليكم كثر الله خيركم يا هالنسايب ما عجبنا غيركم

يا بي العروس قهوتك شكروها قهوة عدوك ع الفرش كبوها

يا بي العروس قهوتك عسلية وقهوتك عسلية

عدا ظعنا من قفا العليّة ومن قفا العليّة[1]

وهنا أيضا وردت القهوة للدلالة على الكرم والجود، أما (العليّة) فهي مكان واسع يجتمع فيه كبار البلد ويرمز إلى الرفعة والمكانة المرتفعة.

ولأن القرى الفلسطينية صغيرة؛ تذهب العروس إلى بيت الزوجية مشيا على الأقدام مغطية وجهها بمنديل أخضر وواضعة الطرحة البيضاء فوقه، تتوسط بين النساء ويكون الرجال في الخلف من أجل حماية موكب الفاردة، تقول سميرة: " بقين النسوان يمشين قدام الزلام ويغنين، بقين كل ما يوصلن دار يصيرن يغنين لأهل الدار عشان يوجبوهم ويقوموا في واجبهم، وبقى صاحب الدار يوقف ع ظهر داره ويصير يظرب بارود"[2] أما إذا كانت العروس غريبة من إحدى القرى المجاورة تأتي على فرس مزين بزينة جميلة تشبه تلك الزينة التي تزين بها سيارة العروس في الوقت الحالي، أو قد تأتي في هودج مغلق من أربع جهات، وتجلس بعض نساء معها على الجمل، يتوزعن على جانبيها وخلفها وأمامها[3]، يقول الحاج السلوادي: " بقينا نجيب العروس على الحصان والجمل بقوا يحطوا هودج يعملوه من خشب تركب العروس فيه ويركب معها ثلاث نسوان ثنتين ع الجنب و وحدة وراها"[4]، ولا يمكن أن تدخل العروس القرية الأخرى قبل أن يدفع العريس ما يسمى ب (شاة الشباب) وهو مبلغ من المال يعطى لشباب العائلة الذين يرافقون العروس في الفاردة، وإذا لم تقدم شاة الشباب يتحول العرس من فرح لقتال بين العائلتين، وهذا ما قالته لنا الحاجة أم نافز من بيتا[5] لكن هذا الطقس لم تجده الباحثة إلا في قرى شرق نابلس مثل قرية بيتا و عصيرة القبلية، و عند دخول العروس إلى قرية العريس لا تذهب إلى بيته مباشرة؛ بل يتقدم أحد أفراد القرية ويدعوا العروس وأهلها إلى بيته، يقدم لهم القهوة

[1] - انظر: علوش،موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص 162.

[2] - مقابلة شخصية: سميرة صلاحات، الباذان.

[3] - غوشة، صبحي سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القرن العشرين**، ص112.

[4]مقابلة شخصية: عثمان عبد الفتاح سلوادي، تل.

[5] - مقابلة شخصية: نجمة الموسى، بيتا.

السادة "والبقلاوة" وينقط العروس حسب إمكانياته، فمنهم من يلبسها قطعة ذهب أو يعطيها من خمسة لخمسين دينار[1]

عندما تصل العروس إلى بيت الزوجية تستقبلها النساء بالأغاني والزغاريد فتهاهي إحداهن وتقول:

هيي والحمدلله يا الله

هيي يا زلن الهموم انشالله

هيي يا والمي على مجراها

هيه والنصرة من عند الله[2]

ويجب أن تدخل البيت برجلها اليمنى فتعطيها حماتها عجينة مخمرة ملصقه بورقة نبات دائم الخضرة كالليمون؛ لتلصقها بيدها اليمنى على الجهة اليمنى من الباب الخارجي لبيت العريس، لتكون العروس قدم الخير والسعد على زوجها، وقد تكون الخميرة في- رأيي -دلالة على التكاثر والخصوبة، أي يمنا في أن يتكاثر الزوجان كما تتكاثر الخميرة وتنمو، أما عن ورق الليمون والدوالي بالتحديد، فهو تيمنا بالديمومة والبقاء لأن ورق الليمون دائم الخضرة ولا يتساقط، وفي حال سقطت ورقة الليمون والعجينة ولم تلصق جيدا تسارع إحدى قريبات العروس لإلصاقها من جديد بشكل محكم أكثر، و التي تسقط عجينتها لن تعمر كثيرا عند زوجها[3].

و أوضحت نضال طه في دراستها الطقوس والمعتقدات الشعبية الاجتماعية في محافظة رام الله، أن طقس العجينة والخميرة في عادات الناس وطقوسهم؛ لم يأت من العبث، وإنما له جذور قديمة في الديانات المسيحية والإسلامية، لذلك نجد ان العراقي القديم كان يقدم الطحين الذي يصنع منه العجين للآلهة لكي يسترضيها ويرفع غضبهم عنه، فيخاطب الطحين بقوله:

---

[1] - مقابلة شخصية: عائشة مشاقي، ياصيد.

[2] - مقابلة شخصية: زكية عبد الكريم، ياصيد.

[3] - غوشة، صبحي سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القرن العشرين**، ص 113. ومقابلة شخصية مع عدة نساء مثل، ندى من ياصيد، فاطمة صلاحات من الباذان، فاطمة حمادنة من عصيرة الشمالية، فاطمة سماعنه من بيت إيبا.

سأرسلك إلى إلهي الساخط، آلهتي الساخطة

فقد امتلأ القلب من كليهما علي

أصلح بين إلهي الساخط ، آلهتي الساخطة[1].

يتم زفاف العروسين في بيته أو بيت أحد أقاربه ، تنصب منصة مزينة بالورود في ساحة البيت ويصمد عليها العرسان، يرفع العريس الطرحة عن وجه عروسته ويصلي على النبي، ويجلس العرسان على المنصة ويرش عليهم الملح والبخور خوفا عليهم من الحسد، ويقدم لهم الماء المحلى بالسكر في إبريق من الفخار الملون والمزين بالورود، وهي عادة منتشرة لدى الشعوب باختلاف نوع الشراب المقدم لهم، فعند بربر الجزائر يقدم للعرسان الماء واللبن فيشربان منه، ثم تعطى العروس قبضة من الملح والقمح وتنثرهما حولهما يمينا ويسارا، وفي المغرب العربي تستقبل حماة العروس كنتها وتنثر عليها الملح والقمح والفواكه المجففة كالزبيب والجوز واللوز[2]، وقد تحدث مارك في موسوعته عن رأي العلماء في هذا، فهم يرون أنها ظاهرة انتشرت بين الأوساط الشعبية تيمنا في كثرة النسل، فهم يربطون بين كثرة حبوب وثمار النبات وبين الثمار (الأطفال) الناتجة عن الزواج[3].

وأثناء صمدة العروس تردد النساء العديد من الأغاني تدل على جمال العروس منها:

ورد الجنينة يا عريس ورد الجنينة   أحلى الكنينة عند امك أحلى كنينة

ورد الجانين يا عريس ورد الجناين   أحلى الكناين عند امك أحلى الكناين

ورد الفكوسة يا عريس ورد الفكوسة   أحلى عروسة ع حدك أحلى عروسة

وردة واسوارة يا عريس وردة وسوارة   أحلى نوارة ع حدك أحلى نوارة

---

[1] - طه:**الطقوس والمعتقداتالشعبية والاجتماعية فيالأدب الشعبي في محافظة رامالله**، ص 266.

[2] - مارك، ويستر: **موسوعة تاريخ الزواج الإباحية الجنسية البدائية الجاذبية الجنسية والغيرة الذكرية دراسة انتروبولجية**، ت: مصباح الصمد وآخرون، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2001، ص 215 -230.

[3] - انظر: **موسوعة تاريخ الزواج الإباحية الجنسية البدائية الجاذبية الجنسية والغيرة الذكرية دراسة انتروبولجية** ، ص 266 -267.

وردة جورية يا عريس وردة جورية   أحلى مقرية ع حدك أحلى مقرية[1]

إذ تشبه العروس بالوردة لجمالها، شبهت بالجوري ونوار الفقوس و ورود الجناين المختلفة.

وتردد أخريات متمنيات دوام الحياة للزوجين مع بعضهما البعض:

اكتبيله يا فلانه ألف وبا   يجمع شملك مع شمله مدى الحياة

واكتبيله يا فلانة ع الجريدة   يجمع شملك مع شمله الله يريدي

واكتبيله يا فلانه ع الجرايد   يجمع شملك مع شمله مدى الحياة[2]

وتغني أخرى:

فوق رمش العين الغرة مياله

صلوا ع النبي العروس غزالة

فوق رمش العين الغرة مكوية

صلوا ع النبي العروس شلبية

فوق رمش العين الغرة مقصوصة

صلوا ع النبي العروس محروسة[3].

تطأطأ العروس رأسها أثناء صمدتها خجلا، مما يدفع إحدى قريباتها إلى القول لها:

هيي وارفعي راسك يا مرفوعة الراسي

هيي ما فيكي حوفة ولا قالت الناس

هيي روحي لأبوكي قوليلو

هيي واحنا خواتم ذهب والناس لباسي[4].

---

[1] - مقابلة شخصية: نجيبة الصيفي، تل.

[2] - من ذاكرة الباحثة.

[3] - مقابلة شخصية: كريمة سماعنة، بيت إيبا، 80 سنة، 29 -12 -2015.

[4]مقابلة شخصية: نفسه.

ثم تتقدم النساء الأخريات وينزلن لساحة الرقص ويغنين مهنئات أم العريس بقولهن:

وين إمك يا عريس تمني أهنيها تا نرقص ونغني في علاليها

وين إمك يا عريس يا بوالكرافة تا نرقص ونغني جوا المضافة

وين إمك يا عريس يا بو شبرية تا نرقص ونغني جوا العلية

وين إمك يا عريس يا بو سيجارة تا نرقص ونغني جوا العمارة

وين إمك يا عريس يا بو اللوندة تا نرقص ونغني جوا البرندة

وين إمك يا عريس يا بو البنطلون تا نرقص ونغني جوات الصالون[1].

وما العليّة، والبرندة، والصالون، والمضافة إلا دلالة واضحة على مكانة أم العريس الاجتماعية والمادية، فنحن لا نجدهن إلا في بيوت الأغنياء قديما.

تقترب والدة العريس من منصة العروسين وتحرص على ضرب رأسيهما بعضهما ببعض، كما تعمد أيضا إلى شبك يده بيدها تيمنا بأن يبقيا متشابكين ببعضهما مدى الحياة، وهذا تقليد لم يعرف في الريف الفلسطيني فحسب؛ وإنما انتشر بين الشعوب البدائية القديمة، فهو من أهم مراسم الزواج عند الشعوب الهند أوروبية ويرمز إلى توثيق الزواج وأن الزوجين أصبحا جسدا واحدا، رأسه هو رأسها ويده يدها، وفي عقود الزواج كافة عند العديد من الشعوب يعد عقد اليدين إبراما لعقد الزواج[2]، ومن طقوس الزواج قديما أن يأكل العروسان من الصحن نفسه، أو يشربان من الكأس نفسه، وهي عادة وصلت إلينا من قدماء الرومان الذين يقتسمون كعكة واحدة بين العروسين[3]، وما زال هذا الطقس حاضرا في أيامنا هذه.

زفة العريس وحمامه:

يتقدم أحد رجال القرية بدعوة العريس للحمام في بيته، فمن الطقوس الشائعة في ريف نابلس، يذهب العريس إلى بيت الداعي من أجل الإستحمام ويتزين هناك وسط فرحة عارمة من

---

[1] - مقابلة شخصية: فاطمة حمادنة، عصيرة الشمالية.

[2] - انظر: مارك: **موسوعة تاريخ الزواج**، ص 255.

[3] - انظر: مارك: **موسوعة تاريخ الزواج**، ، 256.

أصدقائه الذين يغنون ويرقصون له، فإذا ما انتهى العريس من حمامه وزينته، يبدأ الرجال بضربه بالعصي والكرابيج حتى تذهب خيفته ورهبته من الزواج على حد قول الحاج الصيفي و السلوادي والحاج أبو عيشة من روجيب[1].

ويبدأ الحدى بالغناء ويردد كلامه المشاركون في الزفة ويصحب ذلك التصفيق الذي يتناسب مع الغناء، ويمتطي العريس الحصان الذي أعد له ويحمل الشمسية المزركشة بألوان جميلة ملفته ومناديل الخرز[2]، ويبدأ الشباب بالغناء فيقولون:

طلع الزين من الحمام   الله واسم الله عليه
ويا بو حطة والعقال   من وين صايد هالغزال
نيالك يا بو حطة   من وين صايد هالبطة
و يا إم ثوب مطرزتيه   حطيتي البلاوي فيه
حطيتي البلاوي فيه   وعلى جوزك خبيتيه
ويوم الزفة أطلعتيه   ويوم الزفة اطلعتيه
يا حلالي يا مالي   يا حلالي يا مالي[3]

وهنا إشارة إلى الزي الشعبي الفلسطيني الذي يُرتدى في وقت الزفة، العريس يرتدي الحطة والعقال والنساء يرتدين الثوب المطرز الذي يفصلنه خصيصا ليوم الزفة.

ويغني أيضا:

طالع من الحمام بيده ظمة ورود
نادوله ع عمامه يطخوله بالبارود
طالع من الحمام ريته يتهنى

---

[1] - مقابلات مع الشخصيات المذكورة.

[2] - انظر: أبحاث و وقائع المؤتمر الثاني للتراث الشعبي الفلسطيني في القدس: **التراث الشعبي الفلسطيني في القدس الشريف؛" *موسوعةالتراث الفلسطيني***، العدد الثاني، 2009، ص 68.

[3] - مقابلة شخصية: علي الصيفي، تل.

نادوله ع حبابه العريس بستنى
طالع من الحمام وامه ترضى عليه
واسحجوا للعريس واصحابه حوليه
طالع من الحمام بيده ظمة ورد
نادوله ع خواله يطخوله بالفرد
ما قلتلك يا إمو طلي وشوفي
لابس تحت البدلة قميص الشوفة
ما قلتلك يا اختو طلي وتعالي
لابس تحت البدلة قميص الغالي[1].

بينما وجدت الباحثة أن العريس في القرى الملاصقة لمدينة نابلس، كقرية تل و بيت وزن وبيت إيبا، يذهب للاستحمام في حمامات السمرا في نابلس، ويرافقه شباب القرية بالغناء والرقص أيضا، فهذا علي الصيفي يقول: " أنا اتجوزت مرتين وفي المرتين بقوا يوخذوني يحمموني في حمامات السمرا في نابلس"[2]

بعد ذلك يمشي العريس في موكب مليء بالغناء والرقص، ويزف في شوارع القرية على الخيل، وتمشي النساء في تلك الزفة وتغني وتهاهي وترقص فرحا بالعريس، يمشي المشاركون في الزفة مشيا بطيئا على شكل صفين متقابلين ويغنون أغاني الفخر والحماسة مثل [3]:

عَريسنِا زين الشباب   زِين الشَباب عَرِيسنا
بارودنِا يِقدَح لَهَب   يِقدَح لَهَب بارودنِا
يا بنيَّةٍ يا اللي في الشُباك   طُلي وشوفي خيولنِا
وانتي هواكي في اللبس   واحنا هوانا سيوفنا

---

[1] - مقابلة شخصية: سليم عبد الكريم، ياصيد.
[2] - مقابلة شخصية: علي الصيفي، تل.
[3] - غوشة، صبحي سعد الدين: **الأغاني الشعبية الفلسطينية** ، ص 126.

عدونا وسط المراح وخيولنا داست عليه
كبيرنا كسب الناموس حريمنا تغني عليه
يلي إنت قاصد حربنا من حربنا وش تستفيد
ما عندنا إلا المجوهر والبزر يقدح بالحديد
يا رصاصنا لَسع العَقارِب جَريحَنا مالو دَوا
عَريسنِا عَريسنِا شَيخ المَشايخ عَريسنِا
عريسنا واحنا فداك بسيوفا نِذبَح عِداك[1].

إذ يتفاخر الرجال في الزفة بعددهم وقوتهم وبارودهم الذي يرافق الزفات، إذ كان شائعا في العرس الفلسطيني ضرب الرصاص والبارود في الأعراس، لكن في الوقت الحاضر تلاشت هذه الظاهرة لكثرة الحوادث والإصابات التي نتجت عنها.

وهناك طقس يتبعه الناس في ريف نابلس، وهو طقس الزرافة، وهي خشبة أو عصاة طويلة يلبسونها ثياب امرأة، يحملها أحدهم ويرقص بها قائلا "حابس لابس" وكان يطلق الرجال الآخرون الرصاص في الهواء[2]، وأضافت الحاجة نجمة الموسى من بيتا: "الزرافة هي مذراه بحطوا عليها من فوق رغيف خبز مدور وبحطولها عنين وثم وبمكجوهاوبلبسوها أواعي وبصيروا يرقصوا فيها" [3] وقد يعود هذا الطقس إلى عشتار إله الخصوبة والإنجاب، ففي العصور القديمة استخدمت دمى أنثوية صغيرة وخفيفة الحمل في شعائر طقسية للخصوبة[4]، وخلال الزفة يتلقى العريس النقوط من الرجال، ويشير الحاج الصيفي أن النقوط قديما كان

---

[1] -علوش، **موسى: الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص 127

[2] - الجاغوب، محمد عبد الرحمن: **فلكلور من قرية بيتا" إرشيف الفلكلور الفلسطيني"** ، ج 7، مكتبة بلدية نابلس، 1999، ص 95

[3] - مقابلة شخصية: فاطمة الجبالي، بيتا.

[4] - السواح، فراس: **دين الإنسان**، ص 157.

نادرا، وقيمته قليلة[1] على العكس من وقتنا الحاضر الذي أصبح فيه نقوط العريس سد دين بين الناس، فمن نقط فلان مبلغ قدره كذا، يجب على فلان أن ينقطه أو ينقط ابنه نفس المبلغ[2]

أثناء موكب العريس يردد الرجال أغاني الزفة المختلفة في مواضيعها ومنها:

عَريسِنا زِين الشباب　　زين الشباب عَريسنا

عريسنا عنتر عبس　　عنتر عبس عريسنا

عريسنا مبارك عرسك　　عكسر والضابط أمامك

العريس زين وذكره زين　　أبو سرور كحيل العين[3].

وما استخدام لفظة عنتر، وعبس، وعسكر، وضابط إلا لتكون رمزا للهيبة والقوة.

ويغني آخر:

مبارك عِرسَك يا عَريس　　ابها الساعة الرُحمانية

مبارك عرس العريس　　مبارح فصلنا العريس

يا عريس لا تِهتَم　　وحنا شَرايين الدم

انت المَلِك واحنا الشَعِب　　ضيوف مع مَحَليّة

مبارك عرسك يا عريس　　ابها الساعة الرحمانية

يا هالعاريس المبارك　　ما فيه ولا خسارة

الله والحامي الله　　الله والحامي الله

نيخ يا جملنا نيخ

جملنا امحمل بطيخ

في حضن الحلوة تنام

---

[1] - مقابلة شخصية: علي أسعد الصيفي، تل.

[2] - مقابلة شخصية: عبد الجبار شايب، اجنسنيا.

[3] - مقابلة شخصية: أبو وائل، روجيب.

نيخ يا جملنا نيخ

جملنا محمل تفاح

أخذت قلبي والمفتاح[1].

نلاحظ أن هذه الأغنية فيها ذكر للجمل، لعل هذا يعود إلى طقس الجمل المزين الذي يرقص أمام زفة العريس في الريف الفلسطيني قديما، أو قد يعود إلى الهودج الذي تزف العروس فيه من بيت والدها إلى بيت زوجها[2] وقد تحدثنا عنه سابقا.

تشارك النساء في زفة العريس، تمشي ببطئ خلف الرجال ويغنين أغاني الحماسة لتشجيع الرجال فيقلن:

ديري رجالك قدامك عصيرية	وأنا رجالي قدامي ألف ومية
ديري رجالك قدامك يا ام المنديل	وأنا رجالي قدامي قناديل
ديري رجالك قدامك يا الحباس	وانا رجالي قدامي برفعوا الراس
ديري رجالك قدامك يا ام الذهبان	وانا رجالي قدامي ملا عمان
ديري رجالك قدامك يا ام الجكيت	وانا رجالي قدامي ملا الكويت
ديري رجالك قدامك يا ام الحطة	وانا رجالي قدامي ع المحطة

ثم تحرص أم العريس أن ترش الملح على العريس لحمايته من الحسد والعين، وقد تحدثنا عن دور الملح في التبخير ودرئ الحسد، ورأيتُ طقس غريب خلال زفة أوسط إخوتي، رأيت إحدى عماتي تمسك إبرة بدون خيط وتغرزها في طرف بدلته وكأنها تخيطها، وعندما سألتها عن السبب، قالت لي: " عشان عين الحساد تنخزك مثل خزوك الجكيت".

ومن الأغاني التي ترددها النساء في الزفة أيضا:

---

[1] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص 134.

[2] - انظر: المبيض، سليم عرفات: **الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني**، المكتبة المصرية للكتـــاب، القـــاهرة، 1999، ص 215.

رشولي ع كزاز الدار أحلى ريحة   زفتك يا فلان في العصر والله مليحة

رشولي ع كزاز الدار رشولي مية   زفتك يا فلان هذا اليوم والها هية

رشولي ذيال الدار رشولي أحلى العطور   زفتك يا فلان الظهر كلها نور.

وتغني أخريات:

مَحلّى حمام الدار مَحلّى زَغاليله   مَحلّى العَريس اليوم وامه تغنيلو

مَحلّى حَمَام الدار محلى زغاليله   فلان على الفرس تفرحله خواته

مَحلّى حَمَام الدار مَحلّى عِشُه العالي   فلان عَ الفَرَس وجبهته تلالي.

والحمام في الثقافة الشعبية يرمز إلى الحنان والألفة والسلام والحب، كما يرمز إلى الرفعة والعلو لأنه لا يبني عشه إلا في الأماكن المرتفعة، وقد يكون إقترانه بإسم العريس فألاً حسنا؛ لينجب كثيرا مثل الحمام ذات القدرة العالية على التفريخ والتكاثر.

وتغني زكية مشاقي:

مَرَق عَريسنا من الحارَة مَرَق   والعُنق شبِرين هيك الله خلق

مَرَق فلان من الحارة عاريس   والعُنق شبرين من فوق القميص

مَرق يا فلان من الحارة وسيم   والعنق شبرين وهيك التَقاسيم

مرق يا فلان من الحارة في دلال   والعنق شبرين و اخذتو بالحَلال

مرق يا فلان من الحارة بِريحَة   والعنق شبرين واخذ المَليحَة[1]

بعد الانتهاء من الزفة، يذهب الناس بصحبة العريس إلى مكان واسع أعد فيه وليمة العرس، يكون العريس قد حضر الذبائح قبل بيوم، يذبح العريس من خروفين إلى ثلاثة خرفان لأن الناس كما قالت لنا سميرة صلاحات: " بقوا قلال وعددهم شوية"[2]، ويقدم الطعام للمدعوين،

---

[1] - مقابلة شخصية: زكية مشاقي، ياصيد.

[2] - مقابلة شخصية: سميرة صلاحات، الباذان.

وتمتد الولائم وتقدم العصائر، وكانت نساء القرية تتولى طهي الطعام وتحضيره، وتبدأ أم العريس بالتحضير لذلك قبل يوم أو يومين، وتوزع الطحين على نساء القرية حتى يعجنه ويخبزنه لها، لكن العائلات الميسورة لم ترض بالطحين وإنما تحضر العجين والخبز من طحينهم، وفي صباح يوم العرس تتوافد نساء القرية كافة مصطحبة معها الطناجر والصواني الخاصة في الطهي إلى بيت أهل العريس حيث يعد الطعام، وتشارك في إعداده، وتقوم أم العريس بتوزيع ما تبقى من طعام العرس على النساء اللواتي شاركنها في طهيه[1]، ويبدوا أن ظاهرة إعداد طعام العرس كانت متواجدة في أقدم العصور كالعصر العباسي، فقد وردنا عن إسماعيل بن يسار أن والده كان يصنع طعام العرس ويبيعه، وكان يشتريه منه من أراد التعريس[2].

طقوس ليلة الدخلة وصباحية العروس:

وضحت لنا كثير من كبيرات السن أن الزوج في الريف الفلسطيني النابلسي لم ير زوجته إلا ليلة الدخلة، تقول إحداهن: " بقاش العريس يشوف عروسته إلا لما يدخل عليها"[3] ، لذلك تجد العروس أن ليلة الدخلة أمر شديد الصعوبة عليها لجهلها بما سيحدث تلك الليلة " بقيناش نعرف لا عن دخلة ولا عن غيره، تروح الوحدة لجوزها مثل الهبلة مش دارية وين الله حاططها"[4]، والناس بشكل عام تحرص على عفة البنت وطهارتها، لذلك تذهب أم العروس وقريباتها مع بنتها ليطلعن بنفسهن على بياض شرفها، لذلك يستخدم الزوج قطعة قماش بيضاء اللون ليسيل دم عروسه عليها كما قالت الحاجة أمينة " وبستخدموا قطعة قماش بيظا عشان بياظ العار"[5] وينتظر أهل العروس والعريس خارج غرفتهما لخروج العريس وتبشيرهم بفحولته و بياض شرف

---

[1] - مقابلة شخصية: نجمة الموسى، بيتا.

[2] - الأصبهاني: **الأغاني لأبي فرج الأصبهاني**، ج4، ص 400.

[3] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[4] - مقابلة شخصية: أمينة غزاوي، دير شرف.

[5] - مقابلة شخصية: نفسه.

زوجته، وما أن يخرج العريس ملوحا بقطعة القماش البيضاء التي تحمل دم بكارة زوجته انطلقت الأغاني والزغاريد واطلقت العيارات النارية ابتهاجا بذلك.

ومن عادات ليلة الدخلة أيضا، تسمية العريس ببسم الله الرحمن الرحيم قبل فض بكارة زوجته، فمن طرائفهم أن الطفل الشقي كثير الحركة يقولون عنه " أبوه مش مسمي" كنوع من النكتة والمزاح، وتقول الحاجة أمينة عن ذلك: " الزلام بقوا يسموا زمان قبل أخذ نسوانهم، وفي منهم بقوا يصلوا ركعتين، أما ولادة اليوم لا بسموا ولا بصلوا ولا بعملوا إشي بقول العريس جيبوها بلا حنة أنا رجال ومستعجل، عشان هيك بطلعوا جيل هلأيام قرود وفاشلين يا ستي"[1].

وكانت تحرص أم العريس على تزيين غرفة العرسان الجدد بالورود والشموع، تقول أمنة: " بقوا يحطوا شمع بالغرفة تبعت العرسان، وإذا العريس هو اللي طفى الشمعة ببقى هو المسيطر ع مرته، أما إذا هي طفت الشمعة بتظل طول عمرها مسيطرة عليه وتحت خوتها"[2].

تحرص بعض الشعوب على طهارة الفتاة وعفتها التي لم تكن إلا بسلامة غشاء بكارتها كما ذكرت الباحثة سابقا، لكن قد تختلف نظرة الشعوب الأخرى لذلك الغشاء؛ فمنهم من لا يأبهون له ولا يحتفلون به، بل قد يفضلون الزواج من امرأة فضت بكارتها وحملت لأنها مجربة ومن المؤكد أنها قادرة على الزواج والإنجاب فهي مخصبة وستكون سببا لتكاثر البشر[3]، وفي الطقوس البابلية يعد فقدان العذرية شيء ضروري لأنه تمهيد للزواج[4]، وكن بنات قبرص يمارسن البغاء لتأمين المال الضروري لزواجهن ولتقديم القرابين لفينوس، فكن يجلسن على أرصفة الطريق ليرمي أحد المارة قطعة نقود أمامها، والرجل الذي يرمي لها النقود تذهب معه لممارسة البغاء[5].

---

[1]مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[2] - مقابلة شخصية: نفسه.

[3] - مارك: **موسوعة تاريخ الزواج**، ص 184.

[4] - انظر: نفسه، ص185.

[5] - انظر: نفسه، ص 187.

وفي أوروبا كان يعهد إلى رجال الدين بفض بكارة العذارى، وكان المخصيون من رجال الدين هم من يقومون بهذه المهمة، والمخصي عند المسيحين يقوم بعملية الجماع كاملة دون الإحبال، فكان الناس آنذاك يفضلون هذه الفئة من رجال الدين لكي لا تحمل بناتهم من رهبانهم، وفي روما كانت بكارة العذارى تفض على تمثالبريابوس أو توتونوس، فهم يعتقدون أن وضع العذارى فوق عضو توتونوس سيجعلهن سعيدات[1].

الشعوب الأخرى كاليهود مثلا، منعوا الزنا للمتزوجات وغير المتزوجات ووضعوا عقوبات لكل زانية، وأباحوا للزوج طلاق زوجته في حال ثبت عليها الزنا[2]، والزنا في الديانة المسيحية الأرثوذكسية جريمة جنائية يعاقب عليها الشرع والقانون[3] والإسلام جعل للزنا عقوبة، فعقوبة غير المتزوجة تقتصر على الجلد مائة جلدة، وعقوبة المتزوجة مائة جلدة والرجم بالحجارة، والرجل الزاني يجلد وينفى إلى بلد آخر[4]. وكان من عادة السومريين إذا عرفوا زاني وزانية ألقوهما بالماء بعد أن يوثقا معا[5].

صباحية العروس:

في صباح ليلة الدخلة، ينتظر أهل العروسين العريس لكي يفتح الباب، وتستقبله أمه بالزغاريد والمباركة، ويهنئهم بقولهم: " صباحية مباركة"، وتكون أم العروس بالتحديد قد حضرت للعرسان وجبة فطور دسمة، مكونة في أغلب الحالات من العسل و كبدة الخرفان التي ذبحت وأعدت لولائم العرس، في حين تكون أم العريس وخواته قد نظفن البيت تنظيفا كاملا استعدادا لاستقبال المهنئين[6].

---

[1] - انظر: مارك: **موسوعة تاريخ الزواج** ، ص 190 - 194.

[2] - انظر: سرور، محمد سكري: **نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية**، ص308.

[3] - انظر: نفسه، ص 310.

[4] - انظر: عودة، عبد القادر: **التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي**، ج1، دار الكاتب العربي، بيروت، ص 384.

[5] - انظر: الماجدي، خزعل: **متون سومر**، ص270.

[6] - انظر: غوشة، صبحي سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القرن العشرين**، ص 128.

وقالت لنا الحاجة فاطمة أبو عيشة: " بقت الوحدة تروح ثاني يوم عرسها ع العين تعبي مية، إحنا في روجيب بقت العروس تروح ع عين مية عند حوارة، عشان يشوفنها النسوان هيك، وبقين قرابات العريس يتجمعن عندها ويصرن يزعقن، هييي حوطتك بالله وحدة، هيي والثانية ثنتين، هيي والثالثة خرزة زرقا، هيي وترد عنك العين،خوف ما حدا يصيبها بالعين"[1]، وقد أشارت الباحثة نضال طه في دراستها إلى أن طقس ذهاب العروس إلى العين هو طقس قديم عرف في الديانات السحرية القديمة والذي يعد ذهاب العروس إلى النبعة لتملأ الجرة هي ممارسة سحرية تتمنى من خلالها العروس أن يمتلأ بطنها بجنين، فالماء الذي تحمله له القدرة على منح حياة جديدة لمولود جديد[2].

وفي قرى غرب نابلس، ترتدي العروس أجمل ثيابها لمدة ثلاثة أيام، وتبقى مزينة تنتظر المباركين الذين يأتون بالنقوط والهدايا ويقدمونها إلى العروس، فالبعض يحضر أدوات مطبخ أو فناجين أو مزهريات[3] وما زالت هذه العادة إلى يومنا هذا، حيث حضرت الباحثة مباركة عروس في قرية نصف جبيل، ورأت العروس مرتدية حينئذ فستانا شبيه لفستان خطبتها، وامتدت المباركة لمدة ثلاثة أيام، استعرضت بهن العروس ثيابها كافة التي اكتست بهن قبل العرس.

أما قرى شمال نابلس كياصيد وعصيرة الشمالية، يبدأ استقبال المهنئين بعد أسبوع من الزواج، يذهب أهل العروس إلى بيتها وتسمى هذه العادة ب (الأسبوع) ، يحمل فيه الأهل الهدايا من أثاث وحلويات و فواكه، ويرافق أهل العروس أقاربهم و أصدقائهم جميعا الذين يقدمون النقوط والهدايا أيضا.

وفي الأسبوع الثاني، تذهب العروس إلى بيت أهلها لأول مرة بعد أن تزوجت، يذهب معها زوجها وعائلتها الجديدة وكبار عائلة العريس، تحمل معها الهدايا والحلويات والفواكه هي

---

[1] - مقابلة شخصية: فاطمة أبو عيشة، روجيب.

[2] - انظر: طه، نضال: **الطقوس والمعتقدات الشعبية الاجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله**، ص276.

[33] - انظر: غوشة، صبحي سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القرن العشرين** ،ص 128.

الأخرى، بعد ذلك تهدأ حياة العرسان الجدد ويعودان إلى منزل هادئ ليمارسا حياتهما الخاصة بهما ضمن باقي أفراد العائلة وتدور دورة الحياة[1].

وتختم الحاجة أمينة حديثها مع الباحثة: " الحياة يا ستي بقت أحسن والناس يحبوا بعظ والحياة بسيطة وبقوا يتحملوا مزح بعظهم، وإم العريس تتحمل ضغوط عرس ابنها وتتحمل مزح النسوان معها لما بقين يغنيننلها، يا اجرين الصوصة يا ام العريس يا اجرين الصوصة ياهي

من يومك مغصوصة يا ام العريس من يومك مغصوصة يا هي

يا اجرين القرقعة يا ام العريس يا اجرين القرقعة يا هي

من يومك مقرقعة يا ام العريس من يومك مقرقعة يا هي

واليوم يا بنتي أهل العروس بفرحوا بالعرس أكثر من أهل العريس، لأنه العرس ببقى كله أغنية لام العروس واغنية لصاحبات العروس ولخوات العروس[2]"

---

[1] - انظر: غوشة، صبحي سعد الدين: **الحياة الاجتماعية في القرن العشرين**، ص 129.

[2] - مقابلة شخصية: أمينة غزاوي، دير شرف.

الفصل الثالث

طقوس الموت وعاداته في ريف نابلس

طقوس الموت وعاداته في ريف نابلس.

الموت في الفكر الإنساني:

شغل الإنسان منذ الأزل بظاهرة الموت، فكانت التساؤلات عنه من أولى الأسئلة الملحة التي واجهت البشرية[1]، وحاول الإنسان جاهدا البحث عن الخلود كما فعل جلجامش الذي جاب البلاد وصعد الجبال، وواجه المشقة، والرعب، والتعب؛ بحثا عن نبتة الخلود؛ لأن الموت فجعه في أعز أصدقائه (أنكيدو)، وخاف أن يكون مصيره الموت هو الآخر فقال:

إذا ما مت أفلا يكون مصيري مثل أنكيدو؟

ملك الحزن والأسى روحي

وها أنا ذا أهيم في القفار والبراري خائفا من الموت[2].

فالخوف من الموت هي فطرة جُبل عليها الإنسان، فهو خوف الانتقال من واقع معلوم وعالم تعيش فيه نعرفه جيدا إلى عالم مجهول لا نعرف عنه شيئاً [3] والخوف من تحول الإنسان إلى تراب فهذا جلجامش يقول:

لقد أفزعني الموت حتى همت على وجهي في البراري

فالنازلة التي حلت بصديقي قد جثمت بثقلها على صدري

وأقضت مضجعي حتى همت مطوفا في البراري

إذ كيف أهدئ ويقر لي قرار، وأن صديقي الذي أحببت قد صار ترابا

وأنا ألا سأكون مثله فأهجع هجعة لا أنهض بعدها

---

[1] - انظر: كاسيرر، آرنست: **الدولة والأسطورة**، ت: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامة للكتـــاب، 1975، ص 73.

[2] - باقر، طه: **ملحمة جلجامش**" أوديسة العراق الخالدة" ، نسخة الكترونية، ص 74.

[3] - الماجدي، خزعل : **مغامرة العقل الأولى**، ص 65

أبد الدهر؟ [1].

وفي موضع آخر وضحت لنا ملحمة جلجامش قسوة الموت واستحالة الخلود على الأرض:

قال أوتو- نبشتم لجلجامش:

إن الموت قاس لا يرحم

متى بنينا بيتا يقوم للأبد؟

متى ختمنا عقدا يدوم إلى الأبد؟

وهل تبقى البغضاء في الأرض إلى الأبد؟

وهل يرتفع النهر ويأتي بالفضيان على الدوام؟

والفراشة لا تكاد تخرج من شرنقتها فتبصر وجه الشمس حتى يحل أجلها

ولم يكن دوام وخلود منذ القدم.[2]

فشل جلجامش كما فشل (أدابا) في الحصول على الخلود بالأرض، فجلجامش خسر نبتة الخلود التي أكلتها الأفعى عندما خرجت بعد أن بحث عنها مطولا:

وبعد ثلاثين ساعة مضاعفة توقفا ليمضيا الليل

وبعد ذلك أبصر جلجامش بركة ماء ماؤها بارد

فنزل فيها ليغتسل في مائها.

فشمت حية صل عرف النبات

وخرجت من الماء واختطفت النبات

وفي عودتها نزعت عنها جلدها

---

[1] - الماجدي، خزعل : **مغامرة العقل الأولى** ، ص 86.

[2] - باقر، طه: **ملحمة جلجامش**، ص 87.

فجلس جلجامش عند ذاك وأخذ يبكي.[1]

أما (أدابا) الذي أضاع فرصة حصوله على الخلود عندما أطاع نصائح والده (إيا) بأن لا يأكل ما يقدم له حارسي باب السماء التي كان متجها إليها قائلا له:

وعندما يقدمون لك خبز الموت فلا تأكله

وعندما يقدمون لك شراب الموت

فلا تشربه

نصيحتي هذه الذي قدمتها لك لا تهملها

والكلمات التي حدثتك بها تمسك بها بقوة

نلاحظ أن (أدابا) أطاع نصيحة والده طاعة عمياء عندما قدم له نصيحة مغلوطة، عند ذلك نظر(آنو) إله السماء إليه وقال ضاحكا:

وحسنا أدبا لماذا لا تأكل ولا تشرب

إذن لن تحصل على الحياة الخالدة[2].

فالأساطير القديمة صورت سنة الموت، فكان الصراع بين الحياة والموت سمة بارزة من سمات هذه الأساطير، وقد ظهر فيها أيضا الصراع بين آلهة الموت وآلهة الحياة، فهناك صراع (بعل) مع (موت) في الأسطورة الكنعانية، و(أوزريس) مع أخيه (ست) في الأسطورة المصرية، و(أهورامازدا) مع (أهريمان) في الأسطورة الزرادشتية[3]، كما صورت الأساطير البابلية عالم الموت فوصفته عالما موحشا مقبضا رهيبا مليئا بكل المفزعات من وحوش وأفاع يعيش فيه الإنسان على الطين والرغام، ولا فكاك من هذا المصير لأي ميت أيا كانت مكانته[4].

---

[1] - باقر، طه: **ملحمة جلجامش** ، ص 103.

[2] - انظر: عزيز، كارم محمود: **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم** ،دار الحصاد، دمــشق، 1990، ص 151 -152.

[3] - انظر: الديك، إحسان: **صدى عشتار في الشعر الجاهلي** "***مجلة جامعة النجاح للأبحاث***" م 15، 2001، ص 144.

[4] - القمني، سيد: **الأسطورة والتراث**، ط1، المركز المصري لبحوث الحضارة، القاهرة، 1999، ص73.

وأطلق اليهود في أساطيرهم على ملك الموت أو زعيم الهاوية السفلي مصطلح (ديا بليس) واعتقدوا أنه إله يأخذ أرواح الناس، فيصبح الموت مصيرهم جميعا سواء أكان الفرد صالحا أو طالحا، واعتقدوا أيضا أن الموت أعظم شر يمكن أن يصيب الإنسان، وبذلك يعد ملك الموت لديهم إلها للشر ورمزا له[1]، والحية التي حملت إبليس بثمها وأدخلته الجنة، فوسوس لحواء بأكل ثمار الشجرة التي منع الله عز وجل آدم وحواء من أكلها، عاقبها الله سبحانه وتعالى بخمسة أشياء من بينها جعلها تموت كل شتاء (تفسير الأساطير للبيات الشتوي)، وجعلها عدوة للإنسان و الإنسان عدو لها حينما يراها يقتلها فتموت[2].

لم يقتصر تصوير الموت على الأساطير فحسب؛ بل نجد أن الإنسان شغل به في كل الأزمان،

وتحدثت عنه الديانات و الشعوب كافة التي أيقنت أن الموت حتمية لا يمكن الفرار منه، فلو نظرنا إلى الدين الإسلامي لوجدنا أن القرآن الكريم زاخرا بالآيات التي ذكرت الموت، مثل قوله تعالى: " أينما تكونوا يدرككم الموت"[3]، وقوله: " كل نفس ذائقة الموت"[4]، أما في السنة النبوية نجد الرسول محمد عليه السلام يصور هول الموت على الإنسان فقال: " ما رأيت منظرا فظيعا إلا والموت أفظع منه"[5].

وفي الديانة المسيحية نجد أقوال كثيرة عن حتمية الموت منها: " لا تشمت بموت أحد، إنا بأجمعنا نموت"[6]، والديانات الهندية تحدثت عن الموت كذلك، فقد وردت عبارات عدة في الديانة الكنفوشية عنه ومنها: " عندما يشرف العصفور على الموت تصبح زقزقته حزينة، وعندما

---

[1] - انظر: الجوزو، مصطفى: **من الأساطير العربية والخرافات**، دار الطليعة، بيروت، 1980، ص 21.

[2] - انظر: النيسبوري، أبو إسحاق أحمد: **قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس**، المكتبة الثقافية، بيــروت، ص 30 - 34.

[3] - القرآن الكريم: سورة لنساء، آية 87.

[4] - نفسه، سورة الأنبياء، آية 35.

[5] - البيهقي : **السنن الكبرى**، ص332.

[6] - ناصيف، إميل: **أروع ما قيل في الموت**، ط1، دار الجيل، بيروت، 1995، ص 13.

يشرف الإنسان على الموت ترتدي أقواله طابع الفضيلة" ، وقيل في الديانة الزرادشتية: " إذا جاء الموت بعد الظهر فإن البرء قد يأتي في المساء، وإذا الموت في المساء فقد يأتي البرء في الصباح"[1].

جاء ذكر الموت في الأمثال العربية أيضا ومنها:

- الموت السجيح(السهل والهين)، خير من الحياة الذميمة.
- **احرص على الموت توهب لك الحياة.**
- **ذكر الموت جلاء القلوب**[2]

كما تحدثت عنه الأمثال العالمية ، ومنها:

- **الموت يهزأ بالطبيب(مثل انجليزي).**
- **تستمد الحياة قيمتها من الموت(مثل هندي).**
- **الموت أكبر من أي جبل، وأصغر من أي شعرة في آن معا(مثل ياباني).**[3]
- **الموت جمل يركع أمام كل الأبواب(مثل تركي).**
- **الموت هو صديق المشرف على الموت(مثل دنمركي)**[4]**.**

ولو تصفحنا معجم الحكم والأمثال للنيسابوري لوجدناه زاخرا بالحكم التي تحدثت عن الموت، ومما ورد فيه قول المعري:

---

[1] - ناصيف، إميل: **أروع ما قيل في الموت** ، ص 15.
[2] - نفسه، ص19.
[3] - نفسه ، ص21.
[4] - نفسه، ص 22.

النفسُ إن لَم تَذق موتاً مشارفة   إلا تحم بقدرٍ يومها يحمُ

وقوله:

والترابُ مثوايَ ومَثواهمُ   وَما رأينا أحداً منهُ قام[1]

أما المتنبي فيقول:

وَمَا الموتُ إلا سَارِقٌ دَق شَخصَهُ   يَصُولُ بِلا كَف وَيَسعَى بِلا رجل[2].

وقد تحدث عنه أيضا الشعراء المحدثون أمثال أحمد شوقي فقال:

رايةُ الموت فوقَ هامة العِباد   نَشرَتها كتائِب الآباد

وبكأسين من حياةٍ وموت   شربَ العالمون من عهدٍ وعاد[3].

ولو نظرنا إلى فكرة الموت عند الفلسطينين بعامة وفي الريف النابلسي بخاصة لرأينا أنها مقاربة إلى نظرة الشعوب الأخرى له، ولوجدنا أيضاً أنها فكرة تناقلت إليهم جيل بعد جيلاً من أجدادهم الكنعانيين الذين يرون أن الموت استراحة للإنسان بعد حياة مليئة بالآلام[4]، فقد أجابت إحدى كبيرات السن في ريف نابلس عند سؤال الباحثة لها عن رأيها بالموت أجابت بدون تردد: " اللي بموت بتريح"[5]، بالإضافة إلى اتباعهم طقوس معينة عند موت أحدهم تبينت للباحثة أن لها جذور عند الكنعاننين الذين عبدو إله الموت[6]، بالإضافة إلى جذور من الحضارات السومرية والبابلية والفرعونية، فالموت بالفكر الفلسطيني ليس نهاية الإنسان وإنما هو مرحلة عبور إلى حياة أخرى مثله مثل الولادة والزواج، لكن حياة ما بعد الموت تختلف عن حياة ما بعد الولادة

---

[1] - المعري، أبو العلاء: **لزوم ما لا يلزم**، ج3، طلاس للنشر والتوزيع، دمشق، 1986،ص 1469.

[2] - المتنبي: **الديوان**، تعليق سليم إبراهيم، مكتبة صادر، بيروت، 1926،ص 235.

[3] - صبري، محمد: **الشوقيات المجهولة**، ج1، دار المسيرة، بيروت، 1903، ص 233.

[4] - الماجدي، خزعل: **المعتقدات الكنعانية**، ط1، دار الشروق، الأردن، 2001، ص 263.

[5] - مقابلة شخصية: عائشة مشاقي، ياصيد.

[6] - الماجدي، خزعل: **مغامرة العقل الأولى**، ص111.

والزواج اللذين يجتمع فيهما الجسد مع الروح، بينما حياة ما بعد الموت حياة يبلى فيها الجسد وتخلد فيها الروح ترى وتسمع وتحس ما يدور في عالم الأحياء وسيتم توضيح هذا في ما يأتي.

احتضار الإنسان:

للموت وقت يأتي فيه لا يستطيع أحد تقديمه أو تأخيره، ولا يمكن لأي إنسان أن يتجاوز الأجل الذي حدده الله عز وجل له، وتختلف سكرات الموت من إنسان لآخر في المعتقد الشعبي؛ إن كان إنسانا صالحا لا يلقى عناء في سكرات الموت، على العكس من الإنسان العاصي الذي يبذل جهدا كبيرا في أثناء النزاع[1] تقول لمياء مشاقي: " في ناس بموتوا فجأة وناس بنازعوا وفي منهم بقعدوا يومين ثلاث وهمي ينازعوا بظلوا يسكوا وينقوا (دليل على التألم والأنين) لحد ما تيجي ساعتهم[2]"

وللإنسان علامات تدل على قرب أجل المحتضر، حدثنا عنها الحاج أبو عيشة قال: " بصير وجهو أصفر وبارد وببلشن إجريه يثلجن وبصير ثمه نص فتحة وبصير يخربش بالحكي"[3]، وتقول حنان ظاهر أيضا: " لما مات عمي محمد صار يقولنا وهو ينازع افرشوا الأرظ خلي عمامكم يقعدوا، قلناله أنمي(من هم) عمامنا؟ قال: عمكم مروح وعمكم الراغب وهمي بقوا ميتين الله يرحمهم[4]. فالإنسان عند الاحتضار تنهار قواه، ويعدم المقاومة، وتعتريه السكرات والعبرات، فلا يمكنه الكلام فهو يسمع ولكنه لا يرد، ويختلج قلبه بين ضلوعه فلا تنتظم ضرباته ويصحو ويغفو أحيانا من شدة آلام الموت[5].

وواجب الأشخاص المحيطين بالمريض أن يلقنوه الشهادتين لتكون آخر كلامه، فقد ورد عن الرسول عليه السلام قوله: " لقنوا موتاكم لا إله إلا الله"[6]، كما يجب عليهم إطعامه كل ما

---

[1] - انظر: حسن، الباش: **المعتقدات الشعبية**، ص 105.

[2] - مقابلة شخصية: لمياء محمد، 69 سنة، ياصيد.

[3] - مقابلة شخصية: إبراهيم أبو عيشة، 80 سنة، روجيب.

[4] - مقابلة شخصية: حنان محمد ظاهر، 65 سنة، ياصيد.

-[5] انظر : **أحكام الجنائز**، ملف الكتروني مضغوط، ص 11.
https://quranicarabic.files.wordpress.com/.../doroos-janaiz-copy.**pdf**

[6] - البيهقي: **السنن الكبرى**، ج3، 538.

يشتهيه قبل الموت قالت نجيبة: " لما رحت ع عمان بقى مصطفى أخوي ينازع يا كشيلي، قام قلي يختي بدي رمان من لحمر الكبير، وظلينا ندورله ع رمان لحتى لقيناله في الغور بقت أيامها شهر واحد ، وقبل يصله الرمان صارت روحه تسحرج في زوره و ولادته يا كشيلي بفكروه بلغم بس أنا عرفت إنها هاي روحه وبدها تطلع"[1]، حيث يعتقد الناس أن روح الإنسان عضو في جسمه يصعد إلى المريء عند اقتراب موته وهي التي تسبب له حشرجة وضيق تنفس.

وفي المعتقد الشعبي تتحول الروح إلى طائر أو فراشة جميلة تحوم في بيت الميت كل ليلة خميس تأتي لتطمأن على أحوال من يسكن فيه، فيقال عند رؤية ذلك: " هاي روح فلان" يمنع طردها من البيت أو قتلها، وهذا اعتقاد قديم عند السومريين، إذ تسمى الروح عندهم باسم(كدم) وتتحول هذه الروح إلى كائن آخر بطريقة غامضة إلى مخلوق له ريش وجناحان، يذهب هذا المخلوق إلى العالم الأسفل إذا كانت عملية الدفن طبيعية، أما إن لم تكن طبيعية يبقى هذا الطائر في الأرض يسبب الأذى والمرض للأحياء[2]، ويعتقد الإنسان الجاهلي أن روح الميت أو القتيل تتحول إلى طيرٍ يظل هائما في الأرض بين الأحياء[3]، ويعتقدون أن روح القتيل تبقى ضائعة مشردة في الأرض إذا لما يؤخذ بثأره، قال الأصبع العدواني:

يا عمرو إلا تَدَع شَتمي ومَنقَصَتي   أضرِبك حيثُ تقول الهامة إسقوني[4].

وتردد النساء المجتمعات حول المحتضر العديد من عبارات الندب والحزن على فراقه، منها:

يا بو ولادَك وين رايِح   يا بو الشُدُد والفَلايح
يا بو ولادك وين بِدَك   لقعُد على دربَك واردُك
دربَك حَصَى والليل ظَلَمى

[1] - مقابلة شخصية: نجيبة مشاقي، 70 سنة، ياصيد.
[2] - الماجدي، **بخور الآلهة**، ص 357.
[3] - انظر: النعيمي، أحمد: **الأسطورة في الشعر الجاهلي**، دار سينا للنشر والتوزيع، مصر، 1995، ص 198.
[4] - الضبي، المفضل محمد بن علي:**المفضليات**، تح: عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر، ط6، بيروت، ص163.

مع السَلامة وين رايِح   يا عَنبَر يا مِسك فايِح[1]

وتردد أخريات:

جِبت الدَوا جِبِت الطَبيب   قُلّي عَليلَك ما يطيب

جِبت الدَوا في طَرَف كُمي   هَب الهَوا رَماه مِني[2]

وتخاطب إحدى قريباته الطبيب وتقول له:

داويه يا طَبيب وخُذ لم مالي   لنه يا حكيم سَنَد لعيالي

حَكيم إن داويت فلان   لاعطيك دار وفوقها عِليّة

واعطيك عروس مشَنشَلَشة ومَجلية[3]

نعي الميت:

أول تصرف يقوم به أهل الميت لحظة وفاته هو إغلاق فمه وعينيه، ومن ثم ينقل جثمان الميت إلى مكان واسع بالبيت ليتمكن الأقارب والأصدقاء من رؤيته والتحلق حوله، ويتم وضع الميت على مرتبة أو سرير في وسط المكان ويتم تغطيته بغطاء نظيف، ثم تعلو أصوات النساء بالصريخ والبكاء فينتشر خبر الوفاة بين أبناء القرية، وبهذا يكون تم تشييع خبر وفاته، لكن مع ازدياد عدد الأفراد بالقرى لم تنجح هذه الطريقة في النعي، فما كان من أقارب الميت إلا أن يطلبوا من رجل الدين في القرية لنعيه في مأذنة المسجد، ولنعيه في القرى الأخرى؛ كان مختار القرية يرسل خبر الوفاة مكتوبا في ورقة إلى مخاتير القرى الأخرى[4].

وفي تلك اللحظة تصرخ إحدى قريبات الميت وتقول:

---

[1] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص230

[2] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية** ، ص 228.

[3] - نفسه، ص 234.

[4] - مقابلة شخصية: أسعد علي الصيفي، قرية تل.

لا تخبروا عنه ولا تقولوا عنه مات

عسى إنه يكون مَعزوم عند السَبع باشات

لا تخبروا عنه ولا تِخلفوا النيّة

عسى إنه يكون مَعزوم عِند الأَفندية[1]

يذهب الرجال إلى غرفة أخرى في البيت أو إلى ساحته للاتفاق على ترتيبات الدفن والجنازة والعزاء، بينما تبقى النساء متحلقة حول الجثة مستمرات بالندب والبكاء والصراخ، و تقوم نساء القرية والجيران بمواساتهن مع المحاولة بإبعادهن عن الجثة، وتردد قريبات الميت عبارات النواح والحزن على الميت، فيصفن فيها دمار البيت على فراقه، خاصة إذا كان من كبار العائلة ومن أصحاب الجاه في القرية فيقولن:

انهدي يا بَاب الدار وانهدي   على سبع خَرَج مِنَك ولا رَدِي

يا رايح دار السبع مِتحيّر   القهوة دايرة والكِيف مِتغَيّر

يا رايح ع دارِ السَبِع دونك دون   القَهوة دايرة والكِيف في الغَليون

يا ظيوفهم عَالحيط باتوا   صحاب الكَرَم والجود ماتوا

يا ظيف لا تِعتَب عَلينا

يا ظيوفهُم عالحيط ظَلوا   صحاب الكَرَم والجُود وَلّو

يا ظيف لا تِعتَب عَلينا

طلوا عَلينا مِن بعيد   يا حالنا حالَ العَبيد

ترظو بِنا بالهالحال والا[2].

وهنا إشارة إلى أن الكرم والجود في هذا البيت قد مات مع صاحبه، فـضيوف البيـت يباتون على سطحه لعدم وجود من يكرمهم، كما أن حال أهل البيت المتواجدين فيه قـد تغيـر، واصيبوا بالذل والهوان وأصبح حالهم كحال العبيد.

---

[1] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص 219.

[2] - نفسه، ص 226.

وقد جرت العادة عند المصريين إذا مات أحد المشاهير؛ يطلب مـن شـيوخ المـآذن أن يؤذنوا على المآذن في غير مواعيد الآذان، فيعلم الناس بموت أحد العظمـاء فيتـساءلون عنـه ويهرعون إلى حضور جنازته[1].

تغسيل الميت وجنازته:

في كل قرية من قرى مدينة نابلس شخص متخصص في تغسيل المـوتى وتكفيـنهم، فالرجـال يختص بغسلهم رجل، والنساء تختص بغسيلهن امرأة يطلق عليها " محممة موات"، ففي قرية بيتا امرأة متخصصة بتغسيل النساء عند موتهن اسمها الحاجة (جدعة)، والتي وضحت لنا طريقتهـا في حمام الجثامين فتقول: " أول ما يحطوها ع المغتسل أرشها في ثلاث أباريق ميـة، وبعـدين أقرب عليها أفتشها إذا عليها نجاسة أو لع، بلايفها وبرفعها ثلاث مرات على سـنة رسـول الله، بعدين بنيمها وبليف ظهرها ورقبتها وبخليها نظيفة مثل البفتة، وبعدين بوظيهاوظوء عادي مثـل وظوءالصلاة، وبدير عليها ثلاث أباريق مية، من النقطة البيظا(الكتف الأيمن) والنقطة الحمـرا (الكتف الأيسر) ومن نقطة النفاس (منتصف الجسد) وبقول أشهد أن لا إله إلا الله وبنشفها منيح وبلفها بالكفن[2]"، وتضيف فاطمة: " بقينا زمان منعرفش إنه حرام الميت يلبس إشي مخيط بقينـا قليلات عقل، ولما ماتت اختي لبستها أنا أواعي جداد وثقال مش ملبوسات و لفيناها بلكفـن[3]" و الطريقة نفسها متبعة في حمام الرجال أيضا كما حدثنا الحاج أبو وائل.

وعن ماء تغسيل الميت قال أحدهم: " يجب أن يكون فاترا لأنه في حالات نادرة قـد لا يكون الشخص قد توفى بالفعل، وإنما قد يكون دخل في غيبوبة، وإذا كانت حرارة الماء مرتفعه أو متدنية فقد تؤثر على الجسم"[4]، ويشرف أقارب الميت على تغسيله فيدخل معه إخوتـه وأولاده

[1] - انظر: أمين، أحمد: **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، ص 277.

[2] - مقابلة شخصية: لبيبة علي دويكات، قرية بيتا، 94 سنة.

[3] - مقابلة شخصية: فاطمة أو عيشة، روجيب.

[4] - مقابلة شخصية: محمود صبري حسونة، بيت امرين.

كما قال الحاج أو عيشة: " أنا ساعدت في حمام أبوي وأخوتي الثنين الله يرحمهم"[1]، وقبل وضع الكفن على جسم الميت يجب فركه بالعطور والحناء والغار لأن هذا الجسد سينتقل إلى عالم آخر ويجب أن يقابل ربه طاهرا ونظيفا، تقول الحاجة فاطمة: " الحنا بقينا نحطها ع إيدين وإجـــرين الميت، أختي حطيتلها ع إيديها واجريها بس الحنا تبقاش مجبولة تبقى ناشفة بنلف الحنا بمنـــديل وبنربطه، وبقينا نجيب عطر مخصص يقولوله عطر موات ونرش عليها"[2]، وقد أوجب الإســـلام غسل الميت قبل الدفن، قال عليه السلام في ابنته زينب: " اغسلنها ثلاثا أو خمـــسا أو ســـبعا أو أكثر من ذلك"[3]، ومن الأمور التي يجب أن تراعى بعد غسل الميت خلط مع أخر غسلة له شيء من الطيب أو الكافور[4].

والاغتسال عند السومريين كان طقساً للتقرب من الإله (إنكي) إله الماء والحكمة، فملامسة الماء لجسد الإنسان عندهم كان يعني بمثابة إعادة خلق مطهر لهذا الجسد[5]، وفضل الفراعنة أيضا استخدام العطور والبخور في الجنائز لأن البخور يعمل على تهدئة الأعصاب ووجد في المقابر الفرعونية عدد من المباخر[6]، وكانوا يرسلون أمام الميت طائفة يحملون المباخر وقماقم ماء الورد والعطر، يرشون فيها الواقفين على جوانب الطريق[7]، ويفرشون قبر الميت بالحناء قبل دفنه إذا كان عزيزا أو غنيا[8].

أما عن طقوس الجنازة، فبعد تكفين الميت، يتم وضعه بالنعش بعد أن يفرش بمفارش ومرتبات نظيفة، ويتم تغطيته بشرشف جديد كذلك وهي عادة مستمدة من المصريين القدماء كذلك الذين كانوا يفرشون تحت الميت لحاف أو نحوه، وإذا كان ميتهم من الأغنياء يلفون نعشه

---

[1] - مقابلة شخصية: إبراهيم أبو عيشة، روجيب.

[2] - مقابلة شخصية: فاطمة أبو عيشة، روجيب.

[3] - الألباني، محمد ناصر الدين: **أحكام الجنائز وبدعها**، ط1، مكتبة المعـــارف، الريـــاض، 1992، ص64. و البيهقـــي: **السنن الكبرى**، ج3، ص546.

[4] - نفسه، ص 65.

[5] - الماجدي، خزعل: **متون سومر**، ص311.

[6]انظر: أمين، أحمد: **قاموس العادات والتعابير والتقاليد المصرية**،ص91.

[7] - انظر: نفسه، ص 271.

[8] - نفسه، ص 148.

بقطعة من الحرير أو الكشمير[1] وينقل إلى المسجد، بعد أن يتسابق شبان العائلة على حمل النعش، فإذا كانت الجثة لامرأة؛ لا يحملها إلا المحرمون عليها كأبنائها و أخوتها، وأبناء إخوتها وأخواتها، وبعد خروج الجنازة من البيت تعمد بعض كبيرات السن إلى كسر جرة من الفخار خلفها لكي لا يموت أحد آخر في البيت مرة أخرى[2]، قد يردد الناس في ريف نابلس عبارة " لكسر جرة وراك" عند ممازحة أحدهم لآخر ، كأن تقول الأم لأبنتها: "بس تتجوزي بدي أكسر جرة وراكي" ، وكسر جرة الفخار هي طقس جنائزي مصري فرعوني، فكانوا يكسرون جرة الفخار وراء الميت لكي لا يعود إلى البيت ويضايق الأحياء فيه[3]، وحرصا على عدم موت أحد من أقارب الميت أخوته، كانت أم الميت تمر فوق جثة الميت فقالت الحاجة ندى: " بقت إم الميت تمرق من فوق جثته أو من تحت نعشه عشان يفدي أخوته من بعده "[4]، وفي حالات أخرى تمر زوجته من التحت النعش؛ إشارة منها على أنها قد تكون حامل لكي لا تتهم في شرفها بعد ذلك.

وينقل جثمان الميت إلى المسجد بموكب يشبه موكب زفة العريس، يتقدم فيه الرجال على النساء وتردد فيه النساء عبارات الندب والحزن فتقول:

ما تنعينه يا بنات   يا امات المناديلي
ما تنعين أبو فلان   على ضو القناديلي
فلان في ظلام الليل   كياد الرجاجيلي
ما تنعينه يا زينات   يا امات الشعر الأشقر
ما تنعين فلان   ع ضو القمر الاشعل
خسارة يا فنجان صيني   كاسره فنجان نحاس
وين رحتوا في أبو فلان   قرايبه يا ذهب خاص
غدا في ظلام الليل   كياد العدا والناس

---

[1] - نفسه، ص 148.

[2] - مقابلة شخصية: فاطمة أبو عيشة، روجيب.

[3] - انظر: خزعل، الماجدي: **الدين المصري**، ص 243.

[4] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

حسرتي يا هالقرايب صبحوا عالمقبرة

صبح البحاش يبحش والحريم معفرا

حسرتي ياهالقرايب صابنا اللي صابكم

صابنا فقد الشباب شباب مثل شبابكم[1]

وهنا إشارة إلى وحدة الناس في ريف نابلس بأحزانهم وأفراحهم، فعند موت أحد أفراد القرية؛ يحزن كل سكانها على حزن أهله وأقرابه.

وتقول ندى: " إذا بقى الميت شب صغير يصيرن يقولن:

طلت البارودة والسبع ماطل

يا بوز البارودة من الندى مابتل

طلت البارودة والسبع ما اجاش

يا بوز البارودة من الندى رشراش[2].

اختفت هذه الطقوس في وقتنا الحالي، ولم تعد النساء ترافق الميت في جنازته، و أصبحت سيارة الإسعاف تتقدم موكب الرجال وفي داخلها الميت ومزينة بالورود.

وتقام صلاة الجنازة بالمسجد فيقف الإمام أمام جثة الميت متجها للقبلة ويبدأ بالدعاء للميت بالمغفرة والرحمة فيقول:

الله أكبر الله أكبر ثم يقرأ الفاتحة

الله أكبر الله اكبر ثم يقرأ النصف الأخير من التشهد

الله أكبر الله أكبر ثم يقول: اللهم ارحمه وارحمنا، اللهم تب عليه وعلينا، اللهم اسكنه فسيح جناته، الله أكبر[3]

---

[1] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، 232.

[2] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

[3] - مقابلة شخصية: عبد الجبار الشايب، اجنسنيا.

والدعاء للميت طقس سومري قديم، إذ كان الكهان يدعون للميت ويحرصون على القيام بالطقوس الجنائزية بشكل صحيح لترتاح روح الميت وتذهب إلى العالم الأسفل[1]، وكان الفراعنة يرتلون تراتيل دينية على جثة الميت ويقرأون التعاويذ في كل مرحلة من مراحل التحنيط[2]، ثم يضعون الجثة في تابوت مزين بالورود وصور الآلهة التي ستعينه عند الاستيقاظ بعد الموت[3].

دفن الميت وبيت العزاء

يخرج الرجال ومعهم الجنازة من المسجد ويتوجهون إلى المقبرة، حيث يكون القبر قد حفر وجهز في وقت سابق، يحفر على عمق مترين وعرض متروهذا شكل القبر المعروف منذ آلاف السنين ففي مقابر الفراعنة العاديين والبسطاء كان شكل القبر على النحو السابق؛ قبر من جزأين أحدهما فوق الأرض والآخر تحت الأرض توضع فيها الجثة، والجزء الثاني فوق الأرض يدل على مكان دفن الجثة ويحدد بكومة تراب أو قطع من الحجارة[4]، وفي الإسلام أيضا أجاز الرسول عليه السلام هذا الأمر فقد ورد عن المطلب بن عبد الله أن الرسول أجاز له تعليم قبر أخيه[5].

وعند دفن الميت ينزل أحد أقاربه إلى القبر ليتناول الجثة ويضعها بالحفرة على الجانب الأيمن ومواجهة لجهة القبلة التي يصلي المسلمون اتجاهها والرأس والرجلين إلى يمين القبلة ويسارها[6]، ويدفن مع الميت ممتلكاته التي أوصى بها قبل موته، تقول حنان: " لما ماتت فتحية الراغب بقى عندها ثواب حلوة كثير كثير وبقت الله يرحمها متحبش حدا يلبس إشي بعدها قامت قالتلي بس أموت حطوا أواعيي عليي، وفعلا لما ماتت حطينالها ثلاث اربع ثواب عشان تبقى

---

[1] - الماجدي، خزعل: **متون سومر**، ص 299.

[2] - انظر: الماجدي، خزعل: **الدين المصري**، ص 239.

[3] - نفسه، ص 241.

[4] - شكري،أحمد وآخرون: **الموسوعة المصرية" تاريخ مصر القديمة وآثارها"**، م1، ج1، وزارة الثقافة والإعلام، القاهرةص 372

[5] -انظر: الألباني: **أحكام الجنائز**،ص197.

[6] - انظر: الألباني: **أحكام الجنائز**،ص 192.

تلبسهن بعد ما تموت"[1]، وبعد الانتهاء من ذلك توضع فوق القبر بلاطة مسطحة لمنع تسرب التراب و منع الحيوانات المفترسة من نبش القبر، ثم يأتي دور أحد شيوخ القرية لتلقين الميت ويدعو له بالثبات ويستغفر له ويطلب منه ألا يخاف من الملكين اللذين يسألانه من ربك وما كتابك وما دينك.

يؤمن الناس في المجتمعات البشرية أن الموت ليس نهاية الإنسان، وإنما هو عبور للعالم الآخر، فيرى المصريون والعراقيون مثلا، أن الموت حاجز رقيق يفصل عالما عن آخر، وهو لم يكن نهاية الحياة بل استمرارا لها في عالم آخر لا يختلف في جوهره عن عالم الحياة[2]، ويحتاج الإنسان في ذلك العالم إلى مقتنياته جميعها من ملابس وحلي وأدوات، لذلك نجد قبور الفراعنة مليئة بالحلي والمباخر والملابس، وعرف عند المصريين القدماء طقس استخدام الأثاث الجنائزي الذي كان يوضع في قبر الميت، ويختلف ذلك الأثاث باختلاف طبقة المتوفي وزمنه، فالإنسان العادي كانت ترافقه أوعية الماء والطعام، أما الملوك والعظماء، كان يرافقهم الأرائك والصناديق والمقاعد وتماثيل للنساء والخدم، ولعل مقبرة توت عنخ مون أفضل مثال لذلك[3].

وتشير البكائيات الفلسطينية إلى ذلك بقول إحدى النساء:

وافتحوا باب الجنينة لبي فلان تا يزور
حضروله الجوخ لخظر والوسايد ريش النعام
حضروله الجوخ لخظر والوسايد ريش النعام
زرروا عباته عليه وامنعوها من الهوى
حسرتي يا بي فلان ما لقينالك دوى
زرروا عباته عليه وامنعوها من الصبيب

---

[1] - مقابلة شخصية: حنان محمد ظاهر، ياصيد.
[2] - الماجدي، خزعل: **الدين المصري**، ص 238.
[3] - الماجدي، خزعل: **الدين المصري**، ص 204.

حسرتي يا بي فلان ما لقينالك طبيب[1].

توضح هذه المقطوعة عادة دفن الملابس مع الميت، إضافة إلى الوسائد ريش النعام و قطع من الجوخ الاخضر، لاعتقادهم أن الميت قد يحتاجها بعد الموت.

لم يكتفِ الفراعنة بأدوات الطعام والأثاث والأواني، بل اكتسيت جدران المقابر والتوابيت عندهم برسومات لكل الأشياء التي يمكن أن تحولها القوى السحرية إلى منتجات حقيقية تخدم الميت في الحياة الأخرى، و بالإضافة لأدوات الطعام والملابس كانوا يعتقدون أن الميت بحاجة إلى سلاحه لحمايته من الأعداء[2].

ولتلقي العزاء بالميت يقف أهل الميت أمام قبره مصطفين منتظرين المعزيين لمصافحتهم وترديد عبارات العزاء المعروفة في أرياف نابلس مثل: " يسلم راسك" أو العمر إلكم" و " عظم الله أجركم".

في حين تستمر النساء بالبكاء والنواح وترديد عبارات تدل على حزنهن الشديد لا سيما إذا كان المتوفي شابا أو صبية فيقلن:

يا من هو وقع في القبر	قاعود فلان وقع في القبر قاعوده
يا من هو وقع في اللحد جماله	يا فلان وقع في اللحد جماله
طاحوا عالمقابرهدولوا الشالات	يا فلان وعمه طولوا الغيبات
نزلوا ع المقابر هدولوا فراهم	يا فلان وعمه وين ملقاهم[3].

وتقول أخرى:

اللي بعتبه واللي بلومه	في المقبرة حطوا ضعونه

---

[1] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص 220.

[2] - ستيندروف، ج: **عندما حكمت مصر الشرق**، تح: محمد العزب موسى، ط1، مكتبة مـــدبولي، القـــاهرة، 1995، ص 168.

[3] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ، ص 223.

حطوني بجنب مقبرتكم   بلقى المطر والسيل عنكم
حطوني بجنب القبر أقول   يا مقعدي مقعد ذلول
يا رايحين مع السلامة   بدلاتكم عندي علامة
من اليوم ليوم القيامة[1]

فالمرأة في ريف نابلس تحرص على الاحتفاظ بملابس الميت مدى الحياة.

وتقول أخرى:

يا حر قلبي روحوا الدفانة   خلو شباب العز في الجبّانة
يا عين لا تبكي علي اللي راحوا   وابكي على اللي في القبر طاحوا[2]

بعد ذلك يغادر الرجال المقبرة، ويذهب أقارب الميت إلى بيت من بيوت إحدى العائلات التي كانت قد أعدت طعام الغداء لأهل الميت وأبناء عمومته، يقول عبد الجبار داوود الشايب: " بعد الدفنة بروحوا أهل الميت ع دار حدا من البلد بس من عيلة غير عيلته مثلا دار الشايب بعزموا حمولة ثانية، ويبقوا طابخينلهم مناسف وبقدمولهم قهوة سادة وبرجعوا لبيت الأجر عشان يتلقوا العزا من الناس ومن الغربية اللي في القرى الثانية"[3].

أما النساء؛ فتعود من المقبرة إلى بيت العزاء مباشرة، وتقوم النساء من العائلة التي أعدت الطعام لأهل الميت بإرسال الطعام لهن فلا يذهبن قريبات الميت لتناول الطعام بل يحضر الطعام إليهن حيث يكن، ومن واجب صاحبات الطعام أن يعزمن النساء المتواجدات في بيت

---

[1] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، 230.
[2] -نفسه، ص 237.
[3] - مقابلة شخصية: عبد الجبار الشايب، اجنسنيا.

العزاء جميعهن[1]، وإذا كانت المتوفية امرأة، لا تقبل عائلتها العزائم إلا في اليوم الأول من عزائها، أما إذا كان رجل، فيعزم أهله على الطعام لمدة ثلاثة أيام[2].

وعرف في ريف نابلس ما يسمى " خروج" وهو وجبة إفطار يعدها أهل البلدة لأهل الميت لمدة أسبوع، تحملها النساء إليهم على رؤوسهن وفي صواني القش وتشتمل تلك الوجبة على: البيض واللبنة والمقالي والمقدوس والمربى والزبدة وغيرها، أشارت الحاجة فاطمة سماعنة إلى أن نساء القرية كانت تحتفظ بالمقدوس واللبنة والمربى خصيصا لمثل تلك المناسبة.

وقد لاحظت الباحثة ظاهرة في قرى نابلس، وهي جلوس النساء في بيت العزاء على مرتبات من الصوف، وتطوى مرتبة الصوف من النصف ولا يجوز أن تفرد، وعندما سألت عن ذلك أجابتها كريمة سماعنة " عشان العزا ميرجعش ع الدار"[3].

وفي بيت العزاء تقول ندى: " بقين الله يكافينا شرهن يردحن يطلمن ويقدين أواعيهن، ويعملن حلكات (حلقات) ويصيرن ينوحن"[4]، و قد ميزت لنا فاطمة من روجيب الفرق بين النواح والردح فقالت: النواح بقين ينوحن وهني قاعدات، أما الردح بقين وهني واقفات وبعملن حلقة وبصيرن يلفين ويضربن ع إجريهن ووجوهن الله يكافينا الشر".

وتنصب تلك الحلقات على مدار ثلاثة أيام وأحيانا لأسبوع، و يعد واجب على كل من تأتي إلى بيت العزاء أن تشارك في ذلك، وقد رأت الباحثة هذه الظاهرة عند وفاة والدها، رأت النساء يأتين من القرى الأخرى ويشاركن في حلقات النواح والردح تلك، تقول أم يوسف من بيتا: "لما يجين نسوان من بلد ثانية تقول وحدة منهن ما تقومن تردحن يلا قومن وهي تبلش بالردح والنواح وتصير تقول:

---

[1] - مقابلة شخصية: كريمة سماعنة، بيت إيبا.

[2] - مقابلة شخصية: فريز مشاقي، ياصيد.

[3] - مقابلة شخصية: كريمة سماعنة، بيت إيبا.

[4] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيدز

يا قاعدات ريتكن قرطلة   يا ناسيات أهل الكرم والخل

يا قاعدات ريتكن قعودة   يا ناسيات أهل الكرم والجودي[1]

وتقول أخرى تحريضا للنساء على النواح:

مالكن ساهيات ولاهيات   قابرات أهل الكرم يا خايبات

مالكن ساهيات ويا حريم   قابرات أهل الكرم والخيرين

واللي غشيها البين تغشى الوادي   والسالمة من البين ترجع غادي

واللي غشيها البين تغشى المقبرة   والسالمة من البين ترجع لورى[2]

وبعدها يصيرن كل اللي هناك يطوفن ويرددن مع بعظهن ويمزعن أواعيهن- الله يتوب عليهن"[3] وتقول آية عديلي: " يوم مات عمي يوسف ظلت ستي سنة تنوح عليه"[4].

وفي المقطوعة السابقة، تحاول المرأة جاهدة حث واستنهاض النساء الأخريات للنواح والبكاء على الميت، وتستنكر هدوئهن على الرغم من فقدهن لعزيز.

ومن الأغاني التي تندب بها المرأة ابنها:

وامسى المَسَا يا فلان   واحبابنا ما جوش

ما دري تيجوا يا يمّا   والا نسد الحُوش

وش هالعَملة يا يمّا   اللي عملتوها

وانتو كَسرتوا   الخَواطِر ما جَبرتُوها

ذَليت مِن بَعدكُم   يا يمّا أنا ذَليت

وأصبَحت زي   الفراشة ناقعة في الزيت

---

[1] - مقابلة شخصية: فاطمة الجبالي، بيتا

[2] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص 237.

[3] - مقابلة شخصية: ام يوسف، بيتا.

[4] - مقابلة شخصية: آية عديلي، 25 سنة، بيتا، 2 -12 -2015.

وامسى المَسا   يا يمّا واحبابنا غياب

ما ادري تيجوا يا يمّا   والا انسد الباب[1].

إذ تصف هذه المقطوعة حال الأم في حال فقد ولدها، وتصور حالتها وهي تنتظره على أمل منها أن يعود، وتصف نفسها بالفراشة المنغرسة في وعاء من الزيت غير قادرة على الطيران.

وأشارت عدد من النساء إلى أن هناك امرأة متخصصة تأتي إلى بيوت العزاء لتندب الميت مقابل أجر بسيط، تقول أم يوسف: " ومرت نايف العطية بقت شاعر هي تقول وهني يقولن وراها[2]، لكن عندما سألت الباحثة عن تلك المرأة في القرية قيل لها أنها تابت وعاهدت الله عزوجل أن لا تعود إلى التلفظ بألفاظ النواح، لأنهاعلى حد قول آية عديلي: " حلمانه في الليل إنها قاعدة بين نسوان كثار، وجاي حنش كبير كبيروكاين يهاجم فيها بدو يطول لسانها هذا يوم وهذاك يوم عمري ما بدي أقول إشي ع حدا"[3]

والنواح والندب أو الردح هو شكل من أشكال الرقص الجنائزي الذي عرف في الجاهلية وما قبلها، كما عرف أيضا في مصر القديمة، فكانت النساء عند موت عزيز يلتففن حول "الندابة"بعد أن يصبغن ملابسهن بالأسود ويطفن الشوارع مرددات أغاني النواح مع تلك الندابة المحترفة[4]، وفي العراق أيضا تلتف النساء في حلقة حول الندابة التي تردد العديد من عبارات الحزن التي تثير مشاعر الحاضرين[5].

وبالعودة إلى ملحمة جلجامش، نجد (جلجامش) مارس هذا الطقس عند موت صديقه (أنكيدو) عندما قال:

فَرَمى عليه وُشاحا كَوشاح العَجوز

[1] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص 242.

[2] - مقابلة شخصية: فاطمة إبراهيم جبالي، بيتا.

[3] - مقابلة شخصية: آية عديلي، بيتا، 25 سنة.

[4] - سرحان، نمر: **الرقص الشعبي الفلسطيني**، مجلة التراث، ع 12، مجلد 3، ص22.

[5] - انظر: محمد، عبد الجبار: **مراسيم المآتم في الموصل**، مجلة التراث الشعبي، عد4، مج 3، 1971، ص83.

ورفع صوته بصراخٍ كزئير الأَسد

كَلَبؤَة سَلَبت أشبالِها

صار يروح ويجيء أمام السرير[1].

فما تعبير يروح ويجيء إلا دلالة على الرقص الجنائزي الممارس في الأرياف الفلسطينية.

طقس الذبح للميت:

يقول الحاج حسونة: " بقينا نذبح ذبيحة للميت، وبقوا يقولولها ونيسة، بقينا نذبحها عشان تونسه في القبر، ولازم تنذبح وتتقطع قبل ما يطلع االميت ع المقبرة"[2]، وقالت سميرة صلاحات: " لازم النعش يمرق من فوق الخروف المذبح وفي منهم بحطوا ع النعش من دم الخاروف، وبعدين لازم أهل الميت ما يوكلوا من هذا الخاروف لأنه فال مش منيح"[3]، وهذا ما يحدث تماما في بعض دول إفريقيا، إذ تجدهم ينحرون ناقة في ذكرى وفاة الميت السنوية ويوزعونها على الفقراء و المساكين ويمتنع أقارب الميت عن الأكل منها[4].

بينما أشارت الحاجة أم بسام من قرية اجنسنيا إلى أن طقس ذبح الونيسة أقتصر على المرأة، لاعتقادهم أن الرجل لا يحتاج إلى من يؤنسه لأنه " زلمة"، ثم قال أيضا : " بقوا أهل الميت ما يوكلوا من هاي الذبيحة لأنها بتنجس، لأنه الميت نجس"[5]، فنجاسة الجثةاعتقاد شعائري معروف عند الشعب الفلسطيني وغيره من الشعوب[6]

---

[1]- انظر: محمد، عبد الجبار: **مراسيم المآتم في الموصل**، مجلة التراث الشعبي ، ص50.

[2] - مقابلة شخصية: محمود صبري حسونة، بيت امرين.

[3] - مقابلة شخصية: سميرة صلاحات، الباذان.

[4] - نعمة، حسن: **الأعياد العادات التقاليد والمعتقدات عبر التاريخ**، ط1، رشاد برس للنشر والتوزيع، بيروت 2001، ص 177.

[5] - مقابلة شخصية: جميلة سليم الحاج، اجنسنيا.

[6] - كراب، الكزاندر: **علم الفلكلور**،ص 227.

لم يكتفِ الناس في ريف نابلس بذبح الونيسة؛ بل نجدهم يذبحون الذبائح في أسبوع الميت وأربعينه، يطبخونه ويدعون أهل القرية لتناول الطعام صدقة عن روح الميت، فالميت في نظرهم لن يرتاح إلا بذبح الذبائح له فلا بد أن يقدموا خدمة تليق بروح الميت لكي ترتاح وتذهب إلى العالم السفلي من جهة[1]، ولنيل مرضاة الموتى وخشية منهم على الأحياء من جهة أخرى[2]، ففي الحضارة البابلية كانت تذبح القرابين للميت مرتين كل شهر لتفادي شره وأذاه[3] وفي حالات أخرى يكون الميت قد أوصى بذبح الذبائح لروحه وتوزيعها على الفقراء، ولا بد أن يكون ثمن تلك الذبيحة من المال الخاص للميت وإلا لا يجوز له ذلك.

حرم الإسلام العقر للميت والذبح تحت النعش وعلى القبر، ورأى أنها عادة جاهلية، إذ كانوا يمرون على قبور الأعزاء على قلوبهم فيعقروا ناقة عنده[4]، وكانوا يلطخون جوانب القبر بالدماء، وقد عرف عندهم مايسمى "البلية" وهي ناقة يربطوها على قبر صاحبها يمنعون عنها الطعام والشراب حتى تموت، وبذلك تكون ذهبت مع صاحبها ليركبها عندما يبعث[5]، وهذا الطقس في نظر الباحثة هو شكل من أشكال الونيسة التي تذبح للميت في ريف نابلس.

وعند المصريين القدماء كان من بين الطقوس التي تقام للميت؛ ذبح بقرة أو ثور أو كبش على نعش الميت ويوزع اللحم على المشيعين[6]،وقد وضعوا بقايا تلك القرابين مع الميت في قبره.

---

[1] - سرحان، نمر: **موسوعة الفلكلور الفلسطيني**، ص219.

[2] - نعمة: حسن: **الأعياد والعادات والتقاليد والمعتقدات عبر التاريخ**،ص 70.

[3] - ديلابورت: **بلاد مابين النهرين: الحضارتان البابلية والأشورية**، ط2، تر: محرم كمال، مر: عبد المنعم أبو بكر، مكتبة الآداب، 1997، ص 205.

[4] - انظر: ابن تيمية، تقي الدين بن عباس: **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، تح: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، 1999، ص 381.

[5] - انظر: الجارم، محمد نعمان: **أديان العرب في الجاهلية**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006، ص133-134.

[6] - الماجدي، خزعل: **الدين المصري**، ص 243.

طقس زيارة القبر وفك الوحدة

تذهب قريبات الميت في صباح اليوم التالي لدفنه إلى المقبرة لفك الوحدة، إذ أشارت العديد من النساء إلى هذا الطقس في ريف نابلس، و وضحنه بأن الميت يكون وحيدا وبحاجة لمن يخفف عنه وحدته يقرأن القرآن و يدعين له، ويحملن أباريق الماء ويصببنه على القبر ليشرب الميت، ويرددن أغاني النواح ويبكين فيقلن:

قيمي البلاطة يا إمي واعبري   قلبي ملوع يا يما من القعاد وحدي[1].

وتقول أخرى:

راحوا وخلوني على الدار   مكسورتن مالي جبار
وانا حملوني حمل قادر   يا حسرتي منيش قادر
وانا حملوني واوثقوني   وانا ثقلوا حملي عليي
يا ساكنين القبر يا رتوت   يا الله ازرعوا ع القبر توت
للزايرات وللحرادى[2].

زراعة الأشجار على القبر عادة شائعة في ريف نابلس، لاعتقادهم أن الأشجار تقي الميت من حرارة الشمس، أو لتكون ثمار تلك الأشجار صدقة عن روح من في القبر، فشجرة التوت في المقطوعة السابقة يتضح الهدف منها وهو ليأكل منها من يزور القبر.

وتقول أخرى:

يا حسيرتي لقعد على الدربية   يا حسيرتي واسايل الغربية
يا حسيرتي وان كان فلان معهم   يا حسيرتي لابكي واحني اديي

---

[1] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص 244.

[2] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية** ، ص 228.

يا حسيرتي وان كان ما هو معكم   يا حسيرتي لابكي واعمي عنيي

يا عين لا تبكي ع اللي راحوا   وابكي ع اللي في المقابر طاحوا[1].

أما عن طقس سكب الماء على القبر؛ فهو طقس واضح في ريف مدينة نابلس، ومازال هذا الطقس يمارس إلى يومنا هذا، إذ يعتقد الناس أن روح الميت عطشى ولا بد أن نسقيها، ولهذا السبب نرى قبور الموتى في مناطق مدينة نابلس تشتمل في سطحها على مكان مخصص لتجمع الماء؛ لتشرب منها الطيور صدقة عن روح من في القبر، وهو طقس قديم من العهد السومري فقد عرف عندهم طقس يسمى(المي نقو) وهو طقس سكب الماء لإرواء روح الميت[2].

وكان من بين القرابين التي تقدم عن روح الميت في مصر القديمة؛ قرابين تقدم في الصباح تقتصر على أمور بسيطة مثل صب الماء ونثر البخور على القبر، وهذا من وجهة نظر الباحثة امتداد لطقس فك الوحدة وسقيا الميت[3]، بالإضافة إلى فتحات الماء التي يشتمل عليها سطح القبر ليشرب منها الطيور.

الحداد على الميت

أولا: حداد النساء:

تقول ندى: " بقين يحدين ويقدين أواعيهن ويسبغنهن الله يكافينا شرهن، وستك إم نمر يوم مات صايل صبغت هي وخواتها أواعيهن اسود، ظلين يصبغن للسنة وقصين قراميلهن(مجموعة خيوط سوداء اللون مجدلة على شكل ظفائر الشعر تضعها المرأة في نهاية شعرها)"[4]، كما تمتنع قريباته عن التزين والتطيب، وتمتنع عن الزيارات ولم تذهب إلى الأفراح لمدة سنة كاملة، ولم يقصصن شعرهن ولا يمشطنه أيضا، تقول ميساء: " بقين زمان ما يتحممن ولا

---

[1] - نفسه، ص 237.

[2] - الماجدي، خزعل: **متون سومر**، ص 330.

[3] - الماجدي، خزعل: **الدين المصري**، ص 230.

[4] - مقابلة شخصية: ندى عبد الكريم، ياصيد.

يتمشطن للأربعين، أنا عندي خاله حادة ع خالي لليوم، اله 10 سنين ميت، ومن يومها لليوم ما راحت ولا ع مناسبة، بقت بس تروح ع بيوت الأجر"[1].

هذا هو الحال عند السومريين القدماء، فكانوا يعبرون عن حزنهم على الميت بترك الشعر أشعث أو بنتفه، والنواح بصوت عال واللطم على الوجه، وتمزيق الثياب[2]، وتلك عادة أيضا عند المصريين، فما أن تصل النساء إلى بيت الميت، يصحن ويلطمن ويخبطن بالكفوف ويقرعن الصدور حتى يظهرن حزنهن الشديد على الميت، ومنهن من تلطم وجهها بشدة حتى يجري الدم من خدودها[3]، وقد فسر(جيمس فريزر) ذلك بأن الدم مكمن القوة للإنسان ويمده بالقوة[4].

ومن مظاهر حداد النساء في ريف نابلس؛ (تشحير الوجه)- أي دهنه من بواقي الرماد الأسود الذي يعلق على أوعية الطبخ بعد أن توضع على النار- ،و نثر التراب على الرأس والوجه والتمرغ به، تقول إحدى النساء: " يوم استشهد مجاهد روحن إمه وخواته جابن قدورة الطبيخ اللي بطبخن فيهن ع النار وصارن يسخمن وجوهن منهن، وقعدت إمه ع الأرض وصارت تغبر حالها وراسها وتتفعفل ع الأرض"[5]،وتعبر النساء عن هذا الطقس بقولهن:

مات يا فلان يا قَرايبه مَات	نِسوان عَ المِقبرة كَمَا العبدات
يا خايبات شعوركن قصينه	ناموسكِن من روسكِن هُصّينُه
يا خايبات شَعركِن كُله عالحَلَق	واحنا نوينا اليوم ع كَتب الوَرَق
يا كشيل فلانه ما كَمّاها زينة	من بعدهم لتصير عَبدة شينة

[1] - مقابلة شخصية: ميساء الحاج، 40 سنة، سبسطية، 11-1-2016.
[2] - الماجدي، خزعل: **متون سومر**، 323.
-[3]أمين، أحمد: **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**،ص 277.
[4] - فريزر، جيمس: **الفولكلور في العهد القديم**، ج1،ط2، تر: نبيلة إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، 1982، ص199.
[5] - مقابلة شخصية: وفاء مشاقي، ياصيد.

يا كشيل فلانه ما كماها مدلله   من بعدهم لتصير عبدة مذلله[1].

ولقص الشعر دلالة تم توضيحها سابقًا، لكن له دلالة وأخرى في هذا النص ؛ بحيث أن قصه عند الحداد من أجل تشويه الجمال الأنثوي للمرأة، فلا تظهر المرأة زينتها عند الحداد، وعندما تريد المبالغة في عدم التزين تقص شعرها الذي يعد تاج جمالها.

وفي مصر جرت هذه العادة إذا مات عزيز على قلوب النساء تلتف النساء حول الندابة ويدهنن وجوههن في النيلة[2]، ولعل (تشحير الوجه) لها علاقة بالفكر الإنساني عن اللون الأسود، فقد تشاءمت الشعوب من اللون الأسود وربطته بالظلام والليل وانحجاب الحقيقة والرؤية، ورمزوا به إلى الشر على العكس من اللون الأبيض الذي رمز عندهم للخير، وقد اتضح هذا الصراع في الديانات الفارسية بشكل جلي[3] وربطه العرب بالتطير، والتشاؤم، والحرب والدمار.

وفي مصر القديمة كان فرعون يرتدي تاجاً أبيضاً ليرمز إلى سيطرته على مصر العليا، وتاجاً أسوداً ليرمز إلى سيطرته على مصر السفلى، كما رمز الهنود إلى العالم العلوي بألوان مبهجة جميلة و للعالم السفلي باللون الأسود[4]. وقد عبر الأدب الشعبي عن تشاؤمه من اللون الأسود فجاء بالمثل: " يا وجهي ما أبيضك ويا سعدي ما أسودك"[5].

ولهذا كانت النساء عند الحداد في ريف نابلس ترتدي الثياب السوداء وتصبغ ملابسها الملونة بهذا اللون، ويتحتم على النساء المعزيات أن يبتعدن عن الملابس الملونة، وعن الحلي والزينة، لأن الألوان المبهجة تدل على الفرح والسرور، والمرأة التي تخالف هذا التقليد تقع في لوم أهل الميت والمعزيات، بينما لا تلزم التقاليد الرجال بارتداء اللون الأسود في العزاء، فتقول النساء تعبيرا عن حدادها:

---

[1] - علوش،موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص 237.

[2] - أمين، أحمد: **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، ص 277.

[3] -عبدة، علي رمضان: **تاريخ الشرق القديم وحضارته منذ فجر التاريخ حتى مجيء الإسكندر الأكبر**، دار نهضة الشرق،القاهرة، 2002، ص150.

[4] - انظر: عمر، أحمد مختار: **اللغة واللون**، ط2، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص165.

[5] - لوباني، حسين علي: **معجم الأمثال الفلسطينية**، ط1، مكتبة ناشرون، بيروت، 1999، ص 894.

لا لبس حصيرة واغير من العادة　　لا لبس ع فلان عباية سودا[1]

وتقول أخرى:

لا تِحسبوني مِن سوادي مغبَرة　　واكثر سوادي عَ اللي طاحوا المِقبرة

بتقول فلانة يا سَواد اديي　　طِلع فلان وما رِجع عَليي[2].

شَرَق جَمَلنا ع البراري غادي　　يوم فلان يا يوم السَوادي[3]

ولو بحثنا عن أصول الحداد باللون الأسود لوجدنا العديد من الروايات عن ذلك، فقيل أن اللون الأسود للعبث والحياة الخالدة، وقيل أن الإنسان البدائي كان يدهن جسمه باللون الأسود في الجنازات ليحجب عنه الأرواح، ثم تطورت إلى عادة ارتداء الملابس السوداء في الحداد[4].

وقد وضح عدد من الباحثين ومن بينهم أحمد عبد الخالق؛ أننا ورثنا عادة البكاء والعويل على الميت عن الآلهة " إيزيس" عندما بكت زوجها وهي تقوم بإطلاق البخور على المومياء وكانت تخاطبه قائلة: " اذهب فقد تفتحت لك أبواب السماء وتفتحت لك الأرض، وانفسخت لك طرق العالم السفلي كي تخرج، وتدخل مع الإله "رع" فتسير مستمتعا بحريتك كأي سيد من أسياد الأبدية" وكانت النساء من حولها يبكين ويندبن الميت وهو مسجى في التابوت[5]

ولو عدنا للحديث عن تمزيق الثياب عند النساء، فنجد أن لهذا الطقس جذوراً جاهلية، فالمرأة عندهم إذا أحبت رجلا أو أحبها، لا بد أن تشق برقعه عليه ويشق برقعها عليها وإلا سيفسد الحب بينهما[6]، فبسبب حب النساء للميت يشققن ثيابهن على فراقه.

---

[1] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص 227.

[2] - نفسه، ص 236

[3] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية** ، 234.

[4] - مقال بعنوان : **أصل حكاية اللون الأسود في الحداد**، *www.mbc.net › programs › sabah-al-khair › variety-sabah*

[5] - عبد الخالق، أحمد محمد: **قلق الموت**، عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص 146.

[6] - الأندلسي، ابن سعيد: **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب**،تح: نصرت عبدالرحمن، ج1، مكتبة الأقصى والمكتبة الأردنية، عمان، 1982، ص 787.

وقد عبرت النساءعن حدادها بالثياب خلال قولها:

احنا لبسنا البرقعين   واحنا شربنا الحسرتين

أول سنة واعقاب لاخرى

واحنا لبسنا اربع بَراقع   واحنا شربنا المُر ناقع

أول سنة واعقاب لُاخرى

لُولا الحَيَا والعَرض غالي   لارفِق وحوش البَراري

وانام انا والِوحش برة

لولا الحيا لولا الثبات   لولا كلام المسعدات

لانام انا والوحش برة[1].

لالبس حصيرة عا حصيرة   واهين هالنفس الكبيرة

لالبس عباة على عباة   واهين نفسي للوطاة[2].

وتقول أخرى كتعبير عن امتناع النساء عن شراء الملابس الجديدة خلال فترة الحداد:

قولوا لتجار الشام   لا ييجوا ع حارتنا

لا يجيبوا حرير الزين   بتتحرحر وليتنا

قولوا لتجار الشام   لا ييجوا ع قرايانا

لا يجيبوا حرير الزين   بتتحرحر ولايانا[3].

ثم تقول أخرى:

يا بناتِ العَم حَرِمن اللبس   حرَمِن جيب الحَرير من القُدس

---

[1] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص 226-227.

[2] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية** ، ص 227

[3] - نفسه، ص 221.

يا بنات العم وأنا عمكن   طايح التُربة وهامِل همكِن[1].

وتقول:

صَباح الخِير أبو مَنديل عَ قَدي   اصبروا ع الضِيم والجَفا بَعدي
أماني بقول لا تجري الميل بعدي   ولا تحضري فرح واحنا غياب[2]

ثانيا: حداد الرجال:

يقتصر حداد الرجال على مدة زمنية لا تتجاوز الأسبوع، وفي تلك الفترة لا يذهبون إلى المناسبات و الحفلات، لكنهم لا يحلقون لحاهم ولا يقصون شعرهم إلا بعد مضي أربعين يوما على الوفاة[3]، وكان المصريون إذا نزلت محنة الموت بساحاتهم يطلقون لحاهم وشعر رؤوسهم، والفراعنة كانت زينتهم في نظافتهم، وكانت حلاقة الرأس واللحية من أهم مكملات التزيين والنظافة، لكنهم حين يحزنون يمتنعون عن الزينة فيرسلون شعرهم ويطيلون لحاهم حتى تنتهي أيام الحداد والتي قد تبلغ أربعين يوما بعد أن كانت تبلغ السبعين[4]، وفي ريف نابلس يمتنع أقارب الميت من الدرجة الأولى عن الذهاب إلى أعمالهم، وعبرت البكائيات الشعبية عن ذلك بقول إحدى النساء:

يوم أبو فلان مثل هد مدينة   يصعب على البنا الحجر والطينة
يوم أبو فلان مثل هد عمارة   يصعب علي نقل الحجارة[5]

وتقول أخرى:

يا برودة حرمي صيد الغزال   حرمي لا تطلعي فيد الهذال

[1] - نفسه، ص 234.
[22] - عودة، عمر: **البكائيات في الأدب الشعبي**، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2008، ص 104.
[3] - مقابلة شخصية: جميلة الحاج، اجنسنيا.
[4] - عبد الخالق، أحمد محمد: **قلق الموت**، ص 145.
[5] - عبد الخالق، أحمد محمد: **قلق الموت**، ، ص 235.

يا بارودة حرمي صيد النسر   حرمي لا تطلعي فيد النذل[1].

ويحرص الناس على عدم تزويج شباب العائلة، ولا يستمعون للموسيقى أو الغناء، ولا يشاهدون التلفاز لمدة سنة كاملة.

يقدم الرجال القهوة السادة في بيت العزاء للمعزين، يتولى تقديمها شخصان من أقارب الميت أو جيرانه، بينما في الوقت الحالي يفضل أهل المتوفي استئجار من يقدمها، يستمر هذان الشخصان في المرور بين المعزيين لتقديم القهوة لكل من يأتي للعزاء، ولا بد أن تكون تلك القهوة خالية من السكر، لأن السكر يدل على الفرح بينما تقديمها مرة يدل على شدة الحزن، ولم تخل البكائيات الشعبية من ذكر قهوة العزاء، منها:

يا رايح دار السبع مِتحَيّر   القهوة دايرة والكيف مِتغَيّر

يا رايح عَ دار السَّبع دونك دون   القَهوة دايرة والكيف في الغَليون[2]

وتقول أخرى:

ساحة دارهُم يا دورة الخِيلي   قَهوتهُم كثيرة مَالهَا كِيلي

ساحة دارهُم يا دُورة الفَدّان   قهوتهم كثيرة مالهاش عَيّار[3].

مناسبات متعلقة بالموت:

أولا: **أسبوع الميت:**

تعد ظاهرة الاحتفال بذكرى أسبوع الميت بدعة وصلت للمجتمع الفلسطيني بسبب اختلاطه مع المجتمعات الأخرى؛ فقد حرم الإسلام هذا الطقس لأنه يجدد الحزن[4]،ومع ذلك لم يمتنع الناس في الأرياف الفلسطينية كافة عن دعوة الناس إلى أسبوع الميت، ففي اليوم السابع

---

[1] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص 234.

[2] - نفسه، ص 225.

[3] - نفسه، 222.

[4] - انظر: الألباني: **أحكام الجنائز**، ص 211.

من وفاة الميت يتوجه أهالي القرية كافة إلى بيت العزاء ويتناولون الطعام الذي أعده أهل الميت، وهنا تعود ظاهرة العقر للميت مجدداً، وبعد الانتهاء من الطعام يقدمون الحلوى كالكنافة أو البقلاوة تقول حنان: " يوم ماتت فتحية راح رافع ع أسبوعها جاب سدرين كنافة و وزعهن"[1]، وهذا طقس ما زال حاضراً في وقتنا الحاضر؛ إذ رأت الباحثة أحد أقاربها يوزع الحلوى في أسبوع قريبتها المتوفية عام 2016، ويرى المصريون أن الاحتفال بذكرى أسبوع الميت سيدخل إلى نفسه الفرح والسرور[2].

لكن السؤال الذي يطرح نفسه، لماذا اليوم السابع بالتحديد؟ ولماذا نحتفل بالمولود الجديد في اليوم السابع؟العدد سبعة مقدس عند الكثير من الشعوب، فقد قدسه المصريون؛ لأن الله خلق الدنيا في ستة أيام واستراح في اليوم السابع كما يقولون، والسماوات سبع والأرض سبع وأيام الأسبوع سبعة[3]، ونجد العدد سبعة يجري على ألسنة العامة بشكل متكرر فيقولون: " فلان عامل السبعة وذمتها"، و" فلانة لسانها سبع شبار" وألوان الطيف سبعة، حتى الذرة تتكون من سبع طبقات إلكترونية ولا يمكن أن تكون أكثر من ذلك[4].

والأدب الشعبي زاخر بالعدد سبعة، فقد ورد في القصص الشعبية بشكل لافت، فهناك قصة المطلقات السبع[5]، وقصة الأقزام السبعة، ولم تخلُ السنة النبوية من ذكر العدد سبعة فكان له حظ وافر في الأحاديث التي نطق بها سيد البشرية عليه السلام، وهذا وإن دل على شيء فهو يدل على أهمية هذا العدد وإعجازه؛ فعندما حدثنا عليه السلام عن الموبقات حددها بسبعة أنواع فقال:" اجتنبوا السبع الموبقات"، وعندما أخبرنا عن الأمر الإلهي في السجود على سبعة أعضاء قال: " أمرت أن أسجد على سبعة أعظم[6]" .

---

[1] - مقابلة شخصية: حنان ظاهر، ياصيد.

[2] - انظر: إرمان، أدولف: **ديانة مصر القديمة: نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة**، تر: عبد المنعم أبو بكر و محمد أنور شكري، مكتبة مصطفى الباب الحلبي، القاهرة، 1952، ص232.

[3] - أمين: **قاموس العادات والتقاليد المصرية**، ص230

[4] - الكحيل، عبد الدائم: **موسوعة الإعجاز الرقمي**، مجلة إلكترونية، موقع أسرار الإعجاز في القرآن والسنة، ص15.

[5] - جمعية إنعاش الأسرة: **التراث والمجتمع**، العدد 8، 1977، ص121.

[6] - جمعية إنعاش الأسرة: **التراث والمجتمع**، العدد 8، ص 15-16.

و في القرآن الكريم ذكر الرقم سبعة بكثرة ومن الأمثلة على ذلك، قال تعالى: " **فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة**"[1]، ومناسك الحج كالطواف والسعي ورمي الجمرات سبعة.

ثانيا: أربعين الميت:

تعود عملية العقر وتحضير الولائم من جديد في اليوم الأربعين لوفاة الميت، ورغم أنها بدعة مثلها مثل الأسبوع؛ إلا إننا نجدها في الريف النابلسي، يجتمع أهل القرية ذلك اليوم في بيت أهل المتوفي، يأكلون الطعام والحلوى، ويدعون للميت بالرحمة والمغفرة، وفي حال كانت عائلة الميت ميسورة الحال يكتفون بتقديم "الزلابية" بزيت الزيتون أو "أقراص الحلبة"، وهي ظاهرة شائعة في قرية ياصيد إذ أعدت الحاجة فايزة اقطيط الحلبة و" المعمول" وقامت بتوزيعها على جيرانها وأصدقائها كافة في ذكرى وفاة زوجها.

لماذا في اليوم الأربعين؟ يعتقد الناس في ريف نابلس بشكل خاص و المجتمعات البشرية كالسومريين واليهود والمسيحين، أن روح الميت تزور بيته لمدة أربعين يوماً من لحظة وفاته ويقال إن الجثة تتحلل بعد أربعين يوما[2]، لذلك تقول الباكية:

واهل لِبلاد لَرُوح لِيهم　　　واشق القَبر واعبر عَليهُم
واهل البلاد ما أطوَل سَفرهُم　　　لو حدا غيري ما ذَكَرهُم
يا دود حَلفتَك يمين　　　لا توكل الوِجه السَمين
هَوّد عَ الذُرعان وارعَى[3]

ريح الهوى سَلِّم على امي　　　والدود والذبان أكَلنِي

---

[1] - القرآن الكريم: سورة البقرة، آية 196.

[2] - انظر: **التراث الشعبي**، وزارة الثقافة والإعلام ، دائرة الشؤون الثقافية للنشر، العراقأ العدد 12، ص130

[3] - علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ص 226.

ريح الهَوى سَلِّم على أختي   والدُود والذِبان تحتي[1]

فالاحتفال بذكرى الأربعين لم يقتصر على جماعة أو ديانة محددة؛ إنما نراها ظاهرة واضحة في مختلف الديانات وعند العديد من الشعوب.

الرقم أربعون له مكانة خاصة عند الشعوب، وله دور بارز في حياتهم، وقد غُلف بطابع القدسية عندما ورد في القرآن الكريم والسنة النبوية؛ قال تعالى: " **وإذا واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون**"[2]، وقوله تعالى: " **قال فإنها محرمة عليهم أربعين سنة يتيهون في الأرض فلا تأس على القوم الفاسقين**"[3]، وفي السنة قال عليه السلام: " من حفظ عني أربعين حديثا حشره الله مع النبيين والصديقين والشهداء"[4]، وفي الإنجيل والتوراه كان العدد أربعون رمزا لقوة الصبر والتحمل.

وفي الحياة الشعبية نجد العدد أربعين في كثير من الأمثال والحكم؛ فيقال "حجة الجيعان أربعين لقمة"، و"ربنا بخلق من الشبه أربعين"، ويعتقدون أن قبر المرأة النفساء يبقى مفتوحا للأربعين، وفي القصص الشعبي هناك قصة "علي بابا والأربعين حرامي" .

وقد جاء طقس الإحتفال بذكرى الأربعين من أسطورة " أوزريس" الذي قتله اخوه " ست"، وفرق جيوشه إلى أربعين جزءا وطرح أشلاءها في أقاليم الوادي، وكان عددها في ذلك الوقت أربعين مقاطعة، وقد أقام المصريون للإله " أوزريس" أربعين قبرا لكل جزء من جسمه قبر يحج إليه الناس لنيل البركة، وقد بقيت أجزاءه تلك أربعين يوما في التحنيط، ومنذ ذلك الحين والفراعنة يحنطون موتاهم ويبقونها أربعين يوما بعد معالجتها بمختلف العقاقير[5]. وفي عقيدة الفراعنة عرف ما يسمى" سيدي الأربعين" والمقصود به الإله

---

[1] - نفسه، ص228.

[2] - القرآن الكريم: سورة البقرة، آية 51.

[3] - نفسه، سورة المائدة، آية 26.

[4] - **التراث الشعبي**، العدد 12، ص 137

[5] - عبد الخالق: **قلق الموت**، ص 147.

" أوزريس" وهو عندهم الطرق المؤدي إلى الجنة[1].

الأعياد والمواسم والذكرى السنوية للميت:

فالذكرى السنوية للميت يحيها أهله بتوزيع الأموال والطعام عن روحه، أما المواسم فقد عرف منها في ريف نابلس "خميس الموات" وهو آخر خميس في شهر آذار من كل سنة وقد وصفته الحاجة كريمة سماعنة بقولها: " بيجي كل شهر ثلاث من كل سنة بنطبخ فيه لبنية وبنسلق بيض وبنوزع فيه كعك ع الصغار، كل وحدة بالبلد إلها حدا ميت بتروح ع المقبرة وبتوزع هذول الأكلات عن روحه"[2].

أما الأعياد فتقصد فيها الباحثة عيدي الأضحى والفطر، إذ يقيم أهل الميت بيتا للعزاء في أول عيد يأتي عليهم بعد وفاته، يقدمون فيه القهوة السادة والتمر، ولا يشترون ملابس جديدة ولا يفرحون، ويحرمون الأطفال من فرحة لبس العيد وألعابه لأن " أهلهم حادين" وقد يصدف في القرية أكثر من بيت عزاء في ذلك اليوم.

---

[1] - هردوت: هردوت يتحدث عن مصر: تر: عمد صقر خفاجة، دار القلم، القاهرة، 1966، ص95 -100.

[2] - مقابلة شخصية، كريمة سماعنة، بيت إيبا.

الخاتمة

بعد الإنتهاء من البحث والتنقيب عن العادات والتقاليد والمعتقدات الشعبية وجذورها في ريف نابلس؛ توصلت الباحثة إلى عدد من النتائج من أهمها:

1 - التراث هو خلاصة خبرات وتجارب الأجداد التي خلفوها للأجيال الحالية ليستقوا منها العبرة والعظة؛ لتساعدهم على العبور من الحاضر إلى المستقبل.

2 - على الرغم من انتشار التعليم؛ مازالت العادات والتقاليد لها مكان ثابت بين الأوساط الشعبية في قرى مدينة نابلس، فما زال الناس هناك يملحون الطفل ويكحلونه، وما زالوا يزفون العريس على حصانه ويحممونه في بيت من بيوت القرية، وما زالت العروس تقوم بطقس لصق العجينة على باب البيت، وما زالت النساء تبكي وتندب على الميت على الرغم من تحريم الإسلام لهذا الطقس.

3 - دراسة التراث الشعبي في أريافنا الفلسطينية ضرورة ملحة؛ لأنه ثروة كبيرة من القيم يجب أن تدرس في الجامعات؛ فهو يعطي لكل شعب هويته التي تميزه عن غيره من الشعوب.

4 - محافظتنا على التراث لا تعني أننا خرجنا عن نطاق الحضارة والمدنية، بل على العكس التراث لا يعيق تقدمنا، فهناك العديد من الدول تصدرت العالم مع الحفاظ على تراثها.

5 -الطقوس الشعبية لم تأتِ من العبث، ولم تكن مجرد ممارسات يقوم بها الإنسان؛ بل هي تاريخ عريق للبشرية كافة، ولا بد منها في حياتنا اليومية، فطقوس العقم تساعد على الإنجاب، وطقس الحناء ضروري لحماية العروس من الحسد، و ذبح القرابين للميت تساعده في الانتقال إلى العالم السفلي.

6 -الطقوس الممارسة في الأرياف الفلسطينية لها جذور عميقة في الحضارات العريقة القديمة، فبعضها جاء من الحضارة السومرية، والبعض الآخر من الحضارة الفرعونية والبابلية والكنعانية.

قائمة المصادر والمراجع

أولا: المصادر

1. **القرآن الكريم**

2. ابن الأثير، مجد الدين أبو السعادات المبارك: **النهاية في غريب الحديث والأثر،** تح: طاهر أحمد الزاوى ومحمود محمد الطناحي المكتبة العلمية - بيروت، 1979م.

3. الأزدي، أبو بكر محمد :**"جمهرة اللغة"،** ت: رمزي منير بعلبكي، دار العلـم للملايـين– بيروت، ط1، 1987م .

4. الأندلسي، ابن سعيد: **نشوة الطرب في تاريخ جاهلية العرب،** تح: نصرت عبـد الـرحمن، ج1، مكتبة الأقصى والمكتبة الأردنية، عمان، 1982.

5. الأندلسي، الفقية أحمد بن عبد ربه: **العقد الفريد،** تح: عبـد المجيـد الترحيبـي، ج 8، دار الكتب الأهلية ، بيروت، ط1، 1983.

6. التَّمِيمي، سيف بن عمر: **الفتنة ووقعة الجمل** ، تح: أحمد راتب عرمـوش، دار النفـائس، ط7، 1993م.

7. الجرجاني، عبدالقادر: **كتاب التعريفات،** دارالكتب العلمية، بيروت، ط 3، 1989م.

8. الجوزية، ابن القيم: **تحفة المودود بأحكام المولود،** القاهرة، مكتبة ابن تيمية، ط1، 1999.

9. الحاكم، الحافظ أبي عبد الله: **المستدرك على الصحيحين،** تح: مقبل الوداعي، دار الحرمين، ط1، 1995.

10. الدينوري، أبو محمد عبد الله بن قتيبة: **عيون الأخبار،** ج 2، دار الكتب العلمية - بيـروت، 2014م.

11.الذبياني، النابغة: **ديوان النابغة الذبياني**، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط2، دار المعارف، مصر، 2009.

12. ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل: **المحكم والمحيط الأعظـم**، تـح: عبـد الحميـد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1، 2000 م

13. ابن سينا، أبو علي الحسين: **القانون في الطب**، م1، بيروت، مؤسسة عز الـدين للطباعـة والنشر، 1993.

14. **شريعة حمورابي**، ت: محمود الأمين، ط1، لندن، شركة دار الوراق للنـشر والتوزيـع، 2007.

15. الضبي، المفضل محمد بن علي: **المفضليات**، تح: عبد السلام هارون وأحمد محمد شاكر، ط6، بيروت، 1942م.

16. عبد الحليم، أحمد: **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، تح: ناصـر عبـد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، 1999.

17. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر: **فتح الباري شرح صحيح البخاري**،ج3، دار الريـان للتراث، 1986.

18.. العسقلاني، ابن حجر، **الإصابة في تمييز الصحابة**، تح: محمـد وجيـه وآخـرون، ج4، المكتبة العصرية، بيروت، 2012.

19.العسكري، الحسن أبو هلال: **جمهرة الأمثال**، تح: أحمد عبد السلام و محمد بـسيوني، ط1، دار الكتب العلمية، 1988.

20.. العيد، تقي الدين بن دقيق: **إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام**، تح: أحمد محمد شـاكر، ط 2، ج2، دار الكتب السلفية، القاهرة 1978.

21.الفارابي، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين: **معجم ديوان الأدب:** تح: أحمد مختـــار عمر وإبراهيم أنيس، مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة ، 2003 م

22. الفارابي، أبو نصر إسماعيل بن حماد: **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية،** تح: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين–بيروت، ط4، 1987 م

23.الفارسي، علاء الدين علي بن لبان: **صحيح ابن حبان بترتيب ابـــن لبـــان،** تـــح: شـــعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، مجلد 13، ط2، 1993

24. ابن فارس، أبي الحسين أحمد: **مجمل اللغة،** تح: زهير عبدالمحـــسن ســـلطان، مؤســـسة الرسالة–بيروت، ط2 ، 1986 م

25.ابن فارس، أبي الحسين أحمد: **معجم مقاييس اللغة،** ت: عبـــد الـــسلام هـــارون، ج6، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، م.د، 395 ه

26. الفراء، أبو زكريا يحيى : **معاني القرآن،** تح : أحمـــد يوســـف النجـــاتي وآخـــرون، دار المصرية للتأليف والترجمة ، مصر

27.الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد : **كتاب العين،** المحقق: مهـــدي المخزومـــي، إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 1978.

28. القيرواني، إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري: **زهر الآداب وثمر الألبـــاب،** دار الجيـــل، بيروت، لبنان، 1969

29. ابن كثير، الحافظ: **تفسير القرآن العظيم،** ج4، القاهرة، دار البيان الحديثة، ط1، 2002

30. ابن مالك، لَبِيد بن ربيعة: **ديوان لبيد بن ربيعة العامري،** اعتنى به: حمدو طمّـــاس، دار المعرفة، ط1،2004 م.

31.ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم:**"لسان العرب"**، ط3، دار صادر، بيروت، 1993.

32. النسفي، عمر بن محمد بن أحمد : **طلبة الطلبة في الاصطلاحات الفقهية**، المطبعة العامرة، بغداد، 1950.

33.النيسابوري، أبو إسحاق أحمد: **قصص الأنبياء المسمى عرائس المجالس**، المكتبة الثقافية، بيروت، 1947

34.. الهروي، ابن الازهري، **تهذيب اللغة**، ج7، ط1، تح: محمد عوض، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، 1989.

ثانيا: المراجع

1. إبراهيم، نبيلة: **أشكال التعبير في الأدب الشعبي**، دار المعارف، بيروت

2. إبراهيم، محمد عبد السلام: **الإنجاب والمأثورات الشعبية**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، مصر، ط1، 1999.

3. أحمد زكي، صفوت: **جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة**، ج1، بيروت - المكتبة العلمية، 1933

4. الأحمد، سامي سعيد: **المعتقدات القديمة في العراق**، المركز الأكاديمي للأبحاث، بيروت - لبنان، 2013

5. إرمان، أدولف: **ديانة مصر القديمة: نشأتها وتطورها ونهايتها في أربعة آلاف سنة**، تر: عبد المنعم أبو بكر و محمد أنور شكري، مكتبة مصطفى الباب الحلبي، القاهرة، 1952.

6. الألباني، محمد ناصر الدين: **آداب الزفاف في السنة المطهرة**، ط1، المكتبة الإسلامية، الأردن، 1409ه.

7. الألباني، محمد ناصر الدين: **أحكام الجنائز وبدعها**، ط1، مكتبة المعارف، الرياض، 1992.

8. إمام، إمام عبد الفتاح: **معجم ديانات وأساطير العالم**، مجلد 1، مكتبة مدبولي، القاهرة

9. أمين، أحمد: **قاموس العادات والتقاليد والتعابير المصرية**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012م.

10. الباش، حسن، : **المعتقدات الشعبية في التراث العربي**، ط1، دار الجليل بيروت.

11. بدران، سلوى إبراهيم خماش: **دراسات في العقلية العربية** ، دار الحقيقة، بيروت، 1979.

12. بدوي، عبدالرحمن: **مناهج البحث العلمي**، دار النهضة العربية، 1963.

13. البرغوثي، عبداللطيف: **"الأغاني العربيّة الفلسطينية في فلسطين والأردن**، مكتبة الوثائق والأبحاث، جامعة بيرزيت، 1979.

14. البرغوثي، عبداللطيف: **"حكايات جان من بني زيد"**، جامعة بيرزيت ، رام الله، 1979.

15. البرغوثي، عبداللطيف: **"ديوان العتابا الفلسطيني – دراسات في التراث الشعبي الفلسطيني"**، البيرة : وزارة الثقافة الفلسطينية، 2013.

16. البستاني، كرم: **أساطير شرقية**، دار مارون عبود، لا يوجد بلد نشر، 1981.

17. البطل، علي: **الرمز الأسطوري في شعر بدر شاكر السياب**، ط1، الكويت، دار الربيعان للنشر والتوزيع، 1982.

18. الترمانيني، عبد السلام: **الزواج عند العرب في الجاهلية والإسلام**، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998، ص24.

19. الجارم، محمد نعمان: **أديان العرب في الجاهلية**، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2006.

20. الجاغوب، محمد عبد الرحمن: **فلكلور من قرية بيتا" إرشيف الفلكلور الفلسطيني"** ، ج 7، مكتبة بلدية نابلس، 1999.

21. جبر، محمد سعيد: **فرحة الأغاني الشعبية الفلسطينية**، ط1، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، 2010.

22. جلال، إبراهيم: **الأساطير الصينية وروائع الحواديت والحكايات الشعبية**، دار مشارق للنشر والتوزيع، ط1، 2009.

23. الجوزو، مصطفى: **من الأساطير العربية والخرافات**، دار الطليعة، بيروت، 1980.

24. الجوهري ، محمد: **"دراسات في علم الفولكلور": العين الدراسات الإنسانية والاجتماعية** ، ط2، 1998.

25. الجوهري، محمد، وآخرون: **الدراسة العلمية للعادات والتقاليد الشعبية**، ج3، دار المعرفة الجامعية، 1988.

26. الجوهري، محمد: **مقدمة فى دراسة التراث الشعبي المصري**، جامعة القاهرة، ط1، 2006.

27. الجوهري، محمد: **علم الفلكلور**، ج2، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1988.

28. حسين ،الحاج حسن: **الأسطورة عند العرب في الجاهلية**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، عمان، الأردن.

29. الحسيني، عيسى خليل محسن: **دراسات في الفلكلور "التراث الغنائي"**، ط1، دار جرير للنشر والتوزيع، عمان، 2006.

30. الحشايشي، محمد بن عثمان: **العادات والتقاليد التونسية،** تونس، سراس للنشر، 1994.

31. حمامي، محمد: **الحناء فن ونقش عند العرب،** دار الشرق العربي، بيروت.

32. خليل، عزة: **نماذج من نقش الحناء،** ط1، الدار السعودية للنشر والتوزيـــع، الريـــاض، 2007

33. الديك، نادي ساري: **مختارات من الأغاني الشعبية الفلـــسطينية،** ط1، رام الله، جامعـــة القدس المفتوحة، 2014

34. ديلابورت: **بلاد ما بين النهرين: الحضارتان البابلية والأشورية،** ط2، تر: محرم كمال، مر: عبد المنعم أبو بكر، مكتبة الآداب، 1997.

35. ديورانت، ول وايريل**: قصة الحضارة،** تق: محيي الدين صابر، تر: زكي نجيب محمود، ج1، بيروت.

36. ريعور، علي**: الدراسة النفسية الاجتماعية بالعينة للذات العربية،** بيروت، دار الطليعـــة للطباعة والنشر، ط1، 1978.

37. رينهارت، بيتر آن: **تكملة المعاجم العربية،** تع: محمَد سليم النعيمـــي وآخـــرون، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، ط1، 2000 م ،ج 11.

38. زايد، أحمد وآخرون: **الأسرة والطفولـــة" دراســـات اجتماعيـــة وأنثروبولوجيـــة"** ، دار المعرفة الجامعية.

39. زيّاد، توفيق:**" صورمن الأدب الشعبي الفلسطيني"**، ط1، المؤسسة العربية للنشر، حيفـــا، 1974.

40. الساريسي ، عمر: **كلمات في المأثورات الشعبية،** رابطة الكتاب الأردنيين، عمان.

41. ستيندروف، ج: **عندما حكمت مصر الشرق**، تح: محمد العـزب موسـى، ط1، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1995.

42. سرحان، نمر: **الحكاية الشعبية الفلسطينية**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 1974.

43. السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، **المبسوط**، ج5، دار المعرفة، بيروت، 1993.

44. سرور، محمد سكري: **نظام الزواج في الشرائع اليهودية والمسيحية**، دار الفكر العربي، القاهرة، 1979.

45. السيد، عبد المؤمن السيد: **رموز الحناء بين التقليدية والمعاصرة دراسة اثنوجرافية**، بإحدى المدن الليبية، جامعة بنها، ليبيا، 2008.

46. الشرنوبي، مايسة: **أجمل النماذج والرسومات في النقش بالحناء**، ط1، دار الطلائع، القاهرة،2003.

47. شكري، أحمد وآخرون: **الموسوعة المصرية" تاريخ مصر القديمة وآثارها"**، م1، ج1، وزارة الثقافة والإعلام، القاهرة.

48. شكري، علياء: **الاتجاهات المعاصرة في دراسة الأسرة**، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1996.

49. صالح، أحمد رشدي، **الأدب الشعبي**، ط2، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1955.

50. صالح، عبد العزيز: **الأسرة في المجتمع المصري القديم**، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المكتبة الثقافية، القاهرة، 1961.

51. صالح، عبد العزيز: **الشرق الأدنى القديم**، ط4، القاهرة، مكتبة الأنجلو الأمريكية، 1987

52. طوالبي، نور الدين: **الدين والطقوس والتغيرات**، ت: وجيه البعيمي، الجزائـــر، ديـــوان المطبوعة الجامعية، 1988.

53. عبد الحكيم، شوقي: **مدخل لدراسة الفلكلور والأساطير**، دار ابن خلدون، ط1، 1978.

54. عبد الخالق، أحمد محمد: **قلق الموت**، عالم المعرفة، الكويت، 1998.

55. عبدالحميد، أحمد: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، عالم الكتب، ط1، 2008 م.

56. عبدة، علي رمضان: **تاريخ الشرق القديم وحضارته منذ فجر التـــاريخ حتـــى مجـــيء الإسكندر الأكبر**، دار نهضة الشرق، القاهرة، 2002.

57. عبد الكريم، زيدان: **المفصل في أحكام المرأة والبيت** المـــسلم، ط3، مؤســـسة الرســـالة، بيروت، 1997.

58. عجينة، محمد: **موسوعة أساطير العرب**، ط1، دار الفارابي، بيروت، 1994.

59. عزيز، كارم محمود: **أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم** ،دار الحصاد، دمشق، 1990.

60. عطا الله، عيسى، **قالوا في المثل**، ط2، وزارة الثقافة، عمان، 1995.

61. علقم، نبيل: **مدخل لدراسة الفلكلور**، منشورات جمعية إنعاش الأسرة، البيرة،1977.

62. علوان، عبد الله ناصح: **تربية الأولاد في الإسلام**، ج، دار الشهاب، تونس، 1989.

63. علوش، موسى: **الأغاني الشعبية الفلسطينية**، جمعية عمال المطابع التعاونيـــة بالقـــدس، فلسطين،1986.

64. عمر، أحمد مختار: **اللغة واللون**، ط2، عالم الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997.

65. عمر، أحمد مختار: **معجم الصواب اللغوي دليل المثقف العربي**، عالم الكتــب، القــاهرة، ط1، 2008 م.

66. العنتيل، فوزي: **بين الفولكلور والثقافة الشعبية**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1978م.

67. عودة، عبد القادر: **التشريع الجنائي الإسلامي مقارنا بالقانون الوضعي**، ج1، دار الكاتب العربي، بيروت.

68. غرانفكست، هيلما: **أحوال الزواج في قرية فلسطينية**، ت: خديجة قاسم وإخلاص القنانوة، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات،2009 .

69. غربال، محمد شفيق وآخرون: **تاريخ الحضارة المصرية القديمة**، ط1،م1،مطبعة النهضة المصرية– القاهرة، 1989.

70. غليوجي: **الطب عند قدماء المصريين**، مؤسسة المعارف للنشر، بيروت، ط2.

71. غوشة، صبحي سعد الدين: **الحياة الاجتماعية بالقدس في القرن العشرين، وزارة الثقافة الفلسطينية**، رام الله، ط 1، 2010.

72. الفايز، ميسون بنت علي :**زواج الصغيرات**، مركــز الأبحــاث الواعــدة فــي البحــوث الاجتماعية ودراسات المرأة، عمان، 2012.

73. فريزر، جيمس: **الفولكلور في العهد القديم**، ج1،ط2، تر: نبيلة إبراهيم، دار المعــارف، القاهرة، 1982.

74. القاسمي، ظافر: **الحياة الاجتماعية عند العرب**، ط1، دار النفائس، بيروت،1978.

75. قدار، مرزوقي: **اتجاه المشرع الجزائري نحو العقد المدني في الزواج**، جامعة وهــران، الجزائر، 2012.

76. قمحاوي، وليد: **ترمسعيا دراسة في التراث**، جمعية إنعاش الأسرة، البيرة.

77. القمني، سيد: **الأسطورة والتــراث**، ط1، المركز المصري لبحوث الحــضارة، القـــاهرة، 1999.

78. القيم، علي: **المرأة في حضارات بلاد الشام القديمة**، ط2، الهالي للنشر والتوزيع، مصر، 1997.

79. كاسيرر، آرنست: **الدولة والأسطورة**، ت: أحمد حمدي محمود، الهيئة المصرية العامـــة للكتاب، 1975.

80. كراب، الكزندر: **علم الفولكلور**، ترجمة: أحمد رشـــدي صـــالح، دار الكتـــاب العربـــي، 1998.

81. الكعبي، حاتم: **التغير الاجتماعي وحركات المودة**، بيروت، دار الحداثة للطباعة والنـــشر، ط1، 1982.

82. كناعنة، شريف**: الانجاب والطفولة**، ط1، جمعية إنعاش الأسرة، البيرة،، 1984.

83. كنعان، توفيق: **الكتابات الفلكلورية**، ترجمة موسى علوش، دار علوش للنشر، بيرزيت، ط 1998.

84. لوباني، حسين علي: **معجم الأمثال الفلسطينية**، ط1، مكتبة ناشرون، بيروت، 1999.

85. لومبار، جاك: **مدخل إلى الأثنولوجيا**، تر: حسن قبيسي، بيروت، المركز الثقافي العربي، ط1، 1997

86. الماجدي، خزعل: **بخور الآلهة" دراسة في الطب والسحر والأسطورة والدين"**، الأهليـــة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1، 1998.

87. الماجدي، خزعل: **الدين المصري**، ط1، عمان، دار الشروق،1999.

88. الماجدي، خزعل: **المعتقدات الكنعانية**، ط1، دار الشروق، الأردن، 2001.

89. الماجدي، خزعل: **متون سومر**، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1998.

90. ابن ماجة: محمد بن يزيد : **سنن ابن ماجة**، تح: محمد عبد الباقي، ج2، دار الفكر، بيروت.

91. مارك، ويستر: **موسوعة تاريخ الزواج الإباحية الجنسية البدائية الجاذبية الجنسية والغيرة الذكرية دراسة انتروبولجية**، ت: مصباح الصمد وآخرون، ط1، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2001.

92. مارك، ويستر: **موسوعة تاريخ الزواج**، ت: مصباح الصمد وآخرون، ط2، مؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2012.

93. المبيض، سليم عرفات: **الإبل في التراث الشعبي الفلسطيني**، المكتبة المصرية للكتاب، القاهرة، 1999.

94. المبيض، سليم عرفات: **ملامح الشخصية الفلسطينية في أمثالها الشعبية**، الهيئة المصرية العامة، مصر، 1990.

95. مختار ، أحمد: **معجم اللغة العربية المعاصرة**، ج2 ، عالم الكتب، بيروت، 2008.

96. مرسي، أحمد علي: **"مقدمة في الفولكلور"**، عين للدراسات والبحوث الإنسانية، الهرم، مصر، 1995.

97. مصطفى، إبراهيم و آخرون: **" المعجم الوسيط"**، ، مجمع اللغة العربية بالقاهرة دار الدعوة، ج2.

98. مصطفى، فاروق أحمد ومرفت العشماوي **"دراسات في التراث الشعبي"**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1، 2008.

99. المطور، عزام أبو الحمام: **الفلكلور التراث الشعبي" الموضوعات، الأساليب، المنـــاهج"،** دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان - الأردن، ط1، 2007.

100. المعلوف، عيسى إسكندر: **تاريخ الطب عند الأمم القديمة والحديثة،** مؤســسة الهنــداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012.

101. موسكاتي: **الحضارات السامية القديمة،** ت: يعقوب بكر، دار الرقي -بيروت، 1986.

102. مارك، ويستر: **موسوعة تاريخ الزواج الإباحية الجنسية البدائيــة الجاذبيــة الجنــسية والغيرة الذكرية دراسة انتروبولجية،** ت: مصباح الــصمد وآخــرون، ط1، المؤســسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 2001.

103. ميلتوس، بصل: **كراس خدمة سر مسحة المرضى(سر الزيت المقدس)،** رام الله.

104. ناصيف، إميل: **أروع ما قيل في الموت،** ط1، دار الجيل، بيروت، 1995.

105. نعمة ، حسن: **موسوعة ميثولوجيا وأساطير الشعوب القديمة ومعجم أهــم المعبــودات القديمة،** دار الفكر اللبناني، بيروت، 1994.

106. نعمة، حسن: **الأعياد العادات التقاليد والمعتقدات عبر التاريخ،** ط1، رشاد برس للنــشر والتوزيع، بيروت 2001.

107. النعيمي، أحمد: **الأسطورة في الشعر الجاهلي،** دار سينا للنشر والتوزيع، مصر، 1995

108. نور الدين، عبد الحليم: **مكانة المرأة في المجتمع المصري القــديم،** مكتبة الإســكندرية، القاهرة.

109. الهاشمي، رضا جواد وآخرون: **حضارة العراق،** دار الحرية للطباعة والنشر، بغداد، ج2، ط1، 1985.

110. الهاشمي، رضا: **نظام العائلة في العهد البابلي القديم**،ط 1، بغداد، 1971.

111. أبو هدبا، عبد العزيز: **"التراث الشعبي الفلسطيني، جذور وتحديات"**، مركز إحياء التراث العربي، الطيبة، ط1، 1999.

112. هردوت: **هردوت يتحدث عن مصر**: تر: عمد صقر خفاجة، دار القلم، القاهرة، 1966.

113. اليمني، نشوان بن سعيد: **شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم**، تح: حسين بن عبد الله العمري الإرياني وآخرون، دار الفكر المعاصر (بيروت - لبنـــان)، ط1، 1999 م ج6.

ثالثا: الرسائل العلمية

1. طه، نضال فخري: **الطقوس والمعتقدات الشعبية والاجتماعية في الأدب الشعبي في محافظة رام الله**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2011.
2. الثقافة الشعبية للدراسات والبحوث والنشر**: رسالة التراث الشعبي من البحرين إلى العالم بالتعاون مع المنظمة الدولية للفن الشعبي**، المنانة، البحرين، العدد 34، 2016.
3. عودة، عمر: **البكائيات في الأدب الشعبي**، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، فلسطين، 2008.

رابعا: المجلات

4. بلاصي، فداء: ***العرس الفلسطيني سياق لتعليم التاريخ الاجتماعي الثقافي***، **مجلة رؤى التربوية**، العدد 38، مؤسسة عبد المحسن قطان للنشر، رام الله،2010.

5. ***التراث الشعبي الفلسطيني في القدس الشريف هوية وانتماء***، موسوعة التراث الفلسطيني، العدد الثاني، جامعة القدس المفتوحة ، القدس،2009.

6. الثقافة الشعبية لدراسات والبحوث والنشر: رسالة التراث الشعبي من البحرين إلى العالم، العدد رقم 34، المنامة/ 2006.

7. جبر: محمد: **أفراحنا الشعبية تقاليدها و دلالاتها**، مجلة التراث والمجتمع، العدد16، جمعية انعاش الأسرة، البيرة ، 1982.

8. جبر، محمد: ***أفراحنا الشعبية تقاليدها ودلالتها***، **مجلة التراث والمجتمع**، جمعية انعاش الأسرة، العدد16، 1982.

9. جبر، يحيى، وعبير حمد: **مستقبل التراث الشعبي الفلسطيني في ضوء المستجدات**، بحث منشور، جامعة النجاح الوطنية، 2009..

10. ربيع، وليد: **العرس الفلسطيني، مجلة التراث والمجتمع**، جمعية إنعاش الأسرة، عدد 31، 1998.

11. سرحان، نمر: **الرقص الشعبي الفلسطيني**، مجلة التراث، ع 12، مجلد 3.

12. سمار، سعد عبود و علي فاضل نهير: **مبررات العقاب الإلهي في العراق**، مجلة كلية التربية، العدد 12.

13. شندي، إسماعيل: **حكم الخضاب في الشريعة الإسلامية**، مجلة جامعة القدس المفتوحة، العدد الثالث، رام الله، 2004.

14. الشهاوي، صلاح عبد الستار: **الكحل في الثقافة العربية والشعبية**، مجلة الموروث الشعبي الإلكترونية/ العدد السابع عشر، مصر، 2016.

15. محمد، عبد الجبار: **مراسيم المآتم في الموصل**، مجلة التراث الشعبي، عد4، مج 3، 1971.

16. وليد، ربيع، وعمر حمدان : "دراسة في التراث والتراث الشعبي الفلسطيني، **مجلة "التراث والمجتمع"**، جمعية إ نعاش الأسرة، البيرة، العدد2، 1974.

ثامنا: المقابلات الشخصية

1. مقابلة شخصية: آية عديلي، 25سنة، بيتا،2 -12 - 2015م.
2. مقابلة شخصية: ندى أحمد عبد الكريم، ياصيد، 68، 9 -12- 2015م.
3. مقابلة شخصية: إم يوسف عديلي، بيتا، 73 سنة، 10- 12- 2015م.
4. مقابلة شخصية: لبيبة دويكات، بيتا، 93 سنة، 10- 12 -2015م.
5. مقابلة شخصية: نجمة الموسى، بيتا، 66سنة، 10- 12 -2015م.
6. مقابلة شخصية: وفاء حمد، ياصيد، 37 سنة، 12- 12 -2015م.
7. مقابلة شخصية: فاطمة حمادنة، عصيرة الشمالية، 66 سنة، 14- 12 -2015.
8. مقابلة شخصية: نجية الصيفي، تل، 66 سنة، 16- 12 -2015م.
9. مقابلة شخصية: علي حسين عصيدة، تل، 61، 16- 12- 2015م.
10. مقابلة شخصية: عثمان عبد الفتاح سلوادي، تل، 80 سنة، 16- 12 -2015م.
11. مقابلة شخصية: علي أسعد الصيفي، تل، 84 سنة، 16 -12- 2015م.
12. مقابلة شخصية: عائشة حسن مشاقي، ياصيد، 88 سنة، 28- 12- 2015م.
13. مقابلة شخصية: سليمة صالح، بيت إيبا، 79 سنة، 29- 12- 2015م.
14. مقابلة شخصية: فاطمة صالح، بيت إيبا، 88 سنة، 28 -12- 2015م.
15. مقابلة شخصية: عايشة الصافي، بيت إيبا، 80 سنة، 29- 12 -2015م.
16. مقابلة شخصية: إم غسان الكشوع، الباذان، 69سنة، 18- 1- 2015م.
17. مقابلة شخصية: سميرة صلاحات، الباذان، 62، 18 -1- 2015م.
18. مقابلة شخصية: عبد الجبار داوود شايب، اجنسنيا، 80 سنة، 19- 1 -2015م.

19. مقابلة شخصية: باسمة معن ظاهر، اجنسنيا، 42 سنة، 19- 1 -2015م.

20. مقابلة شخصية: فاطمة أبو عيشة، روجيب، 70 سنة، 23- 1- 2015م.

21. مقابلة شخصية: محمد أبو عيشة، روجيب، 88 سنة، 23- 12 -2015م.

22. مقابلة شخصية: فاطمة الراغب، الفارعة، 69 سنة، 25 -12- 2015م.

23. مقابلة شخصية: ميساء مشاقي، الفارعة، 30 سنة، 25 -12- 2015م.

24. مقابلة شخصية: علي حمادنة، عصيرة الشمالية، 76سنة، 29- 12- 2015م.

25. مقابلة شخصية: فاطمة حمادنة، عصيرة الشمالية، 66 سنة، 29- 12 -2015م.

26. مقابلة شخصية: فاطمة شراقة: عصيرة الشمالية، 80 سنة، 29- 12 -2015م.

27. مقابلة شخصية: إم عصام الأزهري، سبسطية، 60 سنة، 2 -2- 2015م.

28. مقابلة شخصية: سليمة عبد الحميد، برقة، 85 سنة، 5- 2- 2015م.

29. مقابلة شخصية: حنان ظاهر، ياصيد، 60 سنة، 7- 2- 2015م.

30. مقابلة شخصية: زكية مشاقي، ياصيد، 48 سنة، 7- 2- 2015م.

31. مقابلة شخصية: فاطمة عبد الحميد، دير شرف، 45سنة، 18- 12- 2015م.

32. مقابلة شخصية: آمنة الغزاوي، دير شرف، 80 سنة، 18- 12 -2015م.

33. مقابلة شخصية: حسين محمد أبو عمشة، زواتا، 107 سنوات، 20 -2- 2015م.

34. مقابلة شخصية: صديقة راغب، ميثلون، 60 سنة، 23 -2- 2015م.

35. مقابلة شخصية: عبير عناد، ياصيد، 34 سنة، 26- 2- 2015م.

36. مقابلة شخصية: عائشة حسن مشاقي، ياصيد، 88 سنة، 28- 2 -2015م.

37. مقابلة شخصية: بشرى شراقة، ياصيد، 64 سنة، 28- 2- 2015م.

38. مقابلة شخصية: عفاف لطفي، ياصيد، 40 سنة، 29- 2 -2015م.

39. مقابلة شخصية: فايزة اقطيط، سيريس، 55 سنة، 1- 3 -2015م.

40. مقابلة شخصية: فتحية نجيب علي، 80 سنة، نصف جبيل، 5- 1- 2016م.

41. مقابلة شخصية: محمود الحاج صبري، بيت امرين، 77 سنة، 9- 1- 2016م.

42. مقابلة شخصية: فريز ذياب مشاقي، ياصيد، 55 سنة، 12- 2- 2016م.

43. مقابلة شخصية: وسام الوزني، بيت وزن، 32 سنة، 12- 2- 2016م.

44. مقابلة شخصية: كوثر محمود عبد الرحمن، ياصيد، 33 سنة، 22- 2 -2016م.

45. مقابلة شخصية: نجيبة مشاقي، ياصيد، 68 سنة، 22- 2- 2016م.

46. مقابلة شخصية: هاشم شولي، عصيرة الشمالية، 50 سنة، 24- 2- 2016م.

47. مقابلة شخصية: نجيبة مشاقي، ياصيد، 68 سنة، 26- 2- 2016م.

48. مقابلة شخصية: كفاية شفيق، ياصيد، 43 سنة، 22- 3- 2016 م.

49. مقابلة شخصية: مروة سمارة، 55 سنة، جبع 26- 2- 2016 م.

An-Najah National University

Faculty of Graduate Studies

Popular Kituals and Heritage in palestinain Folkloric Literctnre in Nablus Contryside.

Prepreed by

Nedaa Nemer Thaher

Supervised by

Nader Kasem

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arabic Language & Literature, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus- Palestine.

2017

Popular Kituals and Heritage in palestinain Folkloric Literctnre in Nablus Contryside

Prepreed by

Nedaa Nemer Thaher

Supervised by

Nader Kasem

Abstract

Palestinian Rural life was characterized by specifications and special features, keep them for a long time, but with the beginning of the second half of the twentieth century began to gradually give up his privacy; to integrate in the system of the development of civilization posed by the Palestinian city.

This shift is a matter of concern, and raises indicators numerous concerns, perhaps the most serious is the erosion of the Palestinian village, as a result of the phased withdrawal to the shade; in favor of civil profiling, which invaded every aspect where aspects of life, making it more like a cultural mix behavioral away a little and a lot about the originality Palestinian rural traditional sense; the consequent results and serious repercussions could threaten the Palestinian rural heritage as a whole, and undermine the pillars of the Palestinian presence at their home.

The importance of this study was to preserve the folk traditions that began to disappear from our heritage and cultures by urban development and the death of grandparents, And it began to appear to the occupiers of our land as a legacy popularly them, which calls for return to them in the

form of a study chronicling her and reveal the details and try to detect the beginnings.

This study aimed to clarify the meaning of heritage and folklore, and rooting popular practices in the customs and traditions of the Rural life of Nablus, as well as to clarify the origins of those legacies, and contribute to the transfer of verbal heritage related to those customs and traditions To the present and subsequent generations, and also aimed to highlight the cultural changes and the evolution of the language spoken in different generations, contributing to the creation and revitalization of cultural and social movement concerned with folklore in Palestine, this study has got up on the description and analysis of some aspects of rural and ritual and adage verbal accompanying her, was the approach taken there in; descriptive analytical approach.

This message has been concluded to interpret many of the customs and traditions that we hear at the present time we do not know its origin and where it came from, in the first chapter explained the researcher the most important rituals used to treat infertility was including: straightening, ironing and lock the back and showed how each of them,

Then she explained the ritual birth cut umbilical cord, mattress birth and rituals related to the placenta, and talked researcher on how to deal with the child and found that the salting of the child came from the sanctity of salt when a lot of civilizations, as well as lubricated came from the sanctity of oil, and I saw that baby bath since coming to life Dead-like

swimming when separate him from it; water is ritual cleansing which is necessary to move from one world to another.

Regarding second chapter researcher talked about marriage rituals, and felt that the weather is crossing the other, like birth, the bath the groom, not how it is transmitted from the life of celibacy to married life?

And she talked about henna and holiness when peoples; protect against envy, eye, used in death, marriage, and talked about the weather weddings and perforate suit groom needle to protect it from the eye, and that was a magical ritual; injection perforated eye envious kill the eyes to suit the groom.

Finally for third chapter and last one, she talked researcher death Weather, and illustrated the Dead bath process, she talked about nunes, considered that the offerings for the dead weather must be used in all stages of human to cross, no different from aqeqah the child nor the sacrifices that cocked at weddings and separated the ritual of mourning and lamentation, and found that the scars weather Old when all civilizations, not limited to only the countryside Nablus.